الأرض الأولى

طبعة منقحة

مدخل إلى الخلق

بحسب الكتاب المقدس

جون سي. ويتكمب

All Rights Reserved
جميع الحقوق محفوظة – الرجاء التقيد
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إليكترونية أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل.
يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعها أو المتاجرة بها بأي طريقة كانت ومهما كانت الأسباب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

طُبِعَ النص الإنكليزي أصلاً في الولايات المتحدة الأمريكية

الطبعة الأولى: كانون الأول، 1986

تُرجم إلى العربية عن
الطبعة العاشرة: آب، 1997

الآيات الكتابية باللغة العربية
هي من ترجمة سميث وفانديك– البستاني
(الترجمة البروتستانتية) للكتاب المقدس.

نقله إلى العربية
فريق الترجمة والتعريب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الإهداء

لذكرى والدي

كولونيل جون سي. ويتكمب

(1894 – 1976)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

مقدمة بقلم المترجم

هذا الكتاب، "الأرض الأولى"، يُوردُ بعض الآراء المتعلقة بالأرض كما ظهرت بالأصل "في البدء"، ويُظهر كيف خلق الله النباتات والحيوانات ثم الإنسان ليكون سيداً عليها.

المؤلف هو الدكتور جون سي. ويتكمب (**John C. Whitcomb**)، الذي درَّس اللاهوتَ والعهدَ القديم في معهد غريس ((النعمة)) اللاهوتي: (**Grace Theological Seminary**) في "وينونا ليك" (**Winona Lake**) في إنديانا (**Indiana**)، الولايات المتحدة. ولقد ألقى الكثير من المحاضرات وكتب العديد من المقالات داخل الولايات المتحدة وخارجها، وعُنِيَ بشكل خاص بتأليف الكتب عن الكتاب المقدس وعلاقته بعلم الفلك.

في هذا الكتاب نجد الكثير من الأسئلة: كيف خلق الله الكون وما فيه من إنسان وحيوان ونبات ؟ هل كان ذلك في ستة أيام حرفية أم أنها رمزية تدل على دهور؟ هل كان الخلق من العدم أم من مادة سابقة؟ هل تتلاءم رواية الخلق الكتابية مع نظريات النشوء والتطور؟ هل يتطابق الكتاب المقدس مع ما يقوله علم الفلك وعلم الكون وعلم الآثار وعلم المستحاثات والجيولوجيا والترموديناميك والأنتروبولوجيا والعلوم الأخرى قديمها وحديثها؟

هذه الأسئلة وأخرى عديدة غيرها يجيب عنها هذا الكتاب في مقاربة موضوعية وعلمية وروحية قلَّ أن نجد نظيرها. نأمل أن تستفيدوا من هذا الكتاب وهذه الترجمة ليكون بركةً لكم ولكثيرين.

فريق الترجمة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المحتويات

تصدير
تمهيد
طبيعة الخلق بحسب الكتاب المقدس
الخلق كان فائق الطبيعة
كان الخلق فجائياً
الخلق مشتملٌ على ترائي ظاهري تاريخي
خاتمة
خلق الكون
المقاربة الأساسية لأصل الأنواع
خلق السموات
خلقُ الأرض
هل أتت الأرض من شمس- أولية (Proto-sun)؟
الهدف من خلق النجوم
خاتمة
خلق النباتات والحيوانات
التكوين والجدول الزمني الجيولوجي
الوفرة الأصلية في الحياة
حدود التغيّر
خاتمة
خلقُ الإنسان
كرامة الإنسان
النشوئية الإيمانية
الخلق المباشر لجسد آدم
التعقيد الرائع المدهش للجسد البشري
الإنسان القرد وإنسان الكهف
قِدَم الإنسان
خاتمة
هل كانت الأرض يوماً شواشاً؟
القضية الأساسية
''كانت'' أم ''صارت''؟
''خالية'' أم ''مشوشة''؟
هل كان الظلام شراً؟
كم عملية خلق جرت في تكوين 1؟
حجج أخرى لنظرية الفجوة
نظرية الشواش/الخلق
خاتمة
خلاصة وخاتمة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

تصدير

أن تُفسر الكتاب المقدس حرفياً يعني أن تثق بكلمة الله بحد ذاتها. هذا أعظم منحى إلى التفسير الكتابي يتعلمه القرّاء من كل كتابات جون ويتكمب، وهذه الدراسات التي يحويها هذا الكتاب بين دفتيه هي أمثلة بارعة بارزة عن هذا الأسلوب من الشرح الذي يُجِلُّ الله.

كل دراسة للدكتور ويتكمب تتناول موضوع رواية التكوين هي بالتأكيد جديرة بالثقة والاعتماد والقبول. أول طبعة من هذا الكتاب قرأتها شريحة كبيرة من القراء وأفادت في تعزيز ثقة الكثير من الناس بتمامية وكمال كلمة الله. الأصحاحات الافتتاحية في التكوين يجب اعتبارها تاريخية بشكل كامل ودقيقة علمياً، وهذه هي الفرضية التي يوضحها المؤلف ويؤيدها بالحجة في هذه الصفحات.

يسرني أن أصادق على هذا الكتاب، ليس فقط بسبب الثقافة العالية والتفسير الدقيق الذي أعرف أنهما يميزان كتابات الدكتور ويتكمب، بل أيضاً بسبب السنوات الكثيرة من الصداقة العميقة التي تربط بيننا والتي مكَّنَتْني من أن أعرف فيه ذاك الخادم الأمين للرب يسوع المسيح، المتواضع والمهذب واللبق والممتلئ بالروح.

إن آملُ وأعتقد أن هذه الدراسة الهامة، التي نُقّحت وزِيدَت الآن، سوف تقدم خدمة أكبر من الطبعة الأولى الأصلية. وباالتأكيد هناك حاجة ماسّة لها اليوم حيث المساومات والتنازلات والتقهقر، ولسوف تلقى استحساناً "فِي كَلاَمِ الْحَقِّ، فِي قُوَّةِ اللهِ" (**2** كورنثوس **6**: **7**).

هنري م. موريس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

تمهيد

الحياة على كوكب الأرض تكشف عن علامات واتضحة إلى انقراضها العتيد. إن الاتجاه في الجودة والنظام ليس نحو الأعلى، بل إلى الأسفل، ولذلك فإن كل ما في الطبيعة يبدو وكأنه مبرمج ليضعف ويميت ويحلل أشكال الحياة المرهفة الجمال والدقيقة الترتيب التي تملأ الأرض بوفرة كبيرة.

رغم التأثير الهائل لنظريات داروين في الثقافة المعاصرة، إلا أن العديد من الاختصاصيين في العلوم الطبيعية ما برحوا يزدادون اقتناعاً بأن "الطبيعة" ما كان ليمكنها أن تخلق أو أن تزيد تعقيد الكون المادي. الشمس تبدد طاقتها النووية الضخمة على حساب ضخم هائل بمعدل أربعة ملايين أطنان من كتلتها في الثانية. وهذا الخسران لا يمكن استعادته أبداً. وأنظمة الطاقة العالية المستوى تتضاءل بشكل محتوم إلى أنظمة متدينة المستوى من الطاقة، و من هنا فإن شبح "موت حراري" عام يخيم على أفق الكون.

والأحياء محتجزون على نفس النحو في هذا المنزلق العام نحو الفوضى. النباتات والحيوانات والكائنات البشرية جميعاً تفقد طاقاتها الجينية الأصلية من خلال تراكم التغايرات الأحيائية المؤذية ومن خلال انحدار الفصد الجيني. وبعكس مفهوم الداروينية الجديدة عن تطور لا يمكن اجتنابه، نرى الكتاب المقدس في انسجام كامل مع حقائق الافوضى المطردة الملاحظة: "مِنْ قِدَمٍ أَسَّسْتَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. هِيَ تَبِيدُ وَأَنْتَ تَبْقَى وَكُلُّهَا كَثَوْبٍ تَبْلَى كَرِدَاءٍ تُغَيِّرُهُنَّ فَتَتَغَيَّرُ. وَأَنْتَ هُوَ وَسِنُوكَ لَنْ تَنْتَهِيَ" (مزمور **102**: **25**– **27**؛ انظر أيضاً أشعياء **51**: **6**).

على أية حال، إنه لأمرٌ غريبٌ على ما يبدو، أنّ ذلك الفساد التدريجي العام (كما يؤكده ويفسره إعلان الله المكتوب) يشير إلى رجاء الإنسان الوحيد بالخلود. لأنه إن كان الكون قد تطور إلى أشكال أعلى فأعلى، كما يعتقد الداروينيون الجدد، فإن الرؤيا الكتابية للعالم ووعد الله الأكيد بخلاص أبدي لأولئك الذين يؤمنون به سيكون أمراً صعب التصديق وميئوساً منه.

من جهة أخرى، إن القبضة المحكمة التي لا ترحم للقانون الثاني من الترموديناميك (الذي يقول بأن الفوضى في نظام مغلق تزداد مع الوقت) تضطرنا إلى الاستنتاج بأن الأرض كانت يوماً ما أكثر انتظاماً وتماميةً وجمالاً مما هي عليه الآن. وهذا بدوره يشير إلى إله شخصي غير متناهٍ استطاع وحده أن ينفخ النظام وطاقة عالية المستوى إلى الكون في البدء.

يعتقد المسيحيون أن هذا الخالق العظيم قد تنازل ليخبرنا كيف كانت الأرض الأولى حقاً وكيف أتت إلى الوجود. هذه الرواية قد حُفظت لنا في وصف لا مثيل له لأصول أساسية جوهرية، ألا وهو في سفر التكوين. إن ما يخبرنا به هذا السفر عن حالة الأرض في فجر وجودها لهو ذا أهمية بالغة. إذ على هذه المسألة يتوقف، ليس فقط طبيعة وكرامة الإنسان، بل أيضاً مصيره. يعلمنا الكتاب المقدس أن كمال الأرض الأولى كان انعكاساً ملائماً لعلاقة الشركة والصداقة الأصلية للإنسان مع خالقه. لقد اختبر الإنسان غير الساقط السيادة كاملة على الأرض ومخلوقاتها الحية (تك **1**: **26**– **28**). لقد وضع الله كل الأشياء تحت قدميه وكلله بالمجد والكرامة (مز **8**: **5**– **8**؛ عب **2**: **5**– **8**). ولكن الإنسان تمرد على خالقه الكريم فتحولت الأرض إلى وضعها الحالي من الإحباط، والألم، والموت. ".... بِإِنسان وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ.... إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ – لَيْسَ طَوْعاً بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا.... فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعاً إِلَى الآنَ" (رومية **5**: **12**؛ **8**: **20**– **22**).

ولكن بالنسبة لهؤلاء الناس الذين يتوبون عن خطيئتهم ويتحولون عائدين إلى الله في إيمان طائع، يكون مشهد المستقبل لامعاً بما يفوق الوصف. بعد حديثه عن إزالة "عهد السن والمخلب" الذي كان يميز مملكة الحيوان منذ سقوط الإنسان، يقول النبي أشعياء: "لاَ يَسُوؤُونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ" (أش **11**: **9**). هذا الإعلان المتعلق بالأرض المستقبلية يمكن تقديره وفهمه فقط على ضوء الإعلان الكتابي الخاص بالأرض الأولى (تك **1**: **29**– **31**).

على نفس المنوال، حثّ الرسول بطرس شعب إسرائيل لأن يتوب عن رفضه للمسيح "....لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ [أي عصر الملكوت].... إِلَى أَزْمِنَةِ رَدِّ كُلِّ شَيْءٍ الَّتِي تَكَلَّمَ عَنْهَا اللهُ بِفَمِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ" (أعمال **3**: **19**– **21**). بما أن "الرَدِّ" (أو الإستعادة وفي اليونانية **apokatastasis**) هنا تعني "الإعادة إلى حالة سابقة"، فمن الواضح أن الكمالات الأصلية للأرض سيختبرها مرة أخرى أولئك الذين يثقون بكلمة الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

إذ نرى الفساد التدريجي الحالي للأرض أمام أعيننا، فلعل هذه الدراسة الموجزة للأرض الأولى توقظ في قلب كل قارئ رغبةً عميقة باكتشاف واختبار علاج الله المعلن للأزمة الوشيكة الحدوث: الإيمان الحقيقي بالرب يسوع المسيح كمخلص وحيد للبشرية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

طبيعة الخلق بحسب الكتاب المقدس

الخلق كان فائق الطبيعة:

إزاء كل المحاولات لتفسير أصل العالم بتعابير عمليات طبيعية بحتة، يصرّح الكتاب المقدس أن الله خَلَقَ كل الأشياء بشكل فائق للطبيعة. بكلمات أخرى، أتى العالم إلى الوجود بطريقة مختلفة كلياً عن أي شيء يمكن أن يُلاحَظ في الكون الحالي. في هذه الأيام لا شيء على الإطلاق يُخلَق بشكل مباشر بمعزل عن مواد موجودة مسبقاً، ويعبّر العلماء عن هذه الحقيقة الأساسية بواسطة القانون الأول للديناميكا الحرارية (الترموديناميك) (**thermodynamics**) (أي أن الطاقة لا يمكن أن تُخلق ولا أن تفنى). الخلق الحقيقي ما عاد يتحقق كما حدده الكتاب المقدس بوضوح (التكوين **2**: **1 – 3**). عمل الله بالحفظ يُبقي الكون في الوجود (عبرانيين **1**: **3**)، وعمله في العناية الإلهية يوجّه الكونَ نحو أهداف مجيدة (كولوسي **1**: **20**)، لكن عمله في الخلق بما يتعلق بالكون الحالي قد اكتمل.

ولذلك فعندما "صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا" (خروج **20**: **11**؛ **31**: **17**؛ نحميا **9**: **6**)، فعل ذلك بدون استخدام لأي مواد موجودة مسبقاً من أي نوع كانت. في لحظة ما لم يكن هناك أي مادة في أي مكان؛ في اللحظة التالية، ظهرت السماوات والأرض إلى الوجود. هذا ما دعاه اللاهوتيون (الخلق من لا شيء) ***creatio ex nihilo***، وهذه العبارة مفيدة إذا فهمناها بمعنى أن الموجودات المادية خُلقت من مصادر غير مادية من قدرة الله الكلية. فنياً: العبارة تنطبق فقط على خلق المواد غير العضوية لأن الله استخدم سابقاً مواد غير عضوية مخلوقة في تشكيل أجسام الأشياء الحية. ومع ذلك، حتى في هذه الحالة، كما سوف نرى، كان الخلق تماماً فائق الطبيعة.

حقيقةُ أن الخلق كان فوق طبيعي تعني، من بين أشياء أخرى، بأنه يمكن أن يُفهم بالعقل البشري فقط من خلال قناة الوحي الخاص. الله وحده فقط يستطيع أن يخبرنا كيف ابتدأ العالم، لأنه لم يكن هناك أي شخص ليرى كيف كان يجري الخلق، وحتى لو كان هناك مراقب بشري موجود، ما كان ليفهم بشكل كامل ماذا رأى بمعزل عن تفسير الله ذاته. قال الله لأيوب: "اُشْدُدِ الآنَ حَقْوَيْكَ كَرَجُلٍ فَإِنِّي أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي. أَيْنَ كُنْتَ حِينَ أَسَّسْتُ الأَرْضَ؟ أَخْبِرْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فَهْمٌ" (أيوب **38**: **3– 4**).

على كل حال، إن الصعوبة لدينا في إدراك عقيدة الخلق ليست ناتجة عن حقيقة أننا محدودون بل عن حقيقة أننا خاطئون. "وَلَكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيّاً" (**1** كورنثوس **2**: **14**). هناك بضعة عقائد في الكتاب المقدس تبدو للإنسان الطبيعي أكثر جهالةً من الخلق الفوق الطبيعي، لأن هكذا أحداث لا تجري اليوم. ولكن الخلق بالتأكيد هو أحد الأمور الأعظم والأهم في "مَا لِرُوحِ اللهِ"، إذ بدونه يسقط الكتاب المقدس والمسيحية ويتناثر إلى أشلاء. إن أزلتَ هذه العقيدة (الأساس) تنهار البنية الفوقية بالكامل.

لذلك فمن المهم للغاية أن نقارب الأصحاحات الأولى من سفر التكوين على هدى النور الذي يعطينا إياه الله نفسه من خلال الشهادة الكاملة التي يقدمها في الكتاب المقدس. بل، وكما أن الله أمر موسى أن يخلع نعليه لأن المكان الذي كان يقف فيه كان مقدساً، هكذا أيضاً علينا أن نلقي جانباً مفاهيمنا عما يمكن أن يكون قد حدث أو لم يحدث، وأن نقف في حضرة الله، على استعداد لأن نسمع ونؤمن بما شاء باختياره أن يخبرنا به عن الخلق.

هكذا خضوع غير مشروط لسلطان كلمة الله، بالطبع، ليس من سمة يومنا، حتى بين المسيحيين. لقد حذّر بولس (المؤمنين) قائلاً: "...لأَنَّهُ سَيَكُونُ وَقْتٌ لاَ يَحْتَمِلُونَ فِيهِ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، بَلْ حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ يَجْمَعُونَ لَهُمْ مُعَلِّمِينَ مُسْتَحِكَّةً مَسَامِعُهُمْ، فَيَصْرِفُونَ مَسَامِعَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَيَنْحَرِفُونَ إِلَى الْخُرَافَاتِ" (**2** تيموثاوس **4**: **3– 4**).

إحدى هذه "الأساطير" التي نؤمن بها هي أن الله لم يخلق العالم بشكل فائق للطبيعة، بل من خلال عمليات طبيعية، بعنايته الإلهية، عبر فترات زمنية كبيرة جداً. هذه إنما خرافة، ليس فقط لأنها تتناقض مع الكتاب المقدس، بل لأنها تتناقض مع عمليات الكون التي يمكن رصدها ومعاينتها.

في السنوات الأخيرة أتت إلينا شهادة لافتة للانتباه من كتابات علماء هم موضع احترام وتقدير كبيرين قد رأوا أن مفهوم النشوء، بوجهه الأوسع، يقوم على أساس هش. يلاحظ ج. أ. كيركوت الذي من قسم الفيزيولوجيا والكيمياء الحيوية في جامعة ساوثمبتون، على سبيل المثال أن النشوئيين غالباً ما يكتبون وكأن "آراءهم قد جاءت إليهم بنوع من الوحي". وعلى الرغم من "الثغرات والهنّات الكثيرة" في نظامهم، إلا أنها "تُؤخذ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بثقة كبيرة" وبـــ "قبول أعمى" و"إغلاق للعينين" عن حقائق كثيرة هامة، وهذا يكشف عن "تعجرف" أكثر منه روحٍ علميةٍ حقيقيـــة[1]. ولقـــد أدت المحاولات لسد الثغرة بين اللاافقاريات والفقاريات، على سبيل المثال، إلى نوع من "الأدب القصصي ذي الخيال العلمي"، أكثر منه إلى الاكتشـــاف[2]، واحتمال أن الحياة قد بدأت أولاً بشكل تلقائي كـــ "مسألة إيمان عند عالم الأحياء"[3].

في تقديمه لكتاب داروين "أصل الأنواع" في مجلة "مكتبة الجميع" (**1956**)، يوضح و. ر. ثومبثون ما يلي:

"دعاة الداروينية الوجوديون المعاصرون مضطرون، كمثل أسلافهم وداروين أحدهم، إلى أن يميّعوا الحقائق بفرضـــيات ثانويـــة، مقبولة ظاهرياً في طبيعة أشياء لا يمكن إثباتها.... ويُترك القارئ ولديه الإحساس بأن البيانات لا تدعم النظرية كما يُفتـــرض... هذا الوضع، حيث انبرى أهل العلم إلى الدفاع عن عقيدة لا يستطيعون أن يبرهنوا عنها علمياً، يُظهر ضعفَ الدقة العلميـــة، في محاولتهم الحفاظ على مصداقيتهم أمام العامة وذلك بقمع النقد وإزالة الصعوبات، وهذا أمر غير سوي وغير مرغـــوب بـــه في العلم".[4]

قبل عدة سنوات، قال العالم الوراثي الرائد ريتشارد ب. غولدشمت (**1878– 1958**):

"هذا التكرار المستمر لهذا الادعاء غير المبرهن عنه (التغير الأحيائي الصغير للنشوء)، يموه قليلاً عن الصعوبات، واتخاذ موقـــف متعجرف نحو أولئك الذين لا يُستمالون بسهولة بالطرق السائدة في العلم، يُعتبر وكأنه تقديم دليل علمي إلى العقيدة"5.

صورة في ص 23 في الكتاب هنا نضع الصورة
كوكب الأرض: إن الأرض الأولى، كما كانت لتُرى من الفضاء الخارجي قبل الطوفـــان الكـــبير، كانت مختلفة تماماً عن شكلها ومظهرها الحالي. في المقام الأول، لا بد أنهـــا كانـــت أكثر حيوية مما هي عليه الآن، إذ لم يكن هناك غطاء سديمي يُبهت البحار الزرقـــاء المتألقة. وبالدرجة الثانية، لم يكن هناك قمم قطبية بيضاء أو مناطق صحراوية بنيـــة ضاربة إلى الاحمرار، لأن حياة نباتية خضراء كثيفة كانت تغطي تقريباً كل المنـــاطق اليابسة، حتى في المناطق القطبية (كما بينت مستودعات الفحم الكثيفة المكتشفة في جبال أنتاركتيكا). وثالثاً، على الأرجح أن القارات كانت مختلفة تماماً في الشـــكل والموضع عنها حالياً. فبعض المناطق التي هي الآن فوق مستوى البحر كانت تقبـــع تحت المحيط يوماً ما. يعتقد كثير من دارسي الكتاب المقدس أنه كانت هناك كتلة كبيرة واحـــدة فقـــط تحيط بالبحار قبل الطوفان، لأن زوجاً من كل نوع من الحيوانـــات ذات الـــنفس دخلت إلى فلك نوح (تك **6**: **20**؛ **7**: **8**). من الممكن أيضاً، أنه لو وُجدت أكثر من قارة واحدة، فإن ممثلين عن كل أنواع الحيوانات كانوا ليعيشوا علـــى القـــارة حيث شُيّد فلك نوح. إن فكرة "انجراف" القارات إلى مواضعها الحاليـــة تواجـــه اعتراضات جيوفيزيائية كبيرة ولا يؤيدها الكتاب المقدس (تك **10**: **25**) لا بد أنها تشير إلى انقسام الأمم بعد الدينونة في برج بابل؛ (تك **10**: **5**، **20**، **32**).

[1]- "مضامين النشوء" (نيويورك: منشورات بيرغامون، 1960)، ص 154، 155.
[2]- المرجع السابق، ص 153.
[3]- المرجع السابق، ص 150.
[4]- أعيدت طباعتها "مجلة الجمعية العلمية الأميركية" 12: 1 (آذار 1960)، ص 7، 8.
[5]- "النشوء كما يراه أحد علماء الوراثة"، مجلة "العالم الأميركي"، كانون الثاني 1952، ص 94.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يوضح ج. ج. ديوفاني. دو دويت الذي من قسم علم الحيوان في جامعة أورانج فري ستيت إلى أن "الصدع الثنائي" بين المعرفة العلمية (المتعلقة بالانفصال بين أنواع الأحياء) والإيمان الذي يفوق العلم (في التواصل النشوئي) يبلغ إلى "صدع في الوعي عند عالم الأحياء شخصياً".[6]

ومن هنا، فإن نظرية النشوء العامة على اعتبارها ضد الإيمان، قد ناقضتها، على نحو مطرد، حقائقُ ووقائعُ العلم التجريبي خلال القرن الماضي. وإن المسيحيين الذين يقبلون الشهادة الواضحة للكتاب المقدس فيما يتعلق بالصفة الفائقة الطبيعة في الخلق الأصلي لهم ثقة بأن حقائق العلم الحقيقية، رغم قمعها كثيراً من قِبَلِ النشوئيين وإساءة تفسيرهم لها، سوف يتبين في النهاية أنها تنسجم مع الكتاب المقدس".[7]

كان الخلق فجائياً:

إن خلق الكون الفلكي لم يكن فقط من العدم (ex nihilo) كما ورد في (عبرانيين **11**: **3**)[8]. بل كان أيضاً، وبنفس هذه الحالة، فجائياً، أي بشكل مفاجيء وفوري. ولذلك فإن نشوءه لم يكن تلقائياً أو ذاتياً. إن المفهوم النشوئي في التكوين التدريجي لعناصر أثقل فأثقل عبر مليارات السنين تستبعدها تصريحات الكتاب المقدس.

بالدرجة الأولى، إن التأثير المباشر الفوري لكلمة الله الخلاقة نجد تأكيداً شديداً عليه عند كاتب المزامير: "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَبِنَسَمَةِ فَمِهِ كُلُّ جُنُودِهَا... لِتَخْشَ الرَّبَّ كُلُّ الأَرْضِ وَمِنْهُ لِيَخَفْ كُلُّ سُكَّانِ الْمَسْكُونَةِ. لأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ" (المزمور **33**: **6**– **9**). انظر أيضاً مزمور **148**: **1** – **6**).

بالتأكيد لا مجال هنا لفكرة تطور تدريجي، أو تحقيق لأوامر الله على مدى طويل، خطوة فخطوة. تكوين على مدى طويل وخطوة فخطوة. وفي الحقيقة، من غير الممكن أن نتخيل وجود فاصل زمني خلال عملية التحول من العدم (اللا وجود) المطلق إلى الوجود.

على نفس المنوال نجد الآية: "... قال الله ليكن نور، فكان نور" (تكوين **1**: **3**). ففي لحظة، لم يكن هناك نور على الإطلاق في أي مكان في الكون. وفي اللحظة التالية، وُجِدَ النور. حدث الخلق المحدد هذا دراماتيكي مذهل جداً لدرجة أن العهد الجديد يقارنه بـ "فجائية" و"فوق طبيعية" الاهتداء الروحي: "لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (**2** كورنثوس **4**: **6**؛ **5**: **17**). والله قادر أيضاً على أن يقيم "فجأة" الميت جسدياً، لأنه الله الذي "يَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ" (رومية **4**: **17**). ولعله يمكن أن نجزم بكل ثقة أن فكرة "الظهور الفجائي" تغلب على كل رواية الخلق (تكوين **1**: **3**، **12**، **16**، **21**، **25**، **27**؛ **2**: **7**، **19**، **22**).[9]

هناك كثيرون اليوم ممن ينكرون هذا المفهوم الكتابي الهام بدافع الاحترام للمتطلبات المزعومة للعلم التجريبي. ولكن ليس في العلم التجريبي أي شيء على الإطلاق يمنع الإله الحي, الذي يحفظ عمليات "العلم التجريبي", التي يمكن ملاحظتها وقياسها, في يده لحظة بعد لحظة, من أن يغيّر طرقه من زمن إلى زمن ليحقق مقاصده الأبدية للبشر. من منظور كتابي, وأيضاً كما يتبدّى في الصفحات التالية, إن الدليل قوي جداً على أن برامج الله الخَلْقية والافتدائية تتميز بأحداث ابتدائية فائقة الطبيعة.

في نفس الوقت, لابدّ من التأكيد على أن أعمال الله الخَلْقية الفائقة الطبيعة ومعجزاته ذات الدلالة لم يُقصد بها في الكتاب المقدس أن تُقلّص مجد الله في أعماله التدبيرية غير المعجزية في التاريخ البشري (دانيال **4**: **17**؛ وسفر استير[10]. إن الفرق بين هذين النوعين من الظهورات أو التجليات لتحكّم الله المطلق بعالمه هو في غاية الأهمية. إن المعجزة والعناية التدبيرية ليستا متطابقتين ولا يجب الخلط بينهما. الحمل بربنا يسوع

---

[6]- "نقد جديد لمبدأ التحول في علم الأحياء النشوئي"، كامبن، نيث، 1965، ص 43: " طوال القرن الماضي كان يوجد دائماً أقليّة معتبرة من علماء الأحياء من النخب الأول، لم يكونوا قادرين على أن يحملوا أنفسهم على قبول ادعاءات داروين. في الواقع، عدد علماء الأحياء الذين عبّروا عن تحررهم من الوهم إلى درجة ما، كبيرلا نهاية له عملياً" (مايكل دونتون: "النشوء: نظرية في أزمة" [بيثيديا، ميريلاند، نشر أدلر وأدلر، 1986]، ص 327.

[7]- انظر أيضاً هنري م. موريس "الخلق والمسيحي المعاصر" (إل كاجون، كاليفورنيا: منشورات ماستر بوك، 1985)؛ و"تاريخ نظرية الخلق المعاصرة" (إل كاجون، كاليفورنيا: منشورات ماستر بوك، 1984).

[8]- إن (عبرانيين 11: 3) بالتأكيد لا يمكن أن تعني أن الجوهر المادي الذي يشكل كوننا المنظور يتألف من جزئيات ذرية "غير منظورة". وليس هناك حاجة إلى إيمان روحي لقبول النظرية الذرية للمادة. إن الفكرة في هذا التصريح الرئيسي بما يتعلق بنظرية الخلق هي أن قوام المادي والمنظور لم يوجد بأي شكل من الأشكال، ما عدا في فكر الله السرمدي الأبدي كلي العلم والمعرفة، إلى أن نطق الله كلمته الخلاقة.

[9]- روسل. و. ماتمان القائل بنظرية "اليوم- دهر"، كان متأثراً بهذا الدليل الكتابي: "لا يوجد شك بأن كل حدث خَلْقي كان فورياً. في لحظة ما وجد شيء معين، في اللحظة السابقة لم يكن موجوداً". كتاب "الكتاب المقدس، علم الطبيعة والنشوء" [غراند رابيدز: دار بيكر بوك للنشر، 1970]، ص 95.

[10]- انظر أيضاً جون سي. وتيكمب: "استير: انتصار سيادة الله" (شيكاغو: منشورات مودي، 1979).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المسيح, مثلاً, كان بآنٍ معاً مفاجئاً وفائقاً للطبيعة بينما كانت ولادته بنتيجة عملية تدريجية وطبيعية جرت تحت عناية الله وتدبيره. إن كان الحمل بالمسيح يُفهم كعملية تدبيرية أكثر منها معجزية, فإن التجسد يصير أمراً مرفوضاً وتنهار المسيحية (اقرأ 1 يوحنا 4: 3؛ 2 يوحنا 7). على نفس المنوال، إن كانت الأحداث الواردة في تكوين 1– 2 تُفهم على أنها تدبيرية أكثر منها معجزية, فإن رواية الخلق الكتابية, لا تُعدّل وحسب, بل إنها تتدمّر.

إن الخلق من العدم يشير بشكل أساسي إلى الملائكة (أُنظر كولوسي 1: 16), والكون الفلكي (بكل تعقيدات الأجرام المرئية وحقول القوة غير المنظورة فيه), وهذا الكوكب. على كل حال, عندما خلق الله الكائنات الحية على الأرض, شكّلها فجأة من مواد لا عضوية مخلوقة مُسبقاً. ولهذا أَمَرَ المياهَ أن تنتج مخلوقات مائية وطائرة في اليوم الخامس. مهما يكن, فإن الماء, بحد ذاته, حتى في حضور أشعة الشمس, ما كان ليمكنه أبداً أن ينتج (ولو خلال مليارات السنين) هكذا حيوانات بالغة التعقيد. وللسبب نفسه, فإن المياه التي استخدمها ربُّنا في عرس قانا الجليل (أُنظر يوحنا 2: 1– 11) ما كان ليمكن أبداً أن تتحول إلى خمر, حتى ولو تبخّر بتدخل نشوئي في تلك الأجاجين الحجرية لمليارات السنين. في كلتا الحالتين، ظهرت الكينونات المعقدة على نحو مفاجئ, حتى ولو كانت قد بُنيت على مواد سابقة الوجود عادمة الحياة. ومن هنا فإن حقيقة أن الله أمر الأرض أن تُخرج أشجاراً لا تعود تعني عملية نمو تدريجية بقدر ما تعني استخدامه عناصر لا عضوية للإتيان بجسد إنسان كامل النمو في نهاية أسبوع الخلق. وحتى فيما يتعلق بأصل الجنس البشري, رأى كثير من المسيحيين عناية تدبيرية إلهية عبر الزمن والفعل بدلاً من معجزة إلهية, وبذلك حرّفوا رواية التكوين بدافع الإقرار. هذه المسألة ستتم مناقشتها أكثر في الفصل 4.

وصف أحد الكُتّاب, وهو نشوئي يرفض فكرة معجزات الخلق كلها, الأحداث "المفاجئة" التي تجري في تكوين 1– 2 بأنها مشابهة بشكل خطير للاهوت الأفسسيين الوثنيين الذين كانوا يؤمنون أن صورة (الإلهة) ديانا قد سقطت عليهم من السماء[11]. ومثال نموذجي عن هذا النوع من الخَلْقية, كما نعلم, هو الحركة الأصولية "الضعيفة إزاء حضور العملانية" ولذلك تخصص مكاناً كبيراً "لفكرة المجيء الثاني، الذي لا يُرى كتحقيق للعملية التاريخية, بل أمراً سيحدث ببساطة وفقط استجابة سريعة لصوت الله"[12].

إن صحة هذا النوع من الاعتراض, يستند, بالطبع, إلى صحة الافتراض بأن نظرية النشوء الداروينية الجديدة صحيحة, وأن المعجزات الكتابية يمكن تفسيرها عادة استناداً إلى عمليات تدبيرية, وأن الله خلق العالم "بتجاهل كبير لمرور الوقت، هذه السمة التي تميز ذاك الذي يصنع تحفة فنية"[13].

يقودنا هذا إلى اعتبار ثانٍ رئيسي يتعلق بحوادث الخلق التي في التكوين, وتحديداً تناظر أعمال الله الخَلْقية في شخص ابنه خلال حياته على الأرض منذ حوالي ألفي سنة في فلسطين. إن العهد الجديد يعلّمنا بوضوح أن الكون برمته قد خلقه ابن الله (يوحنا 1: 3, 10, و كولوسي 1: 16؛ عبرانيين 1: 2). ويكشف لنا العهد الجديد أيضاً أن الأعمال التي أنجزها خلال حياته القصيرة على الأرض كان يقصد بها أن تكشف طبيعته الحقيقية ومجده (يوحنا 1: 14؛ 2: 11؛ 20: 31). وعلى ضوء هذه الحقائق، فمن المفيد تعليمياً بشكل عميق وأساسي أن نلاحظ أن كل معجزات المسيح كانت تشتمل على "تحولات مفاجئة".

رغم قول أحدهم أن "ليس هناك استراتيجية غامضة وخطرة كمثل التشابه الجزئي", إلا أن التشابه الجزئي الكتابي لأعمال المسيح الخَلْقية في سفر التكوين وفي الأناجيل تبقى مسيطرة وذات قوة حاسمة كبيرة. فاستجابة لمجرد نطق ربنا بكلمة, على سبيل المثال, كانت الرياح الهائجة "فجأة" تتوقف, و"فجأة" تظهر للوجود كمية هائلة من الأرغفة والأسماك, و"فجأة" يسترد رجل بصره, و"فجأة" ينهض رجل ميت واقفاً على باب قبره. الاستثناء الوحيد الذي يدونه الكتاب المقدس, وسط العدد الهائل من معجزات الشفاء التي قام بها المسيح, هو حادثة شفاء الأعمى الذي استرجع بصره على مرحلتين, ولكن كل مرحلة كانت فورية الشفاء (مرقس 8: 22 – 25)[14].

---

[11] - ليونارد فيردين, "الإنسان, المخلوق: يا للسلف الحيواني؟", المسيحية اليوم Christianity Today" (أيار 21, 1965), ص 10.
[12] - المرجع السابق، ص 11.
[13] - المرجع السابق, ص 10.
[14] - هذا الاستثناء اللافت بين آلاف الشفاءات الفورية لربنا لا يمكن استخدامها بالتأكيد كأساس أو قاعدة على التدرج في عملية الخلق, انطلاقاً من مفهوم حدوث خلق الأصول خطوة فخطوة (رغم أن كل عمل كان فائق الطبيعة). إن هذه الحادثة الفريدة والوحيدة نفسها تفيد كتحذير لأولئك الذين سيفترضون أن هذه كانت طريقة الله الأساسية في خلق الأشياء. فهذا السرد في رواية الخلق لا يعطي أي إشارة على "عمليات خلق" على مراحل سواء للملائكة أو النجوم أو الكواكب أو النباتات أو الحيوانات أو الكائنات البشرية عبر ملايين أو مليارات السنين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

هذه الأعاجيب كانت علامات لا يمكن نكرانها على الفوق طبيعية في تصاريح ربنا العلنية بأنه مسيا إسرائيل, ولعلنا نكون متأكدين تماماً أنه لو كان في شفائه للمريض والمشلول, والأعمى, قد أظهر "التجاهل الكبير لمرور الوقت الذي يميز ذاك الذي ينجز تحفة فنية"[15], لما كان أحد قد أعطى أي التفاتة إلى مزاعمه. لو تطلب الأمر أن ينقضي يومان حتى يهدأ بحر الجليل بعد قول يسوع: "اسكت. ابكم"، لما كان التلاميذ قد "خَافُوا خَوْفاً عَظِيماً"، ولما "قَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَنْ هُوَ هَذَا؟ فَإِنَّ الرِّيحَ أَيْضاً وَالْبَحْرَ يُطِيعَانِهِ!»" (مرقس 4: 39– 41).

إن المغزى اللاهوتي الهائل وراء هذه الحقائق من أجل فهم مسيحي لأصل العالم يمكن إدراكه من خلال التعليق التالي:

"إن اللاهوتي ينسب ميزات "مطلقة" معينة لإلهه؛ فهو يُوصف على أنه إله كلي القدرة, وكلي المعرفة، ولا متناهٍ. وهنا الفكر الذي يكشف نفسه في تطور الحياة على هذا الكوكب من الواضح أنه ليس كلي القدرة؛ وإلا لكان جمّع مباشرة على نحو كامل .... مصممة من تراب الأرض دونما حاجة للمرور بعملية طويلة من المحاولة والخطأ التي ندعوها النشوء"[16].

إن كل محاولة لتعديل فكرة الفجائية والفوق طبيعية في حوادث الخلق لجعلها مقبولة أكثر لـ "الفكر المعاصر" لا تؤدي، على المدى الطويل, سوى إلى تقليص وإبهام الصفات الحقيقية المميزة لخلق الله. وكان في هذا درس مهم للكثير من المسيحيين ليتعلموه.

الاعتبار الثالث المهم هو حقيقة أن عمل الله في الخلق كان قد أُكمل في ستة أيام حرفية وهذا يُظهِرُ حصرياً وبدقة أن عمله الخَلْقي خلال كل يوم من هذه الأيام كان فجائياً وفائق الطبيعة.

وفي نظر المعترضين الكثر على هذا المفهوم، حتى في بعض الأوساط المسيحية، قد يندهش كثير من الناس لمعرفتهم كم كانت قوية أدلة الكتاب المقدس ومؤيدة لفكرته، إنْ قُبِلَ نظام التفسير الكتابي القائم على النقد التاريخي واللغوي.

والآن سوف نقدم أربعة أدلة على أن أسبوع الخلق كان سبعة أيام حرفياً، مع ردود على أغلب الإعتراضات.

1– رغم أن الكلمة العبرية (**yom**) التي تستخدم للإشارة إلى "يوم" مستخدمة ألف مرة في العهد القديم، إلا أنها في بعض الحالات النادرة يمكن أن تشير إلى فترة زمنية أطول من **24** ساعة وهذا ما يتطلبه النص الذي ترد فيه (مثال: "يوم الرب"). وعلى كل حال، عندما يتم إقران صفة عدد ترتيبي بالكلمة "يوم" (ونعرف عن مئتي حالة على ذلك في العهد القديم)، فإن معناها يكون مقتصراً دائماً على **24** ساعة (أي "اليوم الأول"، "اليوم الثاني"....الخ مع توازٍ دقيق مع سفر العدد **7**: **12** – **87**). ولأكثر من سبعمائة مرة تأتي الكلمة "أيام" بصيغة الجمع (**yāmim**) في العهد القديم وهي تشير دائماً إلى أيام حرفياً (مثال: خروج**20**: **11** – "في ستة أيام")[17]. والتعبير "يوم" في زكريا**14**: **7**، قال البعض أنه استثناء لهذه القاعدة، ولابد أنه يشير أيضاً إلى يوم حرفي، وخاصة لأن التعبير "مساء" تظهر في نفس الآية.

إن كلمة "يوم" ترد لأربع مرات في رواية الخلق مشيرة إلى المعنى "نهار" (أي**12** ساعة في ضوء النهار) (**1**: **5**، **14**، **16**، **18**) ولكن في هذه الحالات لا تأتي معها صفة العدد الترتيبي وفحوى النص يظهر بشكل واضح المعنى المقصود بالكلمة، فعلى سبيل المثال، تعابير "نهار" و"ليل" الواردة في (تكوين **1**: **5**) توصف على أنها فترات "نور" و"ظلمة". وبالتالي سيكون هذا بلا معنى تماماً إن كانت "نهار" و"ليل" لا تعني أجزاء من اليوم العادي. في (تكوين **1**: **14** –**19**) خلقت الشمس "لتحكم النهار" والقمر "ليحكم الليل". ومرة أخرى كلمتا "نهار" و"ليل" هنا تشيران بالتأكيد إلى أجزاء من اليوم العادي. والتعبير "يوم" (أي في يوم) الواردة في التكوين **2**: **4** ليست فقط بدون صفة عدد ترتيبي بل أيضاً تصبح، لاتصالها بحرف الجر "في" مصطلحاً يعني "عندما".[18]

---

[15] - المرجع السابق.

[16] - جون ل. راندال: "الباراسيكولوجيا وطبيعة الحياة" (لندن: منشورات سوفينير، 1975), ص 235.

1- أنظر روبيرت إي. كوفاهل وكيلي ل. سيغرافير: "تفسير الخلق" (ويتون، منشورات هارولد شو، 1975)، ص 321- 332. لاحظ أيضاً تصنيف ورود كل كلمة لـ"يوم" في العهد القديم في طبعة روبيرت ل.ثوماس، من كتاب "الفهرس الشامل القياسي الأمريكي الجديد للكتاب المقدس" (ناشفيل: هولمان، 1981)، صفحة277.

[18]- أنظر فرنسيس براون، س. ر. درايفر وشارلز إي. بريغز: "الفهرس العبري والإنكليزي للعهد القديم" (أكسفورد: منشورات كلارينودن، 1975)، ص(400). إن التعبير "يوم" مع صيغة المصدر تفتقد إلى الدقة التسلسلية للأحداث التي نراها في كلمة "يوم" عندما ترد مع صفة عدد ترتيبي.

إن ورود استخدام كلمة "يوم" لـ 56 مرة هو دليل قوي جداً على صحة الترجمة بمعنى "عندما" أو "في الوقت الذي" الواردة في تكوين 2: 24، أنظر ألين بي. روس، " لتكوين"، في طبعة الكتاب "الفسير المعرفي للكتاب المقدس: العهد القديم" (ويتون: منشورات فيكتور، 1985)، ص(30).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يسلّم روبيرت سي. ينومان وهيرمان جي. إكلمان، اللذان يرفضان تفسير اليوم حرفياً، بالقول أنه "ما من مثال واضح وقاطع عن ("يوم" مع صفة عدد ترتيبي) يمكن أن تأتي مع كلمة "يوم" بمعنى فترة طويلة من الزمن[19]. بل ويصلان إلى الاستنتاج الخطير الهدام بأن "معظم المعاني الشائعة للكلمات المتناولة (أي: "يوم"، "مساء"، "صباح") ينبغي استخدامها لتشكل نموذجاً".[20]

كملجأ أخير، يبدو أن مؤيدي نظرية اليوم–لدهر يمكن أن يقولوا فقط أن "غياب استخدام كلمة "يوم" بمعنى يغاير الأيام العادية واستخدام الأعداد الترتيبية قبل الأيام العادية في مكان آخر في العهد القديم لا يمكن أن يعطى مغزى تفسيري واضح لا لبس فيه من ناحية فرادة الأحداث التي توصف في تكوين 1(أي الفترات الزمنية المتعاقبة وغير المحدودة)[21].

لعله يمكننا أن نورد مجادلتهم على النحو التالي: إن إعلان الله لنا عبر العلم يشير بشكل واضح إلى أن النباتات والحيوانات ما لبثت تحيا وتموت منذ ملايين وبليارات السنين. ولذلك، فإن تأييد التفسير للفهم التقليدي العبري/المسيحي عن أسبوع خلق حرفي وجديد نسبياً لا يمكن أن يكون حاسماً. وقد يتساءل المرء عن العدد الكبير من المقاطع الأخرى "غير المقبولة" فلسفياً في الكتاب المقدس التي يمكن صرف النظر عنها على هذا النحو.

2– إن التعبير الوصفي "المساء والصباح"، المرتبط بكل يوم من أيام الخلق عبر التكوين يشير إلى دورة **24** ساعة حول الأرض خلال دورانها حول محورها إشارة إلى مصدر ضوء فلكي ثابت (وليس بالضرورة أن يكون الشمس في كل حالة). وهذا التعبير نفسه يظهر في دانيال **8**: **62**، حيث يظهر ببساطة أنه لا يعني فترات زمنية طويلة وغير محدودة. لقد زعم البعض أن الآية في المزمور **90**: **6** هي مثال عن استخدام مجازي لـ "المساء" و"الصباح". ولكن صيغة تكوين **1** ليست مستخدمة هنا، وترتيب الكلمات معكوس. علاوة على ذلك، إن الاستخدام المجازي لهذه العبارات في المزمور**90** سيكون بلا معنى إن لم تكن تفترض مسبقاً استخداماً حرفياً في روايات تاريخية باكرة في الكتاب المقدس، كما في التكوين **1**.

3– إن "أسبوع" خلق مؤلف من ست فترات زمنية غير محدودة بالكاد يخدم كنموذج ذي مغزى صحيح عن دورة عمل بني إسرائيل واستراحتهم، كما أوضحها الله لهم في سيناء في الوصية الرابعة (خروج **20**: **11**؛ **31**: **7**).

بينما صحيحة هي الفكرة، بالطبع، بأن الله كان يمكنه أن يخلق العالم في ستة مليارات من السنين، أو في ست ثوانٍ (أو في جزء صغير من الثانية) لو شاء أن يفعل ذلك، إلا أن هكذا تخمينات لا تمت بصلة مطلقاً إلى الوصية الرابعة التي تعلمنا أن الله، كأمر واقع، اختار أن يخلق العالم "في ستة أيام" لكي يقدم نموذجاً واضحاً عن فترات عمل إسرائيل وفترات استراحته. إن التعبير "ستة أيام" (لاحظ صيغة الجمع" بالكاد يمكن اعتباره مجازياً في هكذا سياق للنص.

يقدم ليون موريس أيضاً موازاة ممتعة بين أسبوع الخلق والأسبوع الأول من خدمة المسيح العلنية:

> "إن كنا على صواب في رؤيتنا هكذا لمجريات أسبوع هام جداً تُعرض في بداية هذا الإنجيل، فعلينا أن نتابع ونسأل ما مغزى هذه البداية. إن التوازي مع أيام الخلق في تكوين **1** يوحي بذاته ويعزّزه التعبير "في البدء" الذي يفتتح كلا الأصحاحين. كما أن الكلمات الإفتتاحية في هذا الأصحاح تذكرنا تماماً بتكوين **1**، كذا ففي إطار العمل، ينشغل يسوع في خلق جديد. إن إطار العمل يوحي إلى حد ما بنشاط خَلْقي"[22].

4– بما أن الكلمة "أيام" في تكوين **1**: **14** مرتبطة بالكلمة "سنين"، فمن الوضح أن وحدات الزمن التي نعرفها جيداً هي التي يُشار إليه هنا، حيث أن مدتها لا تحددها ظروف ثقافية أو ذاتية، بل حركات الأرض الثابتة نسبة إلى الشمس. وإلا فأن التعبير "سنين" سيكون بلا معنى.

لابد من أن نفترض أن الأيام الثلاثة الأولى من أسبوع الخلق كانت لهانفس المدة الزمنية للأيام الثلاثة الفلكية الثابتة الأخيرة، لأن نفس العبارات الوصفية مستخدمة مع كل يوم من الأيام الستة (أي الصفات العددية الترتيبية وصيغة مساء/صباح)، وإن كل الأيام الستة مجمعة معاً في خروج **20**: **11** لتقدم نمطاً عن أسبوع العمل لإسرائيل. وإن حقيقة أن الشمس لم تخلق حتى اليوم الرابع لا تجعل من الأيام الثلاثة الأولى فترات

---

[19] - روبرت سي. نيومان وهيرمان إكلمان "تكوين أو أصل الأرض" (داونرزغروف: منشورات انترفارسيتي، 1977)، ص 61.

[20] - المرجع السابق، ص74.

[21] - والترإل. برادلي وروجر أولسون: "موثوقية الكتاب المقدس في مجالات تتعلق بالعلوم الطبيعية"، في كتاب إيرل دي. راد ماشر وروبيرت دي بروس : "التفسير، والعصمة، والكتاب المقدس" (غراندرابيز: منشورات دار روندرفان، 1984)، ص229 . وفي نفس المجلد يذهب إل أرثر أبعد من ذلك إلى حد القول أن "نظرية ال24 ساعة لم تكن أبداً صحيحة ولا يجب أبداً الأخذ بها" ص329. أنظر رد هنري م. موريس في نفس المجلد ص337، 348.

[22] - "الإنجيل بحسب يوحنا" (غراندرابيدز: منشورات داروم. ب.إيردمانز،1971) ص130.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

زمنية غير محدودة، إذ أن الله خلق في اليوم الأول مصدراً للضوء ثابتاً ومتموضعاً في السماء والذي على أساسه مرت الأرض في دورانها عبر نفس النوع من دورات النهار/الليل التي كانت منذ خلق الشمس[23].

هذا الضوء ما كان ليكون نور طبيعة الله المقدسة، لأن الله خلقه ("ليكن"). إضافة إلى ذلك، لو كان نور الله نفسه لكان نصف الأرض سيبقى في الظلمة. ومن هنا، فقد كان نوراً مخلوقاً، متموضعاً في مكان ما في الكون، وعلى الأرجح غير مشترك مع الكون النجمي في اليوم الرابع من أسبوع الخلق بعد إنجاز وظيفته الفريدة والمؤقتة. إن المضامين اللاهوتية من تأجيل خلق الشمس، والقمر، والنجوم إلى النصف الثاني من أسبوع الخلق، لها مغزى كبير قياساً إلى الإستخدم الوثني لهذه الأجرام المحدودة وفاقدة الحياة من قِبَل الإنسان الساقط (انظر تثنية 17: 3؛ أيوب 31: 26- 28)[24].

ومن هنا، فإن تحليلاً دقيقاً للكلمة "يوم" من ناحية استخدامها في العهد القديم، ومقترنة بصفة العدد الترتيبي وصيغة مساء/صباح، وبارتباطها بالتعبير "سنين" خاصة على ضوء دورة العمل والإستراحة التي أعطاها الله لإسرائيل، يقودنا حتماً إلى الاستنتاج بأن أيام الخلق كانت حرفية ومؤلفة من 24 ساعة متتالية. وبالتالي، فأن تطيل الأيام إلى عصور طويلة أو أن تقحم دهوراً طويلة بين الأيام هو أمر غير منطقي كتابياً[25]. إن الفهم اليهودي–المسيحي التقليدي يؤيده التفسير الكتابي: الكون خلقه الله خلال أيام أسبوع واحد حرفياً.

إزاء التفسير الحرفي لليوم في تكوين 1، جادل البعض بأن هناك مقاطع أخرى في الكتاب المقدس تتحدث عن "يوم" في عيني الله هو كألف سنة. صحيح أن هكذا عبارة وردت مرة في العهد القديم (مزمور 90: 4) ومرة في العهد الجديد (2بطرس 3: 8). ولكن هاتين الآيتين لا تضعفان الرأي باليوم الحرفي للخلق بل إنها تساعد في تعزيزه بالفعل.

في 2بطرس 3: 8، مثلاً، لا يُقال لنا أن أيام الله يدوم كل منها ألف سنة، بل أن "يوم" واحد عند الرب هو ألف سنة..... أن نقول "هو كألف سنة" هو أمر مختلف جداً عن القول "هو ألف سنة". هذه الفكرة غالباً ما كانت موضع تفحص. إن كانت عبارة "يوم واحد" في هذه الآية تعني حقاً فترة طويلة، فعندها نصل إلى الإبهام التالي: "عند الرب، فترة طويلة من الزمن هي ألف سنة". ولكن ألف سنة ستكون فترة زمنية طويلة جداً بالنسبة للبشر أيضاً. لا بد أن يُفهم (مز90: 4) بنفس الطريقة إذا كان المقصود هو المغايرة بين الله والإنسان: "لأن ألف سنة في عينيك هي كمثل أمس عبر.....". فهنا كلمة "أمس" لابد أنها تشير إلى فترة 24 ساعة وإلا لا يكون لدينا تغاير هنا.

وبالتالي، فإن التعليم الواضح في مز90: 4 و2 بطرس3: 9، هو أن الله فوق حدود وقيود الزمن. ونستدل من هذا على أن الله يمكن أن ينجز بيوم واحد حرفي ما لا يستطيع الإنسان إنجازه في ألف سنة. هذه إحدى الرسائل الصادمة التي نتلقاها من خلال التفسير العادي لرواية الخلق في تكوين 1: الله وحده له قدرة لا محدودة. وكان إرميا قد رأى هذه الحقيقة الراسخة:"[آهِ أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ هَا إِنَّكَ قَدْ صَنَعْتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقُوَّتِكَ الْعَظِيمَةِ وَبِذِرَاعِكَ الْمَمْدُودَةِ. لاَ يَعْسُرُ عَلَيْكَ شَيْءٌ" (إرميا32: 17).

أمن الممكن أن الخالق كان في حاجة إلى اليوم السابع ليستريح من عناء ستة أيام في عمل الخلق؟ الجواب يأتينا بهذا الوضوح المذهل: "أَمَا عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَسْمَعْ؟ إِلَهُ الدَّهْرِ الرَّبُّ خَالِقُ أَطْرَافِ الأَرْضِ لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَعْيَا. لَيْسَ عَنْ فَهْمِهِ فَحْصٌ. يُعْطِي الْمُعْيِيَ قُدْرَةً وَلِعَدِيمِ الْقُوَّةِ يُكَثِّرُ شِدَّةً" (أشعياء 40: 28– 29)

ببساطة يمكن القول أنه لا يمكن للفكر البشري أن يدرك قدرة الله وقوته: " فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَنِي فَأُسَاوِيهِ؟ يَقُولُ الْقُدُّوسُ .... لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ هَكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ" (أشعياء40: 25؛ 55: 9).

هذه الحقيقة البالغة الأهمية المتعلقة بالله تتم تسويتها جدياً، إن لم يكن إبطالها، عندما تمطّ رواية الخلق الواردة في التكوين لتدخل فيها عصور زمنية واسعة لجعل المقطع "معقولاً" و"مقبولاً علمياً" أكثر، وهكذا تتلاءم مع مستوى تفكير الإنسان الطبيعي المحدود. إن تحريف الكتاب المقدس

[23]- أنظر: ه.سي. ليوبولد: "تفسير التكوين" (كولومبوس، أوهايو: منشورات وارتبرغ، 1942)، ص53،51.
[24]- أنظر جوت سي. ويتكمب ودونالد بي. (ديونغ: "القمر: خلقه، شكله وأهميته" (فينونا ليك، منشورات، BMH،1978)، ص162،153.
[25]- لمناقشةعن نظرية الفجوة في التكوين 1: 1- 2 ونظرية الفوضى/الخلق في تكوين 1:1- 3، أظر الفصل الخامس. إن كل محاولة لتكييف أو ملائمة العصور الطويلة للجيولوجية النشوئية، سواء قبل أو أثناء أو بين أيام الخلق هو تسوية عاجزة للمفهوم الكتابي عن اللعنة والموت الذين دخلا إلى العالم فقط بعد تمرد الإنسان وعصيانه (رومية 5: 12، 8:18-23)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يشوه رسالة الله لنا. وإنّ ما قاله الرسول بطرس فيما يتعلق برسائل بولس ينطبق طبعاً وبالتأكيد على الأصحاحات الافتتاحية من الكتاب المقدس، "... الَّتِي فِيهَا أَشْيَاءُ عَسِرَةُ الْفَهْمِ، يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضاً، لِهَلاَكِ أَنْفُسِهِمْ" (2 بطرس 3: 16).

هناك اعتراضٌ آخر واسع الانتشار على التفسير الحرفي لليوم في التكوين 1 يقول بأنّ اليوم السابع لم ينتهِ بعد، لأن الله لا يزال يستريح من عمل الخلق (انظر عبرانيين 4: 3– 11)[26].

هذا النقاش والجدل يقدم الكثير من التشويش بين الأحداث التاريخية والتطبيق الروحي لها. فـ "الاستراحة" التي في عبرانيين 4 هي استراحة الخلاص الروحية (انظر متى 11: 28– 30)، وبها يشارك المؤمن في البركة الأبدية والامتلاء الذي يميز الله. بالطبع لم يكن الله بحاجة إلى أن ينتظر إلى نهاية اليوم السادس من أسبوع الخلق لكي يبدأ هذا النوع من الاستراحة ولذلك، فإن السبت الأول لم يكن قد وُضِعَ من أجل مصلحة الله (انظر أش 40: 28؛ يوحنا 5: 17) بل كان لأجل منفعة الإنسان (مرقس 2: 27). هذه الفكرة غالباً ما يتم تجاهلها ولكنها حاسمة في تحديد مدة وهدف يوم السبت الأصلي.

أصرّ إدوارد يونغ على أنّ "اليوم السابع يجب تفسيره على أنه مشابه في طبيعته إلى الأيام الستة الأولى. وليس هناك من برهان كتابي على الإطلاق (ولا حتى في عبرانيين 4: 3– 5) على فكرة أن اليوم السابع أبدي[27] ويوافقه هومر إ. كنت الرأي فيقول:

> "هذه [الحقيقة في أنّ ليس هناك من نهاية تُذكر لليوم السابع] لا تحمل المعنى بأن اليوم السابع لم يكن يوماً حرفياً بمساء وصباح، كما الأيام الستة السابقة من الخلق. وعلى كل حال، استخدم الكاتب صمت الكتاب المقدس على هذه الفكرة ليقول في مجادلته أن استراحة الله في يوم السبت لم تنتهِ أبداً. ونفس الطريقة والجدال نستخدم في عبرانيين 7: 3 بما يتعلق بغياب سجل عن ميلاد ملكي صادق، أو نسبه أو موته"[28].

كم من الوقت، إذاً، قد دامَ يوم السبت الأول؟ من الواضح أن كل الإسرائيليين، الذين قد عيّن الله لهم أن يحفظوا السبت قد فهموا أنّ هذه الفترة كانت 24 ساعة تماماً، استناداً إلى نموذج السبت لدى الله: "سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ. وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. لا تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ – لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذَلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ" (خروج 20: 9– 11).

فلو قرر أي إسرائيلي أن يطيل مدة حفظه للسبت على نحوٍ غير محدد على افتراض أن سبت الله (راحته) لا يزال مستمراً، فعندها سيموت من الجوع (انظر خروج 35: 3). وبنفس الأهمية هناك الاستنتاج بأنّ آدم وحواء لا بدَّ أن يكونا قد عاشا طوال يوم الخلق السابع برمته قبل أن يطردهما الله من الجنة، لأن الله ما كان ليلعن الأرض (تكوين 3: 17) خلال نفس اليوم الذي "باركه" و"قدسه" (تكوين 2: 3).

دافع البعض حتى عن فكرة أنّ اليوم السادس من الخلق قد امتدَّ بالتأكيد فترةً أطول من 24 ساعة لأن الله لا بد أن يكون قد أعطى آدم زمناً كافياً ليصبح لوحده. وهذا يؤكده، كما يزعمون، حقيقة أنّ آدم عندما استيقظ ورأى حواء هتف قائلاً: "هَذِهِ الْآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي...." (تك 2: 23 أ)[29].

ولكن التعبير "الآن" (أي "هذه المرة" أو "الآن أخيراً")[30] لا يمكن أن يُضغَطَ ليحمل معنى بشكل مطلق (بدلاً من نسبي) فترة طويلة من الزمن. لقد أحسنَ يعقوب عندما استخدم هذا التعبير بعد ساعتين أو ثلاث من المصارعة الشديدة مع الله (تكوين 32: 24؛ هوشع 12: 2– 5). ولكن ليس من الضروري أن نُخمن حول الاستخدامات الممكنة لهذا التعبير، لأن إبراهيم في تكوين 18: 32 استخدمه في نهاية أحد محادثاته مع إلهِ. ويوضح نيومان وإكلمان قائلين: " هنا نجد الذروة العاطفية القوية تُبنى بسرعة لأن ابراهيم يساوم الله"[31].

---

[26] - انظر ر. سي. نيومان و هـ. ج. إكلمان : "تكوين 1 وأصل الأرض" ، ص65.
[27] - إدوارد يونغ: " دراسات في تكوين 1" (فيلبسبرغ، منشورات الكنيسة المشيخية والمصلحة، 1964)، ص 77، ملاحظة 73.
[28] - هومر إ. كنت: "الرسالة إلى العبرانيين" (وينونااليك، منشورات BMH، ص 82، ملاحظة 32. ويوافق تشارلز رايري على هذا القول: "يمكن القول تحديداً أن العبرانيين لا تقول سوى أن الله قد استراح في اليوم السابع. إنها لا تقول استراحَ ولا يستريح" (اللاهوت الأساسي، ويتن: كتب فيكتوري، 1986)، ص186.
[29] - روبرت سي. نيومان وهيرمان ج. إكلمان: "تكوين 1"، ص 131.
[30] - انظر براون، درايفر، وبريغز: " معجم عبري إنكليزي للعهد القديم" ص 822.
[31] - نيومان وإكلمان: "تكوين 1" ، ص 131.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

هذا الشرح يُبطل بشكل واضح جدالَهم كليّاً، لأن آدم بالكاد قد تشارك عاطفياً مع الله ومع إمرأته المخلوقة حديثاً بنسبةٍ أقل مما تشاركه إبراهيم مع إلهِهِ. من المحزن أنّ المفكرين المسيحيين الذين يصرون على أن آدم ما كان ليمكنه أن يُسمي الطيور والثدييات في يومٍ واحد حتى مع فكرة المخلوق حديثاً وغير الساقط، وبمعونة الله الخاصة (تكوين 2: 19_ "أحضرها الرب الإله إلى آدم")، يطلقون العنان للاستقراءات المتساوقة الحافلة بالمخاطرة نمطياً والتي تميز دراسات كثيرةٍ جداً للتكوين 1– 11 في جيلينا. إنّ إعطاء زمنٍ أطول بقليل لآدم ليسمي الطيور والثدييات قد يبدو للبعض مسألة غير منطقية تماماً. إن ما يطلبه نيومان وإكلمان هو في الواقع ليس فقط بضعة أيام أو أسابيع لآدم ليسمي الحيوانات، بل "أسبوع خلق" يمتد "15– 20 مليار سنة"، بما فيها عمليات النشوء وما يزيد على مليار سنة من الموت في مملكة الحيوان قبل السقوط، مع استمرار الافتراض بأن اليوم السابع لا يزال في المستقبل.[32]

من ناحية العقيدة الكتابية المتعلقة بخلق العالم، هذه العقيدة الهامة بشكل حيوي جداً، سيبدو من غير المعقول أن ينتظر الله حتى القرن التاسع عشر الميلادي (أكثر من ثلاث ألفيات بعد كتابة التكوين) ليعلن لشعبه أن رواية الخلق تشتمل دهوراً وعصور واسعة ممتدة فيها موت وهلاك في مملكة الحيوان قبل خلق آدم. وكما يقول أحد المؤيدين لمفهوم الأرض القديمة بجرأة:

> "حتى نهاية القرن التاسع عشر، كان المسيحيون يُجمعون عملياً على الاعتقاد بأن الأرض كان عمرها حوالي ستة آلاف سنة بحسب تعليم الكتاب المقدس. ولكن الدراسة العملية المطردة.... شكلت ضغطاً على كاهل المفكرين المسيحيين ليعيدوا النظر في مسألة عمر الأرض"[33].

للتأكيد، فإنّ حفنة من آباء الكنيسة كانوا متأثرين كثيراً بالفلاسفة الوثنيين في عصرهم فنظروا إلى الكثير مما ورد في تكوين 1 مجازياً، تماماً كما يفعل كثير من اللاهوتيين في يومنا هذا. ولكنهم "لم يعبثوا بفكرة الخلق ممتداً على مدى فترة طويلة من الزمن بل كانوا يعتقدون بالفكرة القائلة بأن الخلق لم يكن فورياً. هذه النظرية افترضها أوريجنس، وهيلري، وأغسطينوس، وجيروم (إيرونيموس)"[34]. ولكن التعليم الحقيقي في تكوين 1، مجرداً من التخمينات الاستعارية المجازية جميعاً، يأتي إلى شعب الله بوضوح مذهل. حتى اللاهوتيون الليبراليون، ولأسبابهم الخاصة يؤكدون هذه الفكرة. فعلى سبيل المثال، يعلق جيمس بار الذي من المعهد المشرقي في جامعة أوكسفورد قائلاً:

> "على حد علمي، وحتى الآن، ليس هناك مدرس للغة العبرية أو العهد القديم في أية جامعة في العالم لا يعتقد أن كاتب (أو كتاب) تكوين 1– 11 كان يقصد أن ينقل لقرائه فكرة أن الخلق حدث في سلسلةٍ من ستة أيام كان كلٌ يومٍ منها مؤلفاً من 24 ساعة كما نعرفها الآن"[35].

هناك عدد من الآيات في العهد الجديد تدل بشكل قوي على أن الجنس البشري خُلق تقريباً في نفس الوقت مع الكون المادي. فعلى سبيل المثال، قال ربنا أن "مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُمَا اللَّهُ" (مرقس 10: 6). ولكن إن كانت مليارات من السنين قد انقضت بين خلق الأرض وخلق الجنس البشري، فهذا القول سيكون مُضللاً وخاطئاً. من أجل أقوال مشابهة انظر متى 13: 35، مرقس 13: 19، لوقا 11: 50، رومية 1: 20، عبرانيين 4: 3، 9: 26.[36]

تظهر كتابات دافس يونغ التوترات الهائلة التي اختلقها القائلون بنظرية التساوق (وليس القائلون بحادثة واحدة فريدة) عندما ينظرون إلى الجيولوجيا التاريخية فيعطونها سلطة ومصداقية مساوية للأصحاحات الأولى من سفر التكوين. فمن جهة يؤكد دافس يونغ على أن الكتاب المقدس موثوق به أكثر بكثير من العلم[37]، وأنه:

> "إن كان من الممكن أن نظهر بما لا يرقى إليه الشك أن الكتاب المقدس يفترض 24 ساعة لليوم، فإنّ العالم المسيحي لا بدّ أن يقبل ذلك ويتخلى بالفعل عن آراء العلوم الجيولوجية ويلجأ إلى شيءٍ آخر. إن كان متماسكاً وثابتاً في إيمانه بالكتاب المقدس، فلا بدّ له أن يفعل ذلك"[38].

---

[32] - المرجع السابق، ص 83_ 85.
[33] - دافس يونغ: "المسيحية وعمر الأرض" (غراندرابيدز: منشورات زوندرفان، 1982)، ص 13.
[34] - جون و. كلوتز: " دراسات في الخلق" (سانت لويس: منشورات كونكورديا، 1985)، ص 68.
[35] - رسالة شخصية إلى دافد سي. واتسن، المؤرخة بتاريخ 23 نيسان، 1984.
[36] - مقترحة من رسالة شخصية أرسلها دافد واتسن مؤرخة بـ 23 نيسان 1984.
[37] - دافس يونغ: "الخلق والطوفان: البديل عن جيولوجيا الطوفان والنشوئية الإيمانية" (غراند رابيدز: منشورات باكر 1977)، ص 18- 22.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ومن جهة أخرى، يتابع قائلاً: ".... كعالم جيولوجي، إني مستمتع جداً بهذا التفسير (الرأي باليوم– دهر لتكوين 1)، لأني اعتدتُ على التفكير بمليارات السنين"[39]. فالنظرة الاستعارية المجازية لتكوين 1 "تعطي العَالِم حريةً كبيرة"[40]، وتتركه "غير متقيد"[41]. باختصار، على المسيحي أن يكون مستعداً لأن يترك التقدم العلمي يسير في مساره الخاص وفي زمنه الخاص أي أن يتطور بشكل طبيعي مع ظهور الاكتشافات الجديدة. لا يستطيع المرء أن يفرض على التفكير العلمي أن يسير باتجاه محدد"[42]. لا يمكن تقديم تفسير مقنع عن السبب في أن هذه المقاربة تجلّ سيادة الكتاب المقدس أو تختلف عن النشوئية الإيمانية المباشرة.

ببساطةٍ ليس هناك مهرب من حقيقة أن الله يقصد لنا أن نفهم أن خلق الكون والأرض، ولأهداف عملية قد صار فوراً وبلحظةٍ واحدة. إنّ مضامين هذا الجانب من الوحي الإلهي من جهة المحاولات الحالية المنتشرة لأقلمة وتوثيق التكوين مع النشوئية الكونية واضحة تماماً من دون ريب. فاقتراح "خلْقٍ تدريجي" للشمس والقمر والأرض قد يكون مفهوماً لبعض العقول. ولكن بالنسبة لمعظم الناس هكذا مفهوم سيطرح مسألةً جدية للغاية فيما إذا كان الله، كأمر مسلم به، قد خلق أصلاً وحقاً الشمسَ والقمرَ والأرضَ على الإطلاق. عندما تبدأ الحقيقة المذهلة تتضح معالمها، في أن هذه الأجرام الفلكية العظيمة قد خُلقت فورياً لحظياً ومن العدم، فإنّ كل الأسئلة والشكوك الجدية الكبيرة المتعلقة بالألوهية وقدرة الخالق ومجده تتلاشى (انظر رومية 1: 20). هذا هو السبب في أنّ المقاربة اليهودية/المسيحية للخلق ليست فقط صادمة بل أيضاً تنشيء بتأثيرها تحولاً على الفكر البشري[43].

الخلق مشتملٌ على ترائي ظاهري تاريخي:

إنّ الفوق طبيعية والفجائية في الخلق تشكل خلفية ضرورية لمفهوم الخلق بتراءٍ ظاهري تاريخي أو دهري. هناك بضعة عقائد كتابية تتلاقى مع هذا التصور الخاطىء والهزئي، ليسَ من قبل كتاب علمانيين مدنيين بل أيضاً من قبل أؤلئك الذين يزعمون أنهم مسيحيون إنجيليون. وفي نفس الوقت، هناك بضعة عقائد بعيدة عن متناول الفهم في مغزاها اللاهوتي، وهذا يعود لسببين على الأقل.

بالدرجة الأولى، إن لم تكنْ هذه العقيدة صحيحة، فلا يكون هناك خلق أصلي حقيقي من قبل الله على الإطلاق. لقد أوضح هنري م. موريس هذه الفكرة تماماً بقوله: "إن كان الله قد خلق فعلاً أي شيء على الإطلاق، حتى أبسط الذرات أو المخلوقات، كان فيها من كل بدٍ ظهور أو تراءٍ دهري ما.فما كان ليمكن أن يكون هناك خلق حقيقي من أي نوع، بدون ظهور دهري أولي متأصل فيه. وكان لا يزال ممكناً تفسير المادة المخلوقة حديثاً كنوع من تاريخٍ نشوئي سابق. وإن كان الله قد استطاع أن يخلق أشياء ذرية ذات ظهور دهري– أي إن كان الله موجوداً– فعندها لا يكون هناك سبب يفسر، مع انسجامه الكامل مع صفة الحق فيه، عدم خلقه لعالم كاملٍ متكامل[44].

بالدرجة الثانية، إن كانت عقيدة الخلق مع ترائي تاريخي غير صحيحة، فعندها معظم المعجزات المدونة التي قام الرب يسوع المسيح بها لا تكون قد حدثت. في إحدى الأمسيات على سفح الجبل قرب بحر الجليل، أكل خمسة آلاف رجلٍ مع عائلاتهم أرغفة خبزٍ وسمكٍ كان (الرب) قد خلقها بترائي دهري. فها هنا كانت عشرات آلافٍ من أرغفة شعيرٍ مكونة من حبوب لم تُحصد من الحقول ولم تُخبز في الأفران. وكان هنا على الأقل عشرة آلاف سمكة لم تفقس من بيض أو تُمسك بشباك أو تجفف في الشمس.

"إنّ معجزة إطعام أربعة آلاف وخمسة آلاف التي اشتملت على خلق لحظي فوري لمواد حيوانية ونباتية يلقي الضوء بشكلٍ مؤكدٍ على خلق الحيوانات والنباتات في الأيام الثالث والخامس والسادس من تكوين 1"[45].

---

[38] - المرجع السابق ص 82.
[39] - المرجع السابق ص 91.
[40] - المرجع السابق ص87.
[41] - المرجع السابق ص113.
[42] - المرجع السابق ص 114. ولأجل المزيد من التحليل لآراء دافس يونغ انظر جون سي. ويتكمب: "علم الجيولوجيا التاريخية"، مجلة ويستمينستر اللاهوتية 36: 1 (خريف 1973)، ص 65- 77؛ ومراجعة دونالد دونغ لدافس يونغ: "المسيحية وعمر الأرض"، في مجلة النعمة اللاهوتية 4: 2 خريف 1983)، ص 297- 301.
[43] - حتى فيما يتعلق بخلق الكائنات الحية، من الملائم أكثر أن نتحدث عن "خلق لحظي فوري" أكثر من الحديث عن "تسلسل عمليات في الخلق"، لأن الشفاءات المعجزية الت قام بها ربنا بالكاد يمكن وصفها على أنها تمت "على مراحل". حاولَ ميريدث كلاين أن يجد عملية اعتنائية (خاصة بالعناية الإلهية) في تكوين 2: 5 ("لأنها لم تمطر"، مجلة ويستمينستر اللاهوتية 20: 2، [أيار، 1958]، ص 146- 157)، ولكن غدواريونغ أظهر بطلان هذا الرأي وأصرَّ على وجود خط حاد من المحدودية بين "الأوامر الخاصة والإلهية، والخَلْقية" وعمل الله العادي أو عنايته (دراسات تكوين 1، ص 58- 65). كارل هنري رفض أيضاً رأي كلاين ("الله، الإعلان والسلطان" [واكو: منشورات ورد، 1983]، 6: 134).
[44] - جون سي. ويتكومب، و هنري م. موريس، "الطوفان في التكوين" (فيليبسبرغ: منشورات الكنيسة المشيخية والمصلحة، 1961)، ص 238.
[45] - مارفن ل. لوبينو، "من سمكة إلى غيش": ينقض موريس وغيش مجموعة القوانين النشوئية (سان دييغو: منشورات CLP، 1983)، ص 196.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

مثالٌ واضح آخر على نفس المنوال نجده مدوناً في الأصحاح الثاني من إنجيل يوحنا. عندما بدأ المسيح خدمته العلنية على الأرض، فأول أعجوبة قام بها "أظهرت مجدهُ" (يوحنا 2: 11) كخالقٍ للعالم (1: 3، 14). كيف أنجز ذلك؟ بتحويلٍ مباشرٍ فوري لحوالي 150 غالوناً من الماء إلى خمرٍ لذيذةٍ. وإنّ الخمر هو الحصيلة النهائية لسلسلة طويلة من العمليات الطبيعية المعقدة التي تشتمل على سحب الماء من النفايات في ثمار الكرمة والتحويل التدريجي لهذا الماء إلى عُصارة العنب. وحتى عندئذٍ العنب الناضج يجب أن يُقطَف وأن يُعصَرَ العصير منه وأن يُسمحَ للثُفالة أن تترسب. ولكن يسوع، رب الخليقة والخلق، تجاوز كل هذه العمليات الطبيعية والبشرية وخلق الناتج النهائي بظهور تاريخي.

> "إنّ حقيقة بدء الرب (أعاجيبه) بالماء لا يقلل من حقيقة أن المعجزة هي أعجوبة حقيقية في الخلق. لقد أخذ الرب المكون H_2O وحوله إلى $C_6H_{12}O_6$ (الفركتوز، السكر الموجود في الخمر)، وأيضاً المنتجات الأخرى العديدة الموجودة في الخمر. لم يكن هناك فقط خلق مباشر لمليارات ذرات الكربون، بل ترتيبها جميعاً إلى جزيئات معقدة جداً يتركب منها الخمر. وما من أحد يمكنه أن ينكر أنّ هذا قد حدث بشكل مفاجئ وفوري"[46].

من المفيد لعلمنا أن نلاحظ أن رئيس المتكأ الذي "لم يعرف من أين جاء (الخمر)", افترضَ بشكلٍ طبيعي أن هذه "الخمرَ الجيدة" قد "أُبقِيت.... إلى الآن" في مكان ما (2: 10). كان هذا استنتاجاً طبيعياً، بالطبع، إذ لم يكن ليخطر في باله أو في بال أي أحد آخر في العالم احتمال أن تأتي الخمر مباشرةً من الماء. فمن المفترض بالتأكيد أن تمرَّ هذه عبر تطورٍ طبيعي في التاريخ. ولكن كان على خطأ. فهو لم يعرف القدرات الفائقة الطبيعة التي يتمتع بها المسيح، الله الخالق. إن كنتُ أفهم الكتاب المقدس بشكلٍ صحيح في هذه النقطة، فهذا هو السبب الحقيقي الكامن وراء نكران أو رفض فكرة الخلق الفائق الطبيعة. عندما نتأمل في أعمال الرب يسوع المسيح المخلوقة، سواء كانت الشمس أم القمر أم الأرض أم المحيطات أم النباتات أم الحيوانات أم الكائنات البشرية أم الإنسان الطبيعي،كما فعل رئيس المتكأ، فإننا نفترض ببساطةٍ أنها كلها قد "أُبقيت" في مكانٍ ما "حتى الآن"، وقد مرت عبر عملياتٍ طبيعيةٍ معقدةٍ من الأشكال الأولية البسيطة خلال فتراتٍ زمنيةٍ واسعة.

ليس من الصعب أن نرى تطبيق هذا المبدأ أيضاً على كل معجزة شفاء عظيمة قام بها ربنا. يخبرنا الأصحاح التاسع من إنجيل يوحنا عن رجلٍ وُلِدَ أعمى قد أعطاه يسوع نظراً كاملاً. لقد رفضَ رؤساء وسادة إسرائيل أن يؤمنوا أو يصدقوا أن الرجل الذي أُحضرَ أمامهم كان أعمى منذ الولادة – إلى أن سألوا والديه. يمكننا فهم حيرتهم. فكما عبر الرجل الذي شُفيَ:"مُنْذُ الدَّهْرِ لَمْ يُسْمَعْ أَنَّ أَحَداً فَتَحَ عَيْنَيْ مَوْلُودٍ أَعْمَى" (يو 9: 32). ففي لحظةٍ، خلق يسوع ظاهرةَ رجلٍ وُلِدَ ببصرٍ طبيعي.

على نفس المنوال، خلق يسوع في لعازر في بيت عنيا مظهر رجل لم يكن قد مات بعد. مَن بـ "فكره السليم" كان ليتخيل أن التاريخ الأخير الحديث لهذا الرجل الذي كان يجلس إلى مائدةٍ في بيت عنيا (يوحنا 12: 2) كان يشتمل على أربعة أيام من التحلل في قبر؟ "لأنّ عملية التحلل والتعفن تشتمل على تحلل المكونات البيولوجية المعقدة إلى مكونات بسيطةٍ، فإنّ كل خلية من جسد لعازر كان لا بدّ أن يُعادَ خلقُها وأن تُرجعَ إلى تعقيدها الأصلي. وهذا أيضاً كان أمراً مفاجئاً فورياً لا يمكن لأحد أن ينكره"[47]. لذلك فإن كل لحظةٍ من شفاءاتٍ فائقة الطبيعة أو مفاجئة أو كاملة للمريض، أو عاجز الرجلين، أو الأموات كانت تشتمل على خلقٍ لظاهرةٍ من حالةٍ سابقة فورية من الصحة والقوة لم تكن قبلاً. كل كاهن ممن كانَ مدعواً لأنْ يتفحص المجذومين الذين طهّرهم يسوع لا بدَّ أنه فكرَ في هذه المسألة (انظر متى 8: 4).

غالباً ما يعرّف النقاد المعاصرين لهذه العقيدة الخلق الكتابي باستخدام آراء فيليب هنري غوسي المتطرفة (1810– 1888)، الذي كتب كتاباً بعنوان "أومفالوس[48]: محاولة لحل العقدة الجيولوجية"[49]. إن غروسي لم يؤمن فقط بأن آدم قد خُلِقَ بسرّةٍ (ومن هنا جاء اسم الكتاب، من الكلمة اليونانية التي تعني السرّة)، بل إنّ كل البُنى والتشكيلات الجيولوجية المدركة، بما فيها الطبقات الأحفورية، قد خُلِقت في المركز.[50]

---

[46] - المرجع السابق.
[47] - المرجع السابق.
[48] - أومفالوس: (Omphalos): صخرٌ إغريقيٌ مقدسٌ قديمٌ وخاصة ذاك الذي كان في دلفي والذي كان يُعتقد أنه مركز العالم. هنا نجد أن الكلمة تستخدم للدلالة على "سرة" الإنسان [فريق الترجمة].
[49] - "أومفالوس: محاولة لحل العقدة الجيولوجية" (لندن: جون فان فورست، 1857). انظر لوريتا روستير: " الآب والابن: مأساة إدموند غوسي" (علم الخلق الاجتماعي ورباعية العلوم الإنسانية" 2: 3[ربيع 1980].
[50] - المرجع السابق، ص 347.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يُعلق غ. ج. رينيه "إن كان فيليب غوسي على حق، فيمكن للمسيحي المتأصل أن يكون عالماً، لكنه لا يمكنه أبداً أن يكون مؤرخاً"[51]. إننا متفقون عموماً مع هذا الحكم، لأن مفهوم غوسي عن خلق المستحاثات يشتمل بالفعل على نكران لتاريخ كتابي خاصة تاريخ اللعنة التي في عَـدْن في إدخال الموت الجسدي كنتيجة لخطيئة الإنسان، والطوفان العظيم بقدرته الفريدة وسرعته الفائقة في دفـن النباتـات والحيوانـات في تشـكيلاتٍ مستحاثية.

إضافةً إلى ذلك، فإن الكتاب المقدس لا يشير إلى أن آدم كانت له سرّة، لأن عدم وجود هذه العلامة عن الارتباط الجنيني بأمٍ بالكاد يُرسّخ حقيقة أن آدم كان كائناً متناقضاً غير كامل. ولنفس السبب، فإن الأشجار الأولى لم تكن بالضرورة تحوي حلقات نمو داخلها، ما لم يكن إظهـار أن هذه ستكون أساسية لحياة الشجرة. لعلّه يمكننا أن نكون متأكدين أنه لم يخلق عالماً مليئاً بشهاداتٍ غير ضرورية أساسية أو خالية من الخطأ عن تاريخٍ سابقٍ بغية خداع البشر وتضليلهم. وهذا هو السبب في أنني أفضل استخدام التعبير "ترائي خارجي دهري" لوصف الخلـق الأصـلي في التحليـل الأخير، على كل حال، الكتاب المقدس وحده يجب أن يكون دليلنا لتحديد ما خلقه الله فعلياً، بالمعنى الكتابي لذلك المصطلح.

في تكوين 1: 11 أمر الله الأرضَ أن "لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْباً وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْراً وَشَجَراً ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَراً كَجِنْسِهِ بِزْرُهُ فِيهِ عَلَى الأَرْضِ»". أنى لنا أن نفهم ذلك؟ إذ كنت لسنواتٍ عديدةٍ أوافق في الرأي أولئك الذين يصرون على وجود دليل كتابي، هنا على الأقل، على سلسلة معـاملات في الخلق[52]. ولكن دراسة واسعة مستفيضة للنص الكتابي قادتني إلى التخلي عن ذلك الرأي. الإطار الصحيح لفهم أحداث أسبوع الخلق ليس هو عالمنا الحاضر للعملية غير الخلاقة (القانونان الأول والثاني لعلم الترموديناميك– الميكانيك الحراري)، لكن إلى حدٍّ ما شخصُ وعملُ الرب يسوع المسـيح كما كُشِف النقاب عنه في العهد الجديد: إن كانت كل معجزة مرئية أجراها ربنا على الأرض تقريباً تضمنت خلقاً للتاريخ المبطن، فهل يجب علينـا أن نتوقع أي شيء أقل خلال تلك الفترة التي لا مثيل لها عندما أتى بالعالم إلى الوجود؟ عندما أمر (الله) الأرض بأن تُنتجَ أشجاراً مثمرة، هـل كـان عليه خلق بذور أولاً وبعدها ينتظر عدداً من السنين حتى تنمو لمرحلة النضوج؟ إن الأمر الأكثر انسجاماً مع أعماله الأخيرة في الأرض المقدسة هـو أن نفهم هذا الأمر كونه أُنجز بظهور فجائي لأشجار مثمرة تامة النمو تحمل ثماراً. بدون شك ستُعارض هذه الفكرة لأن هـذا مخـالف لطريقـة الله العادية والملحوظة لجلب الأشجار المثمرة إلى الوجود في الوقت الحاضر. هذا صحيح تماماً. لكن لو تابعنا هذا الأسلوب في المناقشة بشكل متماسك، لوصلنا إلى فكرة أن الله ما كان ليستطيع أيضاً أن يخلق البذور الأولى، لأنه إذا كانت المراقبة أو الملاحظة العادية هي دليلنا، فالبذور الشديدة التعقيد للأشجار المثمرة يمكن أن تأتي فقط من أشجار مثمرة.

ينص العهد القديم نفسه على تشابهات مهمة للخلق الفائق الطبيعة للحياة النباتية "تامة النمو". لاحظ، مثلاً، وصف الله لعصا هارون فقـط بعد ساعات قليلة من وضعها كعصا ميتة في خيمة الاجتماع: "... وَإِذَا عَصَا هَارُونَ لِبَيْتِ لاوِي قَدْ أَفْرَخَتْ. أَخْرَجَـتْ فُرُوخـاً وَأَزْهَـرَتْ زَهْـراً وَأَنْضَجَتْ لوْزاً" (العدد 17: 8). بقي مفعول هذا الشيء المعجزي لعدة قرون في تابوت العهد "كعلامة" (17: 10). قارن الأفعال التي اسـتُعملت هنا ("نبتت"، "أفرخت"، "أنتجت"، "وحملت") مع الأفعال في التكوين 1: 11 ("تنبت"، "تعطي"، "تحمل"). يجب على المرء أن يتأمل المغزى الكـبير لنبتة الظل (اليقطينة) التي "نمت في ليلة واحدة" شرقي نينوى بعمل الله العجائبي لمصلحة نبيّه المضطرب (يونان 4: 6– 1). بالتأكيد لا يمكننا إلا أن نتذكر خلق الله الأصلي لمملكة النبات مع تذكرنا لعصا هارون واليقطينة التي ظللت يونان، كعلامة على قوته وحكمته الفائقتا الطبيعة[53].

بالفعل من المستحيل تماماً أن نتجاهل الاستنتاج بأن الله خلق الكائنات الحية كل بحسب نوعها، كما نص عليه الأصحاح الأول للتكـوين عشرات المرات المختلفة. بالتأكيد خلقهم بظاهرة عصر خيالية. وتخبرنا الأناجيل بأن الله بدأ دورة الحياة بعضويات ناضجة عوضاً عن أشكال جنينية (بدائية). كلا العهدين الجديد والقديم يتطابقان في خلق آدم وحواء الفائق الطبيعة، كناضجين. أفلا يجب أن يكون هذا صحيحاً بالنسبة لجميع أنواع الحيوانات؟ كيف يمكن لمخلوقات كهذه أن توجد كمجرد بيوض ملقحة خارج رحم الأم؟ وكيف يمكن لصغار الثدييات بأن تعيش بدون عناية الأم؟ أراد الله أن يتدخل بشكل مباشر ومستمر ليعتني بها. لذلك، ما لم نلتمس مخزوناً لا نهاية له من المعجزات، فالخلق المباشر للعضويات الناضجة يبقـى هو التفسير المنطقي الوحيد لرواية التكوين لخلق الكائنات الحية كل بحسب نوعها.

---

[51] - "التاريخ: غايته وطريقته" (نيويورك: 1965)، ص 126.

[52] - انظر رسل ميكستر: "النشوء والفكر المسيحي اليوم" (غراندرابيدز: ايردمانز،1959)، ص 69، 151.

[53] - "فَأَعَدَّ الرَّبُّ الإِلهُ يَقْطِينَةً فَارْتَفَعَتْ فَوْقَ يُونَانَ لِتَكُونَ ظِلاً عَلَى رَأْسِهِ لِيُخَلِّصَهُ مِنْ غَمِّهِ. فَفَرِحَ يُونَانُ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ فَرَحاً عَظِيماً" (يونان 4: 6).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

منذ عدة سنين مضت عارضَ توماس هـ. ليث هذه الفكرة في مقالة بعنوان "بعض المشاكل المنطقية مع فرضية العصر الاعتباري"، التي قدمها في المؤتمر السنوي التاسع عشر للجمعية العلمية الأمريكية[54]. بالدرجة الأولى ادّعى الدكتور ليث بأن عقيدة كهذه تفتقد (ينقصها) الدليل العملي وتشوه (تقوض) كل العلم الصحيح. لكن إن كان هذا صحيحاً، عندها كل المعجزات في الكتاب المقدس يمكن نكرانها، لأنه، وعلى نفس الأساس، بالإمكان التصريح بأن الميلاد العذروي (البتولي) للمسيح ينقصه الدليل العلمي ويقوض علوم الوراثة والبيولوجيا. لقد أهمل قيامة لعازر كمثيل للخلق مع تاريخ اعتباري، لأنه في هذه الحالة– كما يدّعي– كان هناك مراقبون بشر حاضرين لرؤية المعجزة، بينما الثغرات المفترضة للتكوين (كالخلق والطوفان) لم يكونا ملحوظين. من المرجح، بالنسبة للدكتور ليث، أن سفر التكوين لا يمكن الاعتماد عليه بنفس الدرجة مثل إنجيل يوحنا، أو على الأقل الأعمال الخلاقة المدونة في الأصحاحين الأولين للتكوين لا يناسبان المعايير الصحيحة للإثبات العملي، لأن المراقبين البشر لم يكونوا حاضرين ليدرسوها. بكلمات أخرى، يبدو وكأنه يلمّح بأن الله شاهدٌ غير جدير بالثقة لما حدث في زمن الخلق.

كان الاعتراض الرئيسي الثاني للدكتور ليث لعقيدة العصر الاعتباري هو أنها جعل الله خادعاً للبشر. فتساءل قائلاً: "إن المرء يتعجب لماذا يجب أن تكون الألوهية حقودة (كجني ديكارتي) لتخدعنا في مسائل مهمة ككثير من الأحداث الماضية للتاريخ والأعمار المحتملة للعديد من الأشياء خاصة عندما تكون نوعاً من الوهم الباطل ونحن كمخلوقات مساكين لا نستطيع الإفلات منها"[55]. يكفي للرد على هذا الاعتراض الشائع نوعاً ما، أن نقول بأن الله لم يخدعْنا في هكذا أمور طالما أنه كان قد أعطانا كتاباً معصوماً ليُخبرَنا بما صنع. لا أحد يُلام إلا أنفسنا، إن رفضْنا التدوين المكتوب لأعماله العجائبية والمُبدعة في التاريخ.

اقترح إدوارد ج. كارنل مبدأين ليرشدنا في هذا الموضع: "(1) بما أننا قد أُعطينا وعد الله للحفاظ على كون عادي، فإن المسيحي يمكنه أن يدافع عن مبدأ التطابق إلى أن يقع في الغموض أو يتحول عن الكتاب؛ (2) يجب أن نقر بفرح بحق الله الأخلاقي بأن يخلق الأشياء التي تبدو قديمة في الظاهر، ولكن ليست هكذا بالفعل. إن حدود كيفية استخدم الله لهذا الامتياز لا بد أن تقاس– في نهاية الأمر– ليس من وجهة نظر العلم، بل الأسفار المقدسة". وأصل إلى استنتاجه الأخير بأنه: "ربما يكون من الصعب تطبيق هذين المبدأين. هذا صحيح. لكن يوجد أمرٌ أكثر صعوبة، وهو أن ننقذ المسيحية من فكي كماشة العلم حيث أن مبدأ التطابق ينقض حق الله بأن يجري معجزات"[56].

إن كان الكتاب المقدس معيارنا في كل الحقائق، عندها لا يكون الخلق مع ظاهرة العصر خادعاً، بل مجيداً. هل خدَعَ يسوع صاحب الحفل[57] عندما حول الماء إلى خمر؟ كلمة الله تعطينا الجواب: "هَذِهِ بِدَايَةُ الآيَاتِ فَعَلَهَا يَسُوعُ فِي قَانَا الْجَلِيلِ وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ" (يوحنا 2: 11). لقد ظهر مجد المسيح في هذه المعجزة لأنها تضمنت خلقاً فجائياً وفائق الطبيعة لكينونة معقدة بمعزل عن عمليات طبيعية. وبهذا، على ما نؤمن، أظهر الرب يسوع المسيح مجده في خلق العالم.

خاتمة:

إن سيادة الله المطلقة وحكمته وقدرته، وبالتالي مجده، تظهر وبشكل طاغ من طريقة وتوقيت عمله في الخلق. وإن الوحي العام، ورغم أنه حافلٌ بالشهادة لعظمته (مزمور 19: 1– 4)، لا يستطيع التكلم إلى قلب الإنسان بنفس الدقة والإلحاح المميزين لوحيه المكتوب. هذا صحيح بخاصة في الكلمات الافتتاحية للتكوين؛ لأننا نجد هنا، في الخلق الذي استغرق ستة أيام حرفية، شبكة خطوط يمكن من خلالها أن يُرى وجه الله، في شخص ابنه يسوع المسيح، وخاصة عندما نعيد قراءة ذلك في العهد الجديد (يوحنا 1: 1– 3). فكما أجرى معجزاته المبدعة خلال أيام خدمته المتجسدة غير الممجدة في فلسطين، وأيضاً خلال أسبوع الخلق، قام بعمله المقدس على نفس المنوال تماماً بشكل فجائي وفائق للطبيعة، وبظاهرة

---

[54] - "مجلة الجمعية العلمية الأمريكية" 17: 4 (كانون الأول 1965)، ص 118.

[55] - المرجع السابق ص 122.

[56] - "احذر من الربوبية الجديدة" (الربوبية هي مذهب فكري يدعو إلى الإيمان بدين طبيعيّ مبنيّ على العقل لا على الوحي، ويؤكّد على المناقبية أو الأخلاق" [فريق الترجمة]): "المجلة" 12: 3 (كانون أول 1951) ص 14. انظر الرد على توماس ليث من قبل ليود جي. مُلثاف، قسم الفيزيائيات جامعة بنسلفانيا. صحيفة الجمعية العلمية الأمريكية، 18: 2 (حزيران 1966) ص63. انظر أيضاً المناقشة المسبقة للخلق الناضج في كتاب دونالد إي. تشيتيك. "المناظرة: جذور الجدال بين الخلق والنشوء" (بورتلاند، منشورات مالتنوما، 1984) ص 196. الدكتور تشيتيك هو عالم خبير وأستاذ، مقتنع بأن النشوئية هي بالحقيقة "ضد العلم" ص 116. من ناحية أخرى، هنري بلشر، هو لاهوتي متأثر كثيراً "بآراء الأغلبية" التي هي "مستحبة في الوقت الحاضر بين العلماء"، وهو يُصنّف كواحد من العديد من علماء الخلق المعتبرين في المجتمع العلمي على أنهم "ضد العلماء" (أي ضد أولئك الرافضين لفكرة خلق الله للكون) ("في البدء" [داونرز غروف: منشورات انترفارسيتي، 1984] ص 241 انظر أيضاً ص 213- 231). من الواضح بأن افتراضات المرء فيما يخص طبيعة الحقيقة الكتابية هي ذات أهمية جوهرية عند النظر إلى الأصول الأساسية والعلم التجريبي.

[57] - المقصود بذلك عرس قانا الجليل (يوحنا 2: 1- 11). [فريق الترجمة].

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

خيالية للتاريخ. إن نظرية النشوء طمست وبشكل مؤثر هذه الحقيقة العظيمة، حتى بين العديد من شعب الله، ولذلك يجب أن تُزال من قلوبنا من خلال خضوع متجدد للروح القدس الذي أعطانا الكتاب المقدس عبر أناس مختارين (2 بطرس 1: 19– 21). فبهذا الشكل فقط يمكننا أن نتحاشى أن نكون "مشابهين لهذا العالم" في فهمنا للأصول الأولى، وفي نهاية المطاف أن "نبرهن ما هي إرادة الله" في تعاملنا مع التفاصيل المعقدة والقيمة للخلق كما يرد في الكتاب المقدس.

ص 47 في الكتاب هنا نضع الصورة
الأشجار المثمرة: ليست الأشجار المثمرة هي النتيجة النهائية لمليارات من سنين التطور النشوئي من وحيدات الخلية البحرية. بل إن الله خلقها قبل يومين من ظهور أي حياة بحرية، بالإضافة إلى كل أنواع النباتات الأخرى. وهي لم تنمُ من بذور، بل خُلِقَتْ تامة النمو (بدون حلقات نمو). لقد خلق الله بذوراً، ولكنها كانت داخل الثمار المتدلية من أشجار تامة النمو ("شَجَراً ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرا كَجِنْسِهِ بِزْرُهُ فِيهِ" (تكوين 1: 11). وبشكل مشابه، لم تتدرج الكائنات البشرية بالنشوء من أسلاف شبيهة بالقردة، ولم تنمُ من بيوض ملقحة أو من صغار. لقد خُلِقَتْ كاملة النمو (بدون سرة[58])، وقادرة تماماً على إطاعة أمر الله بأن "اثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأوا الأَرْضَ" (تكوين 1: 28). إن المفهوم الوحيد لأصل الأنواع الذي يلائم الحقائق المنظورة للمورثات و علم الإحاثة هو الخلق الفائق للطبيعة، والذي ظهرت بموجبه أعدادٌ كبيرة من الأنواع الفريدة والمميزة للأحياء بشكل فجائي مع التمتع بالقدرة على التكاثر بحسب نوعها. إن أوضاع تسوية، مثل النشوء التوحيدي (الإيماني)، لم تتلاءم مع العبارات والتصاريح الواضحة في الكتاب المقدس ولا مع اكتشافات العلم التجريبي.

أسبوع الخلق
اليوم الأول: ابن الله (يوحنا 1: 3؛ كولوسي 1: 16) خلق الكون برمّته. في السماء الثالثة (2كور 12:2) خُلِقت كل الكائنات الملائكية بارةً وسُرت برؤية مخلوقات الأرض بعد دقائق (أيوب 38: 4–7) السماء الثانية في الفضاء الخارجي كانت فارغة كلياً ولذلك كانت مظلمة، إلى أن خُلِقَ نور فلكي مؤقت ومحلي لتبدأ دورة الليل والنهار. من الواضح أن السماء الأولى من غازات الغلاف الجوي كانت بلا غيوم (انظر تكوين 1: 6) في هذه المرحلة كانت الأرض كاملة ولكن غير مكتملة ("خلق الله الأرض..... خربةً وخاليةً").
اليوم الثاني: جزء من محيط الأرض الذي لا شاطئ له رُفع فوق "قبة السماء" التي في الغلاف الجوي

[58] - السُرة: (navel): هي التجويف المتبقي في بطن الوليد بعد قطع الحبل السري الذي كان يصل بينه وبين مشيمة أمه وهو جنين بغاية التغذي. إن الكائنات البشرية عند الخلق كانت بدون سرة أي أنها خُلِقتْ خلقاً ولم تُولَدْ ولادة [فريق الترجمة].

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لتشكل السماء التي احتجزت عاكسةً إشعاعاً حرارياً شمسياً طويل الموجة. هذا "التأثير الدفيئي" الذي قبل الطوفان هو أفضل كا يفسر الدليل الواضح على الحياة النباتية والحيوانية الواسعة (والذي كثير منها إستوائي) هذه التي تقبع الآن متجمدةً ومدفونة في المناطق القطبية الشمالية. إن الجلد (مثل السموات, والأرض، والظلمة، والجنس البشري) كان قد قيل عنه أنه تحديداً "حسنٌ". ولكن كل هذه الأشياء كانت مشتملة فيما قيل أنها "حسنٌ جداً" الواردة في **1**: **31**.

اليوم الثالث:

فجأة ظهرت أرض (أو مناطق) يابسة واسعة فوق مستوى البحر في عالم ابن الله. لقد وضع عليها كل الأنواع الرئيسية (في العبرية **min**، انظر لاويين **11**: **13**– **22**) من الأعشاب، والحشائش، والأشجار المثمرة، وكلها "ناضجة" مثل آدم (ولكن بدون علائم غير ضرورية للعمر كمثل حلقات النمو) وبذرها "فيها" لأجل تكاثرها الدائم "كجنسها". لم تكن لديه أية صعوبة في أن يمدها بأسباب الحياة ليوم قبل أن تُخلق الشمس (انظر رؤيا **21**: **23**).

اليوم الرابع:

الشمس والقمر والنجوم (بما فيها الكواكب، إلخ) كانت قد "عُمِلت" (مرادف لـ "خُلِقت" في هذا الأصحاح كما يتبين من مقارنة **1**: **21** مع **1**: **25**، و**1**: **26** مع **1**: **27**) بعد ثلاثة أيام من الأرض، وهذا يدحض صحة عبادة الشمس (انظر أيوب **31**: **26**– **28**؛ حزقيال **8**: **16**). إن النظريات والافتراضات الزائفة الوهمية في علم الكون يرفضها الله كلياً (أش **47**: **13**؛ إر **10**: **2**). لقد صُمِمت للإنارة (بأشعة ضوئية خُلِقَت مع مصادر الضوء في كون فاعل بشكل كامل)، ولأوقاتٍ وأيامٍ وسنين، ولآياتٍ (مز **19**: **1**– **6**؛ رو **1**: **20**).

اليوم الخامس:

خُلقت الحيوانات البحرية والطائرة من المياه بوفرة. والحيتان (أعظم الـ "تنانين") لم تتطور عن ثدييات برية، ولم تتطور الطيور عن زواحف، لأنها خُلِقَت قبل يوم واحد سابق. هذا القلب في الترتيب (الأرض قبل الشمس والأشجار المثمرة قبل المخلوقات البحرية) تنسف نظرية اليوم–الدهر التي تمد أيام الخلق لتتوافق مع الفترات الزمنية الكبيرة في الجيولوجيا النشوئية.

اليوم السادس:

تم فيه خلق كل الحيوانات البرية بما فيها أنواع الديناصورات (من بين "الزحافات" – انظر أيوب **40**: **15**– **23**). لقد خُلِقَ آدم بالغاً راشداً وفُوِّض لحياة من العمل السار والطاعة الإرادية. لقد سمّى كلَّ الطيور وأنواع الثدييات (بتصنيف غير رسمي ولكن دقيق بفكر لامع وغير ساقط).

لقد اكتشف أنه ليس هناك من حيوان "معيناً نظيره". خُلِقَت حواء من آدم، وبهذا ضمنت وحدة الجنس البشري (أعمال **17**: **26**؛ **1** كورنثوس **15**: **22**). لقد أنجز الله الزفاف الأول (متى **19**: **6**). وصار الكون كاملاً مكتملاً.

اليوم السابع:

لقد تَعِبَ الله أو أُنهِكَ من عمله في الخلق (أش **40**: **28**– **31**)، ولكنه كرس اليوم السابع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

("قدسه") وباركه لخير الإنسان لكيما يجله ويعبده بطريقة خاصة. لقد جُعِلَ ملزماً قانونياً وشرعياً لإسرائيل فقط (خروج 20: 9- 10؛ كولوسي 2: 16). إن سبت الخلق لا يستمر إلى هذا اليوم وإلا لكان الله سيلعن اليوم الذي باركه. لقد دام 24 ساعة مثل بقية الأيام الست.

من الخلق إلى السقوط:

إن المدة من أسبوع الخلق إلى السقوط على الأرجح أنها قد دامت بضعة أيام فقط بدلالة (1) أن الزوج الخالي من أي خطيئة أو خلل جسدي أُمِرا بأن " اثْمِرُوا وَاكْثُرُوا" (تك 1: 28)، ولكن ليس من حمل قد حدث إلا بعد طردهما من الفردوس؛ و(2) يبدو أنه من غير الملائم أن يكون آدم وحواء قد استمرا لفترة طويلة في حالة بر غير مثبت، فبينما كان الهدف الأساس من خلقهما هو أن يمجدا الله بعبادته طوعياً، اختارا إدراك ووعي البدائل الخاطئة (انظر يوحنا 4: 23- 24؛ 1 يوحنا 2: 15).

والسقوط (1) أتى بموت روحي مباشر لآدم وحواء، و (2) جعلهما عرضة للموت والفناء الجسدي، و (3) غيّر جسد حواء فصارت تنجب الأولاد بألم، و(4) بدأت ميزات أكل اللحوم عند العديد من الحيوانات، و(5) تحول العمل الزراعي من عمل بهيج سار إلى عمل شاق. انظر "الطوفان في التكوين"، ص 454- 473.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

خلق الكون

المقاربة الأساسية لأصل الأنواع:

لقد رأينا أن كلمة الله تعلِّم الخلق الفوري والفائق للطبيعة لكل الأشياء. بالنظر إلى الموجودات المادية خاصة، يمكننا أن نضيف المفهوم بأنه لم تُستعمل مواد مسبقة الوجود بالمعنى الأدق، هذا هو معنى العبرانيين **11**: **3**– "بِالإِيمَانِ نَفْهَمُ أَنَّ الْعَالَمِينَ (**aiōnas**– وحرفياً "الدَّهرَيْن") أُتْقِنَتْ بِكَلِمَةِ اللهِ، حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يُرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ" (انظر أيضاً رومية **4**: **17**). هذا بالتأكيد لا يمكن أن يعني أن المواد المادية التي تكوِّنُ كوننا المنظور تتألّف من جزيئات ذرية "غير منظورة"! بالتأكيد إن الإيمان الروحي ليس مطلوباً لقبول النظرية الذرية للمادة في شكلها الحالي! القصد من هذه الآية الرئيسية في رواية الخلق هو أن قوام المواد المادية المرئية لم توجد في أي شكل من الأشكال، سوى في ذهن الله الكلي المعرفة، حتى نطقَ الله بالكلمة الخلاقة.

يقر العارف وذو الميل الروحي المسيحي بصراحة، بالمطابقة مع العبارة الواضحة في عبرانيين **11**: **3**، بأن فهمه لترتيب الأحداث والطرق التي وظفها الخالق في جلب العالم إلى الوجود هو بشكل أساسي تعهد إيمان بوحي الله الخاص. إذ "بالإيمان"، وليس بالملاحظة التجريبية، "يفهم" فكرة **ex nihilo** (الخلق من العدم) للأصول الأولى. وثقته في السيادة المطلقة وإمكانية الاتكال على وحي الله المكتوب في الكتاب المقدس تستند، بدورها، على يقين راسخ بأن ربه، يسوع المسيح، الذي وضع علامة موافقته الإلهية على الأسفار المقدسة، لم يكن مخدوعاً ولا خادعاً، بل نطق الحقيقة الأخيرة (انظر يوحنا **14**: **6**؛ متى **5**: **18**؛ يوحنا **5**: **46**).

بنفس الوقت، وبصدق كامل، لا بد للعالِمِ غيرِ المسيحي أن يقرَّ بأنه هو أيضاً يصل إلى الظاهرة الحقيقية والملاحَظة مع مجموعة من الافتراضات والإدعاءات الأساسية التي تعكس "تعهد إيمان" عميق. ليس من عالِمٍ في العالم اليوم كان موجوداً عندما ظهرت الأرض إلى الوجود، وما من أحد منا يملك امتياز مشاهدة العوالم وقد خُلِقَت اليوم! ولذلك فإن شهادة عالِمٍ نشوئي صادق يمكن التعبير عنها بنفس عبارات الآية في عبرانيين **11**: **3** ، كما يلي: "بالإيمان، أنا، العالم النشوئي، أفهم بأن العوالم لم تؤطّر بكلمة أي إله، لذلك فإن ما يُرى قد صُنِعَ بالفعل من أشياء مرئية موجودة سابقاً أقل تعقيداً، بعمليات طبيعية بحتة، خلال مليارات السنين".

وإذاً، فهي ليست مسألة حقائق علمية إزاء إيمان المسيحيين! القضية الأساسية، في موضوع الأصول الأوائل، هي فيما إذا كان المرء يضع ثقتَهُ أم لا في الكلمة المكتوبة لله الشخصي الحي ذاته الذي كان هناك عندما حدث كل هذا، وإلا فإنه سيضع ثقته في قدرة العقل البشري، بدون معونة من الوحي الإلهي، ليستقرئ حالاً العمليات المراقَبة للطبيعة في الماضي الأزلي (والمستقبل). فأي إيمانٍ هو الأكثر عقلانية، وإثماراً وإرضاءً؟ بالنسبة لي، بينما كنت أدرس علم الجيولوجيا التاريخي وعلم الإحاثة في جامعة برنستون، كنت ملتزماً كلياً بوجهات النظر النشوئية. إلا أني، ومنذ ذلك الحين، اكتشفتُ أن مفهوم الكتاب المقدس للأصول الأوائل هو أكثر إقناعاً وقبولاً لدي من كل النواحي.

المسيحيون الذين يرغبون بحق أن يبجلوا الله في تفكيرهم يجب ألا يُقبلوا إلى الأصحاح الأول من التكوين بأفكار مسبقة عمّا يمكن أن يكون قد حدث أو لم يحدث (من ناحية المفاهيم الحالية والمتغيرة للعلمية الشكلية). فنحن لسنا مستشاري الله؛ بل هو مستشارنا! "لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيراً" (رومية (**11**: **34**)، "لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ هَكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ" (أشعياء **55**: **8**– **9**).

خلق السموات:

لملائمة التفكير والتعبير البشري، يشير الكتاب المقدس إلى ثلاث سموات مختلفة. السماء الثالثة هي ذلك المكان المجيد المحيط بالوجود المباشر لله، والذي حُمِل إليه بولس برؤيا فائقة مبكراً في تجربته المسيحية (**2** كورنثوس **12**: **1**– **4**). السماء الثانية تبدو كأنها مكافئ لما ندعوه "الفضاء الخارجي"؛ بينما السماء الأولى تتألف من طبقة غلاف جوي تحيط بالأرض، والتي فيها تتحرك الغيوم وتطير العصافير.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

في الأصحاح الأول من التكوين، يمكن أن يُرى تمييز بين السماء الأولى، التي فوقها ارتفعت المياه (الآيات 7– 8، 20) والسماء الثانية التي وُضع فيها النيّرين العظيمين (الآيات 14– 17). بالتأكيد لا يوجد أي شيء بدائي أو "سابق للعلم" بالمعنى السيئ للعبارة، حول علم الكون للتكوين، كما أظهر عدد من المفسرين الأكفاء بنجاح مراراً وتكراراً[59].

كيف كان شكل "السموات" في اللحظة التي خرجت فيها من يد الخالق "في البدء"؟ السماء الثالثة كانت مسكونة بمئات الملايين من الكائنات الملائكية (دانيال 7: 10، رؤيا 5: 11، 9: 16)، كل واحد منها هو "ابن لله" بمعنى الخلق المباشر لله (انظر أيضاً أيوب 1: 6) ولذلك فهم كاملون في كل طرقهم (انظر أيضاً حزقيال 28: 15). لا بد أن يكونوا قد خُلقوا في نفس البدء في اليوم الأول للخلق، لأن أيوب 38: 6، 7 يخبرنا بغنائهم وصياحهم فرحاً عند خلق الأرض.

حقيقة أنهم لم يكونوا موجودين قبل اليوم الأول، يُشار إليها في كولوسي 1: 16 (التي تُخبرنا أن المسيح خلق كل العروش، والسيادات، والإمارات والسلطات المنظورة منها وغير المنظورة في السموات كما على الأرض) على ضوء الخروج 20: 11 "لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا".

كان من المسلّم به أن السماء الثانية، عالم "الفضاء الخارجي" قد كان فارغاً ومظلماً، لأن الشمس والقمر والنجوم لم تكن قد خُلقت حتى اليوم الرابع، ومصدر الضوء الخاص الذي قسم النور على الظلمة لم يكن قد صدر الأمر بعد بظهوره إلى الوجود.

السماء الأولى، أو طبقة الغلاف الجوي، لم يكن لها ظلة ضبابية سديمية ولا غيوم، لأن المياه لم تكن قد رُفعت بعد فوق القبة الزرقاء ("السماء") في شكل طبقة بخار حرارية غير مرئية ضخمة، التي لم تُوجد حتى الطوفان، ولم يكن هناك غيوم أو مطر، كما في عالمنا الحالي، بعد الطوفان[60]. لا يعطينا التكوين ولا علم الجيولوجيا أي دعم لفكرة أن الغلاف الجوي البدائي للأرض يتألف من الأمونيا (نشادر)، والميتان، والهيدروجين، والماء، كما تقول النظرية النشوئية القائلة بالتوليد العفوي التلقائي لمتطلبات الحياة (انظر الفصل 3).

يؤمن بعض دارسي الكتاب المقدس بأن الأجرام السماوية خُلِقَت في البداية، لكن لم يُمكن رؤيتها من الأرض بسبب طبقة كثيفة جداً من الغيم حيث غطت عتمةٌ وجه المحيط. إلا أن المياه لم ترتفعْ حتى اليوم الثاني، والضوء الذي خُلِقَ في اليوم الأول كان مرئياً بوضوح من الأرض. علاوة على ذلك، إن كان عمَلُ الله في اليوم الرابع يتضمن فقط كشف النقاب عن أجرام سماوية مخلوقة مسبقاً، فإن هذه الفكرة يمكن أن يعبر عنها بوضوح أكثر باستعمال الفعل "يظهر" كما في الآية 9 "وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ". ولكننا بدلاً من ذلك، نعلم أن الله "عَمِلَ" النيّرين العظيمين[61] في اليوم الرابع، وأنه "عَمِلَ" أيضاً النجوم[62].

ص 55 في الكتاب هنا نضع الصورة
المحيطات: في كل الكون، كوكب الأرض هو المكان المعروف الوحيد الذي لا يوجد فيه الماء السائل؛ وهنا يوجد 330.000.000 ميل مكعب فيها. إنها تصب على الأرض بمعدل 1.5 تريليون طن باليوم. إنها تغطي 72% من سطح كوكبنا، 70 بليون غالون لكل كائن حي.... الماء ضروري لوجودنا وموجود ليكون متوازناً بدقة في كل مواصفاته الفيزيائية لفائدتنا. عبارة "ماء الحياة" أيضاً موجودة في رؤيا 22: 17 في إشارة للخلاص. كم هو مناسبٌ لذلك الماء، المصدر الطبيعي الأكثر ذِكراً في الكتاب

[59] - انظر أيضاً آر. ليرد هاريس، "الكتاب المقدس وعلم الكون": "نشرة الجمعية اللاهوتية الإنجيلية" 5: 1 (آذار 1962) ص 11- 17.
[60] - انظر جوزيف سي. ديللو. "المياه فوق: ظلمة الأرض الضبابية قبل الطوفان". طبعة منقحة (شيكاغو، منشورات مودي، 1982)، والمراجعة من قبل جي. سي. ويتكومب و دي. بي. دي يونغ في "مجلة النعمة اللاهوتية" 3: 1 (ربيع 1982) ص 123- 132.
[61] - النيّرين العظيمين: أي الشمس والقمر. [فريق الترجمة].
[62]- انظر الفصل 3 من أجل مناقشة الكلمات "عمل" و"خلق".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المقدس، لأن يُستعمل ليرمز لأكبر عطية من الخالق لمخلوقاته. كلاهما حر؛ كلاهما لا يُقدر بثمن (دونالد بي. دي يونغ: "ماء الحياة"، "رباعية جمعية أبحاث الخلق": 22: 3 [كانون أول 1985] ص 107– 114.

إن أحواض المحيط في عالمنا الحالي، منذ الطوفان، أكثر عمقاً من تلك التي كانت قبل الطوفان، لأنها الآن تفيد كخزانات من أجل "المياه التي كانت فوق القبة الزرقاء" بالإضافة إلى "المياه التي كانت تحت القبة الزرقاء" (تكوين 1: 7). بالحقيقة، في حين أن قمة إفرست ترتفع 29028 قدماً (8848 متراً) فوق مستوى البحر، فإن أعمق محيط (ماريانا ترنش قرب غوام في الباسيفيك) يبلغ 35810 قدماً (10915 متراً) عمقاً! عندما "انْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ" من قِبَل الله في بداية سنة الطوفان، تكثفت الظلة الضبابية الضخمة وهبطت على شكل أمطار غزيرة خلال ستة أسابيع (تكوين 7: 11– 12). وفي نهاية سنة الطوفان "غارت الوديان [الأحواض]" وهذه الكتل الكبيرة من الماء التي "كانت تسقُفُ العلالي" "فرَّتْ" الآن و"نزلتْ إِلَى الْبِقَاعِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَسَّسْتَهُ لَهَا. وَضَعْتَ لَهَا تُخُماً لاَ تَتَعَدَّاهُ. لاَ تَرْجِعُ لِتُغَطِّيَ الأَرْضَ" (مزمور 104: 6– 9). هذا العهد العظيم الذي تجلى في قوس قزح (انظر تكوين 9: 8– 17؛ أشعياء 54: 9) هو ضماننا بأن المحيطات وصلت إلى مستقرها الأخير. عندما تُستبدلُ الأرض الحالية بأرض جديدة، فإن "الْبَحْرُ لاَ يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ" (رؤيا 21: 1).

خلقُ الأرض:

الأرض، مثل السموات، كانت قد خُلِقَتْ دون استخدام مواد موجودة مسبقاً (عبرانيين 11: 3)، وهذا يدل ضمناً وبوضوح على أنها خُلِقَتْ بشكل فوري، ككينونة دينامية وعالية التعقيد. لقد كانت تدور على محورها، لأنه في إشارة إلى مصدر الضوء المتموضع المخلوق في اليوم الأول (تكوين 1: 3)، مرت عبر ثلاث دورات ليل/ نهار. وكان لها قشرة باردة، لأنها كانت مغطاة بالماء السائل.

مع ذلك، لم يكن لها للقشرة ملامح معينة، كما القارات، والجبال وأحواض المحيط، لأن هذه تشكلت في اليوم الثالث. لم يكن لها طبقة رسابية أو مستحاثات، لأن هذه كانت أساساً تأثيرات الطوفان العظيم الكبير. لكنها احتوت كل العناصر الأساسية والصخور الأساسية لأرضنا الحالية. ككوكب، كانت كاملة من كل النواحي، لكن في هذه المرحلة من أسبوع الخلق لم تكن بعد الموطن المناسب للإنسان. كانت "خربة خالية" أو "غير مشكلة وفارغة" (*to□hu□ wābo□hu□*). (انظر الفصل 5 لمناقشة لنظرية الفجوة للتكوين 1: 2).

كان في مقدور الله، بالطبع، أن يملأ الأرض بالمخلوقات الحية في اليوم الأول؛ لكن الآية في (خروج 20: 11) تقترح أنه فعل ذلك في ستة أيام من أجل أن يعطي نموذجاً مجيداً من أجل أسبوع عمل إسرائيل، لذلك، يجب علينا ألا نحكم على جودة عمل الله الخَلْقي بظهور الأرض في نهاية اليوم الأول. لقد كان مجرد أول مرحلة من ست مراحل للخلق مدة كل منها أربع وعشرين ساعة.

هل أتت الأرض من شمس- أولية (Proto- sun)؟

إن كان سفر التكوين يُعَلِّمُ بأن الأرض قد خُلقت قبل الشمس، والقمر، والنجوم، فعندها يقع المسيحيون المؤمنون بسفر التكوين في صراع جدي، بالتأكيد، مع النظرية النشوئية في هذه النقطة. لهذا السبب، يشعر العديد من المسيحيين بأن التكوين يجب أن يُفهم بهكذا طريقة بحيث تتجنب هذا الصراع. إذ أنهم يتساءلون، في نهاية الأمر، أليس واضحاً تماماً من الدراسات الفلكية أن الأرض والكواكب الأخرى أتت من الشمس أو من شمس أولية **proto-sun**، وهذه بدورها، من "الانفجار الكبير"[63]؟ سيكون هدفنا في الفقرات التالية إظهار عدم صحة هذا الافتراض.

في زمن باكر من هذا القرن، كانت نماذج الافتراضات الكارثية لأصل النظام الشمسي شائعة. تخيل تي. سي. شامبرلين و ف. ر. مولتون تقابلاً قريباً بين نجم آخر والشمس. ومن المفترض أن التأثيرات الهائلة الناتجة سحبت (أي انتزعت) كواكب جنينية (في حالة النشأة الأولى). ولكن،

[63] - (الانفجار الكبير): (big bang): بحسب إحدى نظريات علم الفلك، هو انفجار كتلة مادية كثيفة للغاية كان السبب في ظهور الكون أولاً. [فريق الترجمة].

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لم يستطع هؤلاء الرجال أن يفسروا كيف تمكنت المادة النجمية الأولية الحارة من أن تتكثف إلى كواكب عوضاً عن أن تتبدد. إضافة إلى ذلك، لم تُلاقِ نظريتُهم في التصادم رواجاً لأن تريليونات من الأميال التي تفصل بين النجوم كانت لتجعل تشكيل الكواكب بهذه الطريقة نادر الحدوث إن لم يكن مستحيلاً.

رجع علماء الفلك في السنوات الأخيرة إلى شكل معدل "للفرضية السديمية" القديمة. إنهم يقترحون انهيار غيم غازي بين النجوم، في مراحل. فأولاً، على ما يعتقد، تصادمت حبات الغبار وظلت مع بعضها مشكلة كرات بحجم قبضة اليد. بعد ذلك، تجمعت وكبرت هذه المجموعات في عملية "ازدياد" أو "تراكم"، متحولة عبر ملايين السنين إلى كواكب وأقمار منفصلة. من المناصرين المؤخرين لهذه النظرية أ. جي. دبليو. كاميرون، تي. غولد، و. هارتمان، و بي. غولدريتش.

مدى نجاح هذه النظرية الشائعة حالياً في تفسير النظام الشمسي استناداً إلى مبادئ فيزيائية وكيميائية ورياضية، يمكن تحديده فقط بعد اعتبار تسع من المشاكل الأساسية التي يبقى على علماء الكون النشوئيين حلها.

1- قبل حصول أي تكثف للغاز أو الغبار، سيمتد السديم إلى الفضاء. يقول جي. آ. وود:

> "إن التراكم الكوكبي، مثل معظم المظاهر الأخرى عن أصل النظام الشمسي، غير مفهوم تماماً. فعندما بدأت النوى الكوكبية (وهي أجرام تبلغ أبعادها عدة عشرات من الكيلومترات) أمكن بسهولة أن نرى كيف ستتضخم بضم جزيئات أصغر إليها. ولكن كان يصعب دائماً أن نرى كيف كانت البداية. لماذا اختارت جزيئات الغبار والجزيئات الكروية والمحتويات الغنية بالألمنيوم والكالسيوم أن تتكتل مع بعضها[64]".

فضلاً عن ذلك، لماذا لا نرى هذا يحدث في حلقة أنظمة زحل، المشتري، أورانوس أو الحزام الكويكبي؟ هناك فكرة شائعة اليوم وهي أن الغيم الغازي الأصلي قد ضُغط بواسطة موجة الضغط من نجم متفجر قريب، كوكب كبير متفجر. المشكلة هي أنه لم تتوضع أيةُ بقية مجاورة من النجم المتفجر.

2- تتطلب النظرية نظاماً معقداً من الدوامات حاملة الكرات للغاز والغبار من أجل العمالقة الغازية (أي المشتري، وزحل، وأورانوس، ونبتون). إلا أن هذا مستحيل لأن هكذا دوامات يجب أن تبقى بكامل قوتها بشكل أساسي أثناء كامل فترة التلاحم الكوكبي. يُسلّم جيرارد بي. كيوبر بالقول: "من الصعب أن تتصور أن النظام الجميل للدوامات سيكون بالفعل في الوجود فترة طويلة كفاية- حتى لـ **10** أو **100** سنة- للحصول على تكثف للمادة المركبة للكواكب السيارة"[65]. أيضاً تتطلب النظرية عدة ملايين من السنين.

3- ما الذي أوقف العملية من الاستمرار حتى أن الكتلة الكلية للمادة لم تشكل جسماً كبيراً واحداً؟ تُكوّن الشمس **99** و**7/6** % من كتلة النظام الشمسي، فما الذي أبقى الـ **1/ 7** الباقية من **1** % من السقوط إلى الشمس؟

4- يوجد الكثير من المادة البينجمية[66] بجوار الشمس، لكنها غير متكثفة. يعتقد غرينشتين، الذي من المرصد الفلكي في جبل ويلسون، أن النجوم المعروفة تدور بسرعة كبيرة جداً حتى أنها لا يمكن أن تكون قد تشكلت بواسطة عملية تكثف. في الحقيقة، هناك عدة نجوم لها سرعة دوران أكبر بمئة مرة من سرعة الشمس. ومع هكذا سرعة، لا يمكن لهكذا نجوم أن تتشبث بطبقاتها السطحية. لكن إن كان هذا يحدث، فكيف تقوضت هذه النجوم في موضعها الأول؟ لا بد أن الغيوم الغازية الأولية قد طورت حركة دورانية ثابتة دون أن تتحول إلى نجوم. في الواقع، لقد تم رصد أقراص مسطحة لمادة غازية حول نجوم قريبة مجاورة مثل فيغا و بيتا بيكتوريس، لكن لا يُعرف تماماً إن كان هذا الغاز قد تقلص أو تبدد.

5- تحتوي الكواكب على أقل من **1**% من كتلة النظام الشمسي و**98**% من قوتها الدافعة الذاتية المذهلة. المشتري نفسه يشكل **60**% من كامل الحركة الزاوية للنظام الشمسي. كان هذا التوزع هو الإخفاق الرئيسي الذي تعرضت له الفرضية السديمية القديمة. لا بد أن المادة الشمسية، وهي تنهار إلى الداخل، قد ضاعفت دوران الشمس لسرعة دورانية هائلة. التفسيرات الحديثة التي ظهرت مؤخراً للحركة البطيئة للشمس تلجأ إلى فكرة "الكبح المغناطيسي". هذا التداخل المفترض بين الحقل المغناطيسي الشمسي والجزيئات السديمية المشحونة يبقى مجرد تخمين.

---

[64] - جي. آ. وود. "النظام الشمسي" (برنتايس-هول، 1979) ص 167.
[65] - جيرارد بي. كيوبر في "علم الطبيعة الفلكية: ندوة موضوعية": جي. أ. هينك (نيويورك: ماكغرو-هيل، 1951).
[66] - بَيْنَجْمِيّة: أي واقعة بين النجوم. [فريق الترجمة].

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لم يجد أستاذ علم الفلك دايفيد ليزر بجامعة هارفارد أي حل لمشكلة الزاوية الصغيرة للشمس. لو كانت هذه جزءاً من مجرة أولية غازية، لكانت قوتها الدافعة الزاوية أكثر مما هي عليه الآن ملايين المرات. كيف حدث أن تكون قد فقدت كل قوتها الدافعة ما عدا عُشر مليون من 1% من قوتها الدافعة الزاوية الأصلية، لم يوجد له تفسير بعد[67].

ص 61 في الكتاب هنا نضع الصورة
المجرة الكبيرة في أندروميدا: "فَعَمِلَ اللهُ النُّجومَ أيضاً" (تكوين 1: 16). هذه المجرة اللولبية العملاقة المؤلفة من بلايين النجوم المنفردة هي المجرة الوحيدة الواقعة خارج درب التبان الذي نحن فيه والذي يمكن رؤيته بالعين المجردة في نصف الكرة الأرضية الشمالي. إنها على بعد مليوني سنة ضوئية (10 كوينتليونات من الأميال) من الأرض. ومع ذلك، فإن أشعة ضوئها التي خلقها الله تصل إلى الأرض (تكوين 1: 15) بحيث كانت غايتها، كما خلقها الله، هو أن تكون إحدى "الآيات" على مجد الله وعمل يديه (تك 1: 14؛ مز 19: 1) وأحد الدلائك المرئية على "أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلاَهُوتُهُ" (رومية 1: 20) التي تم إنجازها. لم يكن الله في حاجة لأن يخلق هذه المجرة قبل مليوني سنة لكي يتسنى وقت كافٍ لنورها ليصل إلى ناظري جدينا البشريين الأولين المرتفعتين إليه. انظر كتاب بول م. ستيدل: "الأرض، والنجوم، والكتاب المقدس": (فيليبسبرغ، نيوجرسي: منشورات المؤسسة المشيخية والمصلحة، 1979)، ص 219– 224.

6– لم تقدر نظرية التعاظم النشوئي أن تفسر السبب في أن سبعة كواكب من أصل تسعة تملك دوراناً مباشراً من ناحية دورانها حول الشمس، بينما زحل يدور ببطء إلى الوراء (بالاتجاه المعاكس)، وأورانوس يدور بزاوية 98 درجة من مستواها المداري، ومع ذلك يميل مداره أقل من أي كوكب آخر. بشكل عام، يُعتقدُ أن مردّ ذلك هذه الانحرافات هو تصادمات كارثية بين أجسام النظام الشمسي. لكن التفسيرات المفصّلة معدومة. وإذا كانت التصادمات الرئيسية متكررة، فما سر هذه الدرجة العالية من الترتيب في النظام الشمسي؟ يرى أحد العلماء النشوئيين أنه رغم كون المركبة "فوياجر 2" قد مرّت قرب أورانوس في كانون الثاني 1986، فإن "مجموعة البيانات الخرافية التي حصلت عليها سفينة الفضاء لم تُلْقِ أيَّ ضوءٍ واضحٍ على سبب دوران كوكب، مثل أورانوس، على ذلك النحو الغريب جداً. لعل.....، رغم كل ما تم اكتشافه في كانون الثاني، سوف لن نعرف الجواب أبداً"[68].

7– إن النشوئية الكونية لا تقدر أن تفسر الأقمار (التوابع) التراجعية (أي الأقمار التي تدور إلى الخلف). فمن بين الـ 52 قمراً في نظامنا الشمسي، يدور واحد وعشرون منها إلى الوراء بالنسبة إلى اتجاه دوران الكواكب التسعة حول الشمس[69]. مما يثير الاهتمام بشكل خاص تريتون، وهو القمر الداخلي التابع لنبتون، والذي له تقريباً ضعف كتلة قمرنا (قطره 3000 ميلاً) والذي يدور إلى الوراء كل ستة أيام في مدار دائري تقريباً فقط على بعد 220000 ميل من نبتون (أقرب من قمرنا إلى الأرض).

[67] - دايفيد ليزر. "نشأة الكون". في "موسوعة ماكغرو-هيل للعلم والتكنولوجيا". 15 جزء. (نيويورك: ماكغرو-هيل، الطبعة الرابعة، 1977)، المجلد 3، ص 561.
[68] - كيلي بيتي، "مكان يُدعى أورانوس"، "السماء والتلسكوب" (نيسان 1986) ص 337.
[69] - من أجل رؤية لائحة بأسماء الأقمار العشرة (التراجعية) المكتشفة حديثاً التي تدور قرب أورانوس، انظر "السماء والتلسكوب" (نيسان 1986) ص 341.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يعتقد إسحق أزيموف، وكما أغلب علماء الكون النشوئيين، أن تريتون كان قد "قُذِفَ بعيداً من ذلك الكوكب بواسطة تصادم كوني ما أو بحادثة أخرى"، وأنه حدث فيما بعد أن استرد نبتون قمره المفقود إلى مدار تراجعي بواسطة "حادثة مماثلة"[70]. ولكن كم من "أحداث" كهذه يحتاج إليها المرء ليدعم نظرية ما برحت تترنّح تحت وطأة افتراضاتها نفسها غير المبرهنة؟ يذهب أزيموف أبعد من ذلك، فيقول أن الأقمار الارتجاعية الدوران هي "استثناءات صغيرة" بالنسبة إلى القاعدة العامة للأقمار الملحقة بالكواكب[71]. على كل حال، إن **21** قمراً من أصل **52** من التي لها دوران ارتجاعي لا يمكن أبداً صرف النظر عنها على اعتبار أنها "استثناءات صغيرة".

[70]- "دليل الإنسان العبقري للعلم"، المجلد 2، (نيويورك: منشورات Basic Books، 1960) 1: 78.
[71] - "دليل أزيموفالجديد إلى العلم" (نيويورك: منشورات Basic Books، 1984)، ص 97.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

8- أيّ تفسير لنظرية النشوء فعلياً للقوة الدافعة الزاويّة في هذه الأنظمة القمرية؟ سنعطي فرصة للبروفسور ليزر الذي من جامعة هارفارد ليبسط لنا المشكلة:

"ما خلا نظام الأرض – القمر (الذي هو استثنائي من جوانب أخرى أيضاً)، يحمل الكوكب السيّار معظم القوة الدافعة الزاويّة، بدلا من الأقمار.... هذا الظرف يفاقم الصعوبة النظرية التي يمثلها الدوران البطيء للشمس، إذ أنه إن كانت الشمس قد رتبت بشكل أو آخر لأن تتخلص من القوة الدافعة الزاوية التي يفترض أن تكون لديها، بحسب الفرضيات السديمية، فلماذا لا تفعل الكواكب نفس الشيء أو تسلك على نفس النحو؟[72]"

9- رغم بعض النظريات البارعة و المعقدة جداً، ولكن لم تظهر أية نتيجة مرضية أبداً تبيّن لنا سبب أن الأرض مكونة من هكذا عناصر ثقيلة. وبحسب تفسير البروفيسور فردهويل الذي من جامعة كامبريدج:

"بمعزل عن الهيدروجين والهيليوم، إن العناصر الأخرى جميعها نادرة للغاية، وكلها في أرجاء الكون. في الشمس تشكل حوالي **1%** من الكتلة الكلية... هذا التباين [بالعناصر الثقيلة التي تغلب على الأرض] يظهر لنا في نقطتين هامتين. الأولى، نرى أن المادة المنفصلة عن الشمس لن تكون ملاءمة أبداً لتشكيل الكواكب كما نعرفها. إنّ تركيبها سيكون غير صحيح تماماً. النقطة الثانية في هذا التباين هي أن الشمس هي العادية بينما الأرض هي الشاذة. إن الغاز البينجمي ومعظم النجوم مكونةٌ من مادة تشبه الشمس، لا الأرض. عليكم فهم كلامنا كونياً، فالغرفة التي تجلسون فيها الآن مركبة من المكونات الخطأ. وأنتم أنفسكم شيءٌ نادر. إنكم جزء من تجمع كوني[73]."

على ضوء هذه الاعتبارات، يستنتج أحد الفلكيين البارزين قائلاً: "أعتقد أن كل الروايات المقترحة عن أصل النظام الشمس خاضعة لاعتراضات جسيمة. ونتيجة الوضع الحالي ستؤدي إلى الافتراض أن النظام الشمسي لا يمكن أن يوجد"[74]. ويدافع ويبل قائلاً: "إن جميع الفرضيات [المتعلقة بتشكيل النظام الشمسي] كما قُدمت حتى الآن قد أخفقت أو بقيت دونما برهان، عندما يتم تطبيق النظرية الفيزيائية على نحو صحيح[75]".

إن الدليل القاطع على التصميم الكائن في كل أرجاء الكون وأيضاً في النظام الشمسي وفي كوكبنا لم يكن أكثر وضوحاً مما هو عليه الآن. إن الكتلة المطلقة للبروتون، والعامل الدقيق **2** في الجاذبية الأرضية ومعادلات القوة الكهربائية تتطلب مصمماً فائق الطبيعة. هذه النسب الرياضية في الكون هي لافتة للانتباه جداً حتى أن المبدأ الإنساني صار يُستخدم على نحو واسع وسط علماء الفلك لوصف "المعادلات الكونية الرياضية الدقيقة والمحكمة المستقلة عن الفكر الإنساني والتي تبدو مع ذلك في انسجام جميل مع الطريقة التي تفكر بها[76]. كلما تعلَّمْنا أكثر عن الكون الفلكي، كلما أدركنا أن النشوئية الايمانية، لا تقدم أية اجابات منطقية معقولة[77].

ومن هنا، ففي جيلنا، وأكثر من العصور السابقة، تتبدى "قدرة الله الأبدية وطبيعته الإلهية واضحةً للبشر"، إذ "تُرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلاَهُوتُهُ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ" (رومية **1**: **20**). ولكن البشر، وهم في حالة تمرد ضد إله الخلق، يخمدون الحقيقة دائماً وفي كل مكان على الرغم من حقيقة أن "مَعْرِفَةَ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ" (رومية **1**: **18**– **19**). يبدو أن الفلكيين، وبطرقهم الخاصة، يجدون ارتياحاً إلى حقيقة أن نظريات كثيرة متاحة لهم ليفسّروا نشوء الكون بالصدفة، معتقدين أن الجواب النهائي الأخير يكمن من غير بد في هذه النظريات. إن ايمانهم الديني/الفلسفي في مادية الكون يغشي عيونهم بشكل كبير عن قصور وعدم كفاية كل نظرية من النظريات المقترحة أو جميعها. بهذا المعنى، فإن العلمية العلمانية دائماً "يَتَعَلَّمْنَ فِي كُلِّ حِينٍ، وَلاَ يَسْتَطِعْنَ أَنْ يُقْبِلْنَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ أَبَداً" (**2** تيموثاوس **3**: **7**).

---

[72]- "نشأة الكون"، ماكغرو-هيل، "موسوعة العلم و التكنولوجيا"، المجلد3، 564.

[73] - "مجلة هاربر" (نيسان،1951)، ص64. اقتبسها بول زرمران في "شهرية جامعة كونكورديا اللاهوتية" 24: 7 (تموز، 1953)، ص 506 .

[74] - السير هارولد جيفرز، " الأرض: أصلها، تاريخها وتكوينها المادي" (كامبريدج، انكلترا: منشورات الجامعة، 1970) ص359.

[75] - فرد ل. ويبل، "مدار الشمس": (كامبريدج: منشورات جامعة هارفرد،1981)، ص284. انظر أيضاً الأدلة على العلامات الفائقة الطبيعة والأصل الحالي للنظام الشمسي كما يقدمها بول م. ستيدل، "الكواكب، والمذنبات، والكويكبات"، في كتاب جورج ملفينغر، "التصميم و الأصول في علم الفلك" (نوركوس: كتب جمعية بحث الخليقة،1983)، ص 73-106؛ ودراسته الأكثر شمولية: "الأرض والنجوم، والكتاب المقدس" (فيليبزبرغ: منشورات الكنيسة المشيخية والمصلحة1979).

[76] - انظر دونالد ب . ديونغ: "صنائع وحقائق" 14: 11 (تشرين الثاني، 1985). يلفت ديونغ الانتباه إلى مقالتين: "المبدأ الإنساني وبنية العالم المادي"، مجلة"الطبيعة" 278 (12 نيسان، 1979) ص 605- 612، ومقالة"المبدأ الإنساني"، الأمريكية العلمية 245.

[77] - من أجل منظور لاهوتي، انظر جون سي. ويتكمب: "الكتاب المقدس وعلم الفلك" [الذي قام فريق الترجمة بترجمته]، (وينونااليك: منشورات كتب BMH،1984). ومن أجل نقد لنظرية الانفجار الكبير، انظر دونالد ديون وجون سي. ويتكمب: "أصل الكون"، "مجلة النعمة اللاهوتية" 1: 2 (خريف 1980)، ص 149- 161. يدافع السير فريد هويل قائلاً: "أنا على شبه يقين عندما أقول أن حجاباً شاحباً معلق الآن على نظرية الانفجار الكبير عندما يصبح نمط من الحقائق إزاء نظريةٍ، فإن الخبرة ترينا أن النظرية قلما تتعافى" ("الانفجار الكبير تحت الهجوم"، ملخص علمي 92، أيار 1984، ص 84).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ص 64 في الكتاب هنا نضع الصورة
القمر: "النُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ" (تكوين 1: 16) يبقى "الشَّاهِدُ فِي السَّمَاءِ" (مز 89: 37) على قدرة الله الخَلْقية. هذه الحقيقة كانت طاغية بالنسبة لداود فقال: "إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلَ أَصَابِعِكَ الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ الَّتِي كَوَّنْتَهَا؛ فَمَنْ هُوَ الإِنسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ...." (مز 8: 3، 4). في نفس الوقت، يبقى القمر لغزاً مبهماً أمام النشوئيين، حتى بعد تحقيق إنجازات عديدة مذهلة بالغة القيمة تتعلق بالرحلات القمرية (رحلة أبولو)، والفحص المطول المعمق الكثيف لـ 843 رطلاً من الصخور القمرية. "من أين أتى القمر؟" إن آليات فضائية ومواد كيميائية قمرية تُرينا أنه ربما لم يتكثّف من غبار بينجمي، أو خرج من الأرض، أو استولت الأرض عليه. علاوة على ذلك، فإن انعدام الغبار على سطحه يبقى بلا تفسير نظراً إلى مقياس زمني مكون من مليار سنة تتطلبه النظرية العلمية القائلة بأن الحوادث الجيولوجية التي حدثت في الماضي تتكرر اليوم (انظر جون سي. ويتكمب ودونالد ب. ديونغ، "القمر"، ص 35– 51؛ 94– 95). وعلّق مايكل ج. دريك قائلاً: "رغم مرور 14 سنة على إحضار أول نماذج من صخور القمر إلى الأرض عبر رحلة أبولو الثانية، فإن أصل القمر يبقى مجهولاً غير محدد" ("قيود جيوكيميائية على أصل القمر"، 1983، ص 1579). ويسلّم نافي توكسوز، الجيوفيزيائي في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا بأنه: "من الأسهل أن نفسر لماذا لا ينبغي أن يكون القمر هناك، أكثر بكثير من أن نفسر وجوده" [اقتبسها بن باتروسكي، "من أين أتى القمر؟" في مجلة "العلم" 81 (آذار 1981)، ص 120]. ليست هكذا إخفاقات نشوئية هي وراء تأكيد المسيحيين للخلق الفائق الطبيعة للقمر. فهكذا موقف سيكون مقاربة لاهوتية ضعيفة لـ "إله الثغرات". إن الأساس الجوهري للاعتقاد بأن الله خلق القمر مباشرةً من لا شئ (من العدم) بكلمته الكلية القدرة هو كشف إلهي افتراضي: " فَعَمِلَ اللهُ .... النُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ .... وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ" (تكوين 1: 16، 18).

الغريب في الأمر أن النشوئيين المؤمنين، الذين يدّعون أنهم مسيحيون، يقبلون في نفس الوقت نظرية النشوء على أنها تعبير عن "استراتيجية" الله في خلق "الكون" ونظام الأرض/القمر والكواكب والأقمار المحيطة بها. بينما بعض العلماء غير المسيحيين، أمثال السير فردهيل الذي من انكلترا يقرّون علانيةً بالتناقضات الجسيمة في نظرية الانفجار الكبير، فإن علماء مسيحيين وفلاسفة عديدين (بما فيهم القيادة الحالية للجمعية العلمية الأمريكية المؤلفة من 2100 عضو) يشجعون بشكل أخرق النشوئية الكونية.

على سبيل المثال، إنّ تشارلز إي. هَمل مدير كلية Inter-Varsity الأخوية المسيحية، يرى أنه ما من دلائل فلكية/جيولوجية/بيولوجية في تكوين 1، لأنَّ "رواية الخلق في تكوين 1 لم يُعْنَ بها أن تعلم كيف أو متى خلق الله الكون"[78]. إن التبرير الكتابي لهذه المقاربة المتعلقة بالأصحاحات الافتتاحية لسفر التكوين، في فكر همل، هو التناقض المفترض بين روايات الخلق في تكوين 1 و2 (وهذا افتراض مسبق في التفسير التأويلي الليبرالي

[78] - تشارلز إي. همل: " قرينة غاليلو: حل التضارب بين العلم والكتاب المقدس" (دونرز غروف: منشورات انتر فارسيتي، 1986)، ص246.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

و الأرثوذكسي الجديد). ومن هنا، "ففي وضع كلا الروايتين جنباً إلى جنب لا بد أن الكاتب كان لديه هدف في فكره أكثر من مجرد وصف لكيفية خلق الله للسموات والأرض وقاطنيها، بما فيهم البشر. ولذلك فإنه مضلٌّ وبلا جدوى بالنسبة لنا أن نحاول تحديد طريقة واحدة صحيحة دقيقة عن الخلق وإسقاط الأخرى بين هاتين الروايتين" (ص**251**).

بوضع تكوين **2** في تضادٍ مع تكوين **1**، لا يظهر تشارلز هِمل فقط قصوره اللاهوتي بل أيضاً يضرب مثلاً عن إخفاق النشوئية الايمانية بشكل عام عن فهم الحقائق الكتابية. إنّ تكوين **2** هو في انسجام تام مع الأصحاح الأول، لأنه يلفت الانتباه بشكل مركّز لدى القارىء إلى تفاصيل معينة لا تكون متلائمة مع الطيف العريض لأحداث الخلق الواردة في تكوين **1**(كما أن تكوين **11**: **1**– **9** تفسر بالتفصيل كيف جاءت اللغات المذكورة في تكوين **10**: **5**، **20** و**31** إلى الوجود). إضافة إلى ذلك، إن التفاصيل في تكوين **2** تفتح الستارة على مشهد مأساة السقوط. ومن هنا فإنه نوعٌ من التذكر التاريخي أو "الارتجاع الفني/الخطف خلفاً" الذي كان شائع الاستخدام في كتابات الشرق الأدنى القديمة.

يقول ك. أ. كيتشن، البارز على صعيد عالمي كعالم في العهد القديم في جامعة ليفربول، معلقاً على تكوين **1**و **2** كما يلي:

> "الإخفاقُ في تمييز الطبيعة المتممة في الفروقات الموضوعية بين المخطط الأساسي لكل الخلق من جهة وتركيزه على تفاصيل خلق الإنسان وبيئته المباشرة على الحدود الأخرى من الغموض... إنّ ما هو غامضٌ لدى تطبيقه على نصوص الشرق الأدنى الهامة التي لم نعرف تاريخاً عن كتابتها وقرأتها يجب ألا يفرض على تكوين **1**و**2**، وهذا يجري من خلال استمرارية غير نقدية لتخمينات القرن التاسع عشر حول نقص حب الفن في القرن الثامن عشر يعوزها المعرفة بالصيغ والاستخدامات التي في أدب الشرق القديم"[79].

مثال آخر عن سذاجة وانعدام الخبرة اللاهوتية عند النشوئيين المسيحيين نجده عند هواردج. فان تيل، بروفيسور الفيزياء وعلم الفلك في جامعة كالفن، غراند رابيدز، ميشيغان. فالبنسبة له، إن الأصحاحات الأولى من التكوين "... لم يُقصد بها أبداً أن تجيب على أسئلة تتعلق بما حدث بالضبط". فماذا يفعل القارىء إذاً بالتفاصيل التاريخية والترتيبية للأحداث التي تتخم رواية الخلق في ستة أيام؟" في القصة يُصوِّرُ الله الخالق بشكل واضح وهو ينجز أعمال الخلق خلال فترة مؤلفة من ست أيام ويستريح في اليوم السابع. بأي منحى يجب أن نأخذ ذلك التسلسل الزمني للأحداث؟... البداية محتجبة في سديم وما وراء الذاكرة البشرية، والنهاية ستأتي "كلصّ في الليل" وإن تسلسل الأحداث في اليوم السابع الذي نجده في تكوين **1** ليس له علاقة بالتسلسل الفعلي لعمل الخالق الدينامي في الكون. وإن فكرة أسبوع الخلق هي وسيلة أدبية...[تشتمل على] صور متخيلة عن شكل الترابط بين الله والخليقة[80].

بالنسبة لهاورد فان تل، إذاً، فيما يتعلق بالمفكرين الليبراليين الجدد والأرثوذكسيين الجدد عموماً، لا يقدم سفرُ التكوين لنا تاريخاً بدائياً أصيلاً على الإطلاق بل مجرد رؤى "لاهوتية" (اعتماداً، بالطبع، على منظور كل فرد من "اللاهوتيين"). "إن التاريخ الكوني نشوئي في طبيعته" (ص **189**)، ليس فقط من ناحية أصل الأرض (ص **187**)، بل من ناحية "أشكال الحياة" أيضاً (ص **188**).

هكذا مقاربة لتكوين **1**– **11**، المتطبقة بشكل متساوقٍ متناغم، تقيض المصداقية اللاهوتية والتاريخية لبقية العهد القديم الذي يقوم عليها كبناء على أساس. لم تكن هذه هي الطريقة التي فهم بها ربنا يسوع المسيح وتلاميذه الأصحاحات الأولى من التكوين واستخدموها بها.

إزاء النشوئية الإيمانية، التي من المفترض أن تكون واسعة الانتشار وسط علماء البروتستانت والكنيسة الكاثوليكية الرومانية، الطريقة الأكثر معقولية أو منطقية لتفسير أصل النظام الشمسي الشديد التعقيد هو من خلال فكرة الخلق المباشر له من قِبَل الله. وإن كان هذا موقفاً مقبولاً في إطار الإيمان بالوحي الكتابي ومن منظار إخفاق البدائل النشوئية الواضحة. أفلعلَّ الأصل الفائق الطبيعة للنظام الكوني الذي نعرفه لا يكون نموذجاً للأصل الفائق الطبيعة للأنظمة النجمية التي تقبع خلف نظامنا الفلكي؟

---

[79] - ك.أ. كيتشن: "الشرق القديم والعهد القديم" (شيكاغو: منشورات انتر فارسيتي، 1966)، ص 116- 119. وعن وحدة وتناسق التكوين 1و 2 انظر أيضاً ج . ش. آيلدرز: " التفسير الكتابي للتلميذ": تكوين، وقد ترجمها ويليم هينن (كراند رابيدز: منشورات دار زوندرفان،1981)، 1: 78- 81، وكتاب كينث باركر: " الرد على المشاكل النحوية التاريخية" في موسوعة "التفسير والعصمة والكتاب المقدس" ص136.

[80] - هاورد ج. فان تل: " اليوم الرابع: ما يقوله الكتاب المقدس والسموات عن الخلق " (غراند رابيدز: منشورات إيردمانز،1986)، ص 83- 85.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بمعنى آخر، إن كان الله قد خلق من العدم النيرّين العظيمين اللذين يحكمان النهار والليل فقد كان بإمكانه أيضاً أن يخلق من العدم "النجوم أيضاً" (تك 1: 16). وبتعابير هول زيمرمان: "الرواية الكتابية للخلق على يد الله القدير لم يدحضها العلم. إنها تبقى حتى اليوم، على ما أعتقد، وحتى من وجهة نظر المنطق، الرواية الأكثر منطقية وتصديقاً عن بداية الأرض وبقية الكون"[81].

كارل هنري لاهوتي أميركي بارز تمحّص بعناية في النـزاعات الليبرالية داخل المؤسسات الإنجيلية في التعليم الأعلى، كممثل تلك المترافقة مع اتحاد الجامعات المسيحية. ومن منظار قضية الخلق/النشوء، يقول:

"يُظهر تقييمٌ قدمه ألبرت سميث أنه ما من موقفٍ مؤسساتي واضح التعريف موجود حتى وسط المدارس في اتحاد الجامعات المسيحية ما عدا ذاك الذي يركز على أصل الإنسان الخاص وكرامته وعلى الله كخالق... ("الخلق والنشوء من منظار جامعات الاتحاد"). وإنّ استنتاج سميث هو أنه بدافع رغبتهم لتحاشي التشدد في العقيدة فإنّ معظم الكليات الإنجيلية تفسر "الاعتقاد بأن كل الحق هو حق الله" ليحمل معنى أنّ "العلم هو المصدر الصحيح للوحي. ويصّر المعلمون على إله شخصي هو خالق وحافظ ويمدنا بالحياة بطريقةٍ ليست معروفة تماماً ولكن معلنة في الطبيعة من خلال العلم...". يبدو أنه لا يمكن اجتناب اتخاذ موقف سواء بالموافقة أو الرفض على أمل الإفصاح عن رأي مسيحي عالمي المنظار يلقي ضوءاً ساطعاً على الجدال الحالي الدائر حول النظرية النشوئية".[82]

يستطرد الدكتور هنري قائلاً:

"إنه أمر ذو مغزى أن التحدي العام للحركة الإنسانية المدنية لم تأْتِ من داخل الكليات الإنجيلية التقليدية، التي كان الكثير منها يميل إلى اعتبار وجود علاقة غامضة ومتساهلة نوعاً ما بين النشوء وبعض الأسس الإيمانية الرئيسة. ولم تنبع من داخل الجمعية العلمية الأمريكية، والتي معظم أعضائها نشوئيون مؤمنون... لقد كانت عبارة عن مجموعة من العلماء الإنجيليين الذين يؤمنون بالخلق، والذين يصرّون على أن الخلق لا يمكن اعتباره مجرد محاولة للربط بين سفر التكوين ونظرية النشوء، التي لفتت انتباه العامة إلى ترسيخ فكرة النشوء كحقيقة داخل الصفوف... إنّ الحقيقة هي أنّ عدداً من العلماء العلمانيين يطرحون الآن أسئلة أكثر تحديداً عن النشوئية الداروينية من أعضاء الهيئات التدريسية في بعض الكليات المرتبطة بالكنيسة"[83].

هنا أضع الصورة التي في ص 68-69

ص 69 في الكتاب هنا نضع الصورة
الشمس: "النُّورَ الاكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ" (تكوين 1: 16) بدأ وجوده في منتصف أسبوع الخلق. لم يكن قد "عُمِلَ" في اليوم الرابع بمعنى أنه كُشِفَ النقاب عن غيمة تغطيه، لأننا نجد في الأصحاح الأول من التكوين أن الفعل "عَمِلَ" يُستخدم بنفس المعنى كمرادف لـ "خَلَقَ". منذ قديم الزمان، وربما منذ السقوط، عبد البشر هذا المخلوق المتألق الفاقد الحياة (أيوب 31: 26؛ تثنية 4: 19). كان هذا الأمر صحيحاً تماماً في مصر، حيث أقام بنو إسرائيل لمئات السنين. وعندما عرض الله رواية التكوين الأولى لشعبه (من

[81] -"بعض الملاحظات على النظريات الكونية الحالية"، منشورات جامعة كونكورديا، 24: 7 (تموز 1953)، ص 513.
[82] - كارل ف. هـ. هنري: "الله، والإعلان والسلطان" المجلد6، ص 149.
[83] -المرجع السابق، ص 151.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

خلال موسى) بعد مغادرتهم لمصر، لا بد أنهم قد انذهلوا لرؤية أن إلههم لم يذكر حتى اسم الشمس (أو القمر) في تكوين 1. إضافة إلى ذلك، لقد اكتشفوا أن هذا الإله المفترض لم يكن حتى موجوداً عندما خلق الله العظيم (الذي يؤمنون به) النباتات والأشجار على قارات الأرض. هذا الإعلان شكّلَ ضربةً صاعقةً لمفهوم أن الشمس نهائية وأبدية ولا غنى عنها.

هذا وإن إدراكاً صحيحاً لطبيعة الشمس تساعد أيضاً على تقويض النشوئية الكونية. إن خسران الشمس المستمر والهائل للطاقة الكتلية (4 ملايين طناً في الثانية) يشير بما لا يرقى إليه الشك إلى خلق أصلي صنعه الله بمستوى عالٍ من الطاقة والنظام. ومن هنا فإن الشمس تقدم صورة ومثالاً واضحاً عن القانون الثاني في الترموديناميك والإفلاس الكلي للنظريات القائلة بالمذهب الطبيعي عن أصل الشمس (انظر مز 102: 25– 27؛ أشعياء 51: 6). وفي "السموات الجديدة" التي سيخلقها الله يوماً ما، سوف لن يعود الناس في حاجة إلى ضوء الشمس (رؤيا 21: 23؛ 22: 5). فالله، والله وحده، هو جوهر وأساس خلق وحفظ الأرض وقاطنيها.

ص 71

الهدف من خلق النجوم:

لماذا خلق الله الشمس والقمر والنجوم في اليوم الرابع وليس في اليوم الأول؟ هناك تفسير واحد محتمل وهو أن الله كان يؤكّد، بهذه الطريقة، الأهمية العظمى للأرض بين كافة الأجرام الفلكية في الكون. فبالرغم من صغر حجمها نسبياً، حتى بين الكواكب التسعة، حقيقة أنه ما من شيء يُقال عن النجوم ذاتها، هو أمرٌ لا نظير له على الإطلاق في أهداف الله الأبدية.

على هذا الكوكب وضعَ اللهُ الإنسان، وخلقَهُ على صورته، ليمارسَ السيادة وليعبدَه. وإلى هذا الكوكب جاء الله في شخص ابنه منذ تسعة عشر قرناً ونيف ليصيرَ عضواً دائماً في الجنس البشري، وليموتَ من أجل خطايا البشر على صليبٍ قاسٍ فظ. وإلى هذا الكوكب نفسه سيعود هذا الإلهُ العظيمُ والمخلِّصُ من جديد ليؤسّسَ ملكوتَه. بسبب مكانتها الموضعية السامية في الترتيب الروحي للأشياء، تشكّلَت الأرضُ أولاً ثم صارت منظومة النجوم.

ثمّةَ سبب آخر محتمل لهذا الترتيب من الأحداث هو أن الله، بهذه الطريقة، أوضح أن الأرض والحياة عليها لا تدين بوجودها إلى النور الأكبر الذي يحكم النهار، بل إلى نفسه. بمعنى آخر، كان الله قادراً تماماً أن يخلق الأرض وحتى الكائنات الحية عليها ويُعنى بها بدون مساعدة الشمس. لولا الكتابات المقدسة، بالطبع، لما كانت هذه الحقيقة ستغدو واضحة للبشر.

في العصور القديمة (وحتى في بعض أجزاء العالم اليوم) تعبدّت شعوب عظيمة فعليّاً للشمس كإله. ففي مصر كان إله الشمس يُدعى "رَعْ"، وفي بابل كان يُعرف باسم "شاماش". مهما يكن من أمر، هكذا عبادةٍ كانت تبدو معقولة تماماً نظراً إلى حقيقة أنّ الشمس تعطي الضوء، والدفء، والحياة نفسها بشكل واضح.

وحتى اليهود تعرضوا للإغراء الشديد بالدخول في هكذا عبادة، كما يمكن الاستدلال على ذلك من خلال مقاطع مثل تثنية 4: 19 و17: 3. وقد أقر أيوب قائلاً: "إِنْ كُنْتُ قَدْ نَظَرْتُ إِلَى النُّورِ حِينَ ضَاءَ أَوْ إِلَى الْقَمَرِ يَسِيرُ بِالْبَهَاءِ، وَغَوِيَ قَلْبِي سِرّاً وَلَثَمَ يَدِي فَمِي، فَهَذَا أَيْضاً إِثْمٌ يُعْرَضُ لِلْقُضَاةِ لأَنِّي أَكُونُ قَدْ جَحَدْتُ اللهَ مِنْ فَوْقُ" (أيوب 31: 26– 28).

لعلّه ليس خطأ أن نفترض أن النظرية النشوئية تقدم نظيراً حديثاً بارعاً لدين عبادة الشمس القديم، لأنه إن كان علينا أن ننسب أصلنا إلى الشمس أو إلى شمس أوليّة، وإن كنا نحيا ونتحرك ونوجد حصرياً من خلال بركتها غير المحدودة وتدابيرها العنائية، فإنها تكون عندئذٍ إلهنا.

إنّ رواية الخلق في التكوين تقوّض بشكل كامل كل هذه التجديفات بوضعها الشمس في مكانة ثانية بالنسبة للأرض. إنها مجرد مخلوق لله وحسب، ولكنها أيضاً خادمة للإنسان الذي هو تاج خليقة الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ولكن إن كانت الشمس والقمر والنجوم ليست أساسية جوهرياً لوجود الأرض، فلماذا خلقها الله؟ هناك ثلاثة أسباب رئيسية نجدها في تكوين 1: 14. وهي كأنوار، وأوقات (روزنامة وقت) وآيات.

كأوقات أو روزنامة: تقسم الفصول، والأيام، والسنين، وتمكّن البشر من التخطيط لعملهم بشكل دقيق إلى المستقبل البعيد، فتعكس هكذا فكر الله الهادف القصدي.

كآيات: تُعلّم البشر وتذكّرهم أبداً بالحقائق الرّوحية الفائقة الأهمية المتعلقة بالخالق. لقد تعلّمَ داود من السموات سموَّ الله إزاء تفاهته وضآلته هو شخصياً: "إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلَ أَصَابِعِكَ الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ الَّتِي كَوَّنْتَهَا، فَمَنْ هُوَ الإنسان حَتَّى تَذْكُرَهُ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ!" (مز 8: 3، 4). وأكد بولس الرسول على أن الإنسان ليس له أي مبرّر على الإطلاق للعبادات الوثنية، إذ أن "أموره" التي صنعها تشهد بوضوح على "قُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلاَهُوتُهُ" (أي الله) (رومية 1: 20).

من الواضح أن الشمس والقمر والنجوم تحقق هذه الأهداف بشكل أكثر فعالية من مصدر نور عظيم وحيد. لا يجب أن يكون هناك حاجة لسبب آخر لوجودها سوى هذه الخدمة المثلثة الوجوه المقدمة للإنسان.

ولكن أَفَلنْ تكون هذه إضاعة غير ضرورية لطاقات الله في الخلق؟ يعطي أشعياء إجابة قوية فيقول: "أَمَا عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَسْمَعْ؟ إِلَهُ الدَّهْرِ الرَّبُّ خَالِقُ أَطْرَافِ الأَرْضِ لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَعْيَا. لَيْسَ عَنْ فَهْمِهِ فَحْصٌ" (أشعياء 40: 28).

السموات هي عمل "إصبع" الله (مز 8: 3)، وعندما تحقق هدف الله المقصود منها، فإنها تمرب من وجهه ولا يوجَد لها موضع (رؤ 20: 11). والمدينة الأبدية "لاَ تَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَلاَ إِلَى الْقَمَرِ لِيُضِيئَا فِيهَا، لأَنَّ مَجْدَ اللهِ قَدْ أَنَارَهَا"، والرب يسوع المسيح سيكون حملها (رؤيا 21: 23؛ 22: 5).

ولذا فإن المسيح وكلمته يجب أن يكونا الدليل النهائي لنا بينما نسعى إلى فهم مصدر ومعنى ومصير السموات والأرض.

خاتمة:

إنّ إعلان الله المكتوب المتعلق بخلق الأرض والقمر وبقية الكواكب والشمس والنجوم يعطينا توكيداً خاصاً على مفهوم الخلق "من العدم" (ex nihilo) هذه الكينونات المادية الهائلة بشكل مذهل، بكل تنوعها وجمالها اللا محدودين، والتي تدور عبر فُسحات فضائية صُمّمت لتخبرنا شيئاً عن إلهنا ما كنا لنعرفه لولاها.

قبل أربعة آلاف سنة سأل اللهُ أيوبَ: "أَيْنَ كُنْتَ حِينَ أَسَّسْتُ الأَرْضَ؟ أَخْبِرْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فَهْمٌ.... [هَلْ تَرْبِطُ أَنْتَ عُقْدَ الثُّرَيَّا أَوْ تَفُكُّ رُبُطَ الْجَبَّارِ؟ أَتُخْرِجُ الْمَنَازِلَ فِي أَوْقَاتِهَا وَتَهْدِي النَّعْشَ مَعَ بَنَاتِهِ؟ هَلْ عَرَفْتَ سُنَنَ السَّمَاوَاتِ أَوْ جَعَلْتَ تَسَلُّطَهَا عَلَى الأَرْضِ؟" (أيوب 38: 4، 31– 33). فأجاب أيوب جواباً يغاير على نحو صاعق الفكرَ الدنيوي المتكبر المميز للقرن العشرين، فقال: "[قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلاَ يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ. فَمَنْ ذَا الَّذِي يُخْفِي الْقَضَاءَ بِلاَ مَعْرِفَةٍ! وَلَكِنِّي قَدْ نَطَقْتُ بِمَا لَمْ أَفْهَمْ. بِعَجَائِبَ فَوْقِي لَمْ أَعْرِفْهَا. اِسْمَعِ الآنَ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ. أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي. بِسَمْعِ الأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ وَالآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي. لِذَلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ]" (أيوب 42: 2– 6).

خيارنا النهائي هو إما أن نؤمن أن الكون هو نتاج صدفة عشوائية لا معنى لها أو أنه قد خلقه إلهٌ شخصي حيّ. ولكن التزامات بدائل الإيمان هذه لا يمكن أن تكون خيارات متساوية أمام الناس الذين هم على صورة الله بشكل مختوم لا يمكن محوه على أُسٍّ كيانهم. إنّ إله الخلق ببساطة لم يسمح لنفسه بأن يكون موضوع مقارنة مع أي "إله" آخر بمن فيهم نظرية الصدفة النشوئية خلال زمن معين: "فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَنِي فَأُسَاوِيهِ؟ يَقُولُ الْقُدُّوسُ. ارْفَعُوا إِلَى الْعَلاَءِ عُيُونَكُمْ وَانْظُرُوا مَنْ خَلَقَ هَذِهِ؟ مَنِ الَّذِي يُخْرِجُ بِعَدَدٍ جُنْدَهَا يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟ لِكَثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدَ الْقُدْرَةِ لاَ يُفْقَدُ أَحَدٌ.... اِلْتَفِتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ لأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرَ" (أشعياء 40: 25– 26؛ 45: 22).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

خلق النباتات والحيوانات

التكوين والجدول الزمني الجيولوجي:

الترتيب الذي جرت فيه الأحداث التي أدت إلى ظهور الكائنات الحية كما هو مدون في سفر التكوين يختلف كلياً عن ذاك الذي يتم تعليمه اليوم. رغم أن بعض الكُتاب حاولوا أن يضعوا توازياً (إزائية) بين أيام الخلق في التكوين والفترات المختلفة في الجدول الزمني الجيولوجي، فقد صار واضحاً بشكل مطّرد أن الجهد المبذول كان بدون جدوى. إنّ نظرة إلى رواية التكوين ستظهر السبب.

بالدرجة الأولى، يضع سفر التكوين خلق كل الأنواع الأساسية من النباتات البرية (بما فيها الأشجار المثمرة) في اليوم الثالث أي قبل يومين من خلق الكائنات البحرية، بينما الجيولوجيون النشوئيون يصرون على أن المخلوقات البحرية جاءت إلى الوجود قبل مئات أو ملايين السنين من الأشجار المثمرة. وثانياً، يخبرنا التكوين أن الله عمل الشمس والقمر والنجوم ("عَمِلَ" كرديف واضح لـ "خلق" في هذا الأصحاح) في اليوم الرابع، بعد خلق النباتات، في حين يزعم النشوئيون أنّ الشمس وُجدت قبل تشكيل الأرض نفسها[84]. وثالثاً، يقول التكوين أن الطيور خُلِقَت في اليوم الخامس مع الأسماك ولكن الجدول الزمني النشوئي ترد فيه الطيور بعد الزواحف (التي لم تكن قد خُلقت حتى اليوم السادس). وأخيراً يضع التكوين خلق الحشرات ("الدبابات") في اليوم السادس بعد خلق الأشجار ذات الورود بثلاثة أيام؛ ولكن هذا سيكون مستحيلاً إذا كانت الأيام هي دهور، لأنّ بعض عمليات التلقيح تتطلب حشرات. بعد تحليل دقيق للمسألة برمتها، استنتج أحد العلماء اللاهوتيين المحترمين: "هناك فروقات بين رواية التكوين ورواية التفسير النشوئي الجيولوجي أكثر بكثير من أوجه التشابه. وهذه الخلافات والفروقات جسيمة جداً"[85].

بسبب هكذا تناقضات، فإن بعضاً ممن حاولوا جعل موازاةٍ أو توافق أو تماثل بين ترتيب الأحداث في تكوين **1** وترتيب الأحداث في الجدول الزمني للجيولوجيا النشوئية ("انسجام توافقي") يقترحون الآن أنّ "أيام" تكوين **1** ليست متتالية فعليّاً في نهاية الأمر. يشعر روبرت نيومان، على سبيل المثال، أنّ "الأيام" في التكوين **1** كانت أياماً مؤلفة من **24** ساعة وكانت متعاقبة ولكن ليست متتالية، وأن فعاليات الخلق حدثت بشكل أساسي بين الأيام وليس أثناءها. أي أن كل يوم في التكوين كان بدايةً لفترةٍ خَلْقية جديدة؛ بحيث أن كل منها تمتد على عدة ملايين من السنين و"اليوم" السابع لا يزال في المستقبل[86].

من جهة أخرى، يرى دافيس يونغ أن "الأيام" في التكوين **1** هي "سبعة أيام رمزية مجازية متعاقبة متتالية تشير إلى فترة غير محدودة". إضافة إلى ذلك، يذهب يونغ حتى إلى أن يسمح للأحداث في هذه "الأيام" بأن تتزامنَ مع بعضها البعض أو تتداخل. وهكذا، فليس لدينا "نمط يومٍ متقطع معدّل" فقط بل أيضاً " نموذج اليوم–الدهر متداخل متزامن"[87].

هكذا تنقيحات متخيلة لمفهوم التداخل المشترك الذي كان يوماً شائعاً يظهر ببساطة، في ذهن كثيرين، الصيغة الأساسية في كل نظرية اليوم–الدهر. وعلى حسب تعبير النشوئيين الإيمانيين، وهو بروفيسور في جامعة كالفن وزميل لدافس يونغ:

> "إن التفسير القائل بتداخل مشترك هو مثال آخر عن التفسيرات التي لا معنى لها والتي تنحدر من مقاربة لأسئلةٍ غير ملائمة تتعلق بالكتاب المقدس. إنها النتيجة العقيمة للافتراض الضعيف الهش القائل بأن المقصود في تكوين **1** أن يكون إعادة سرد معدة للصحف عن عمل الله الأصلي قي الخلق[88]".

---

[84] - كثيراً ما قيل أن الشمس والقمر لم يُخلقا في اليوم الرابع لأن الفعل المُستخدم في العبرية في تكوين 1: 16 ("عَمِل") وليس ("خلق") كما في تكوين 1: 1. إلاّ أن هذا خطأ فادح. ففي سياق الكلام عن الخلق يُستخدم الفعلان بشكل مترادف، كما يرينا أي فهرس لغوي. فمثلاً، المخلوقات البحرية ("خُلقت") (الآية 21) بينما الحيوانات البرية "عُمِلت" (الآية 25). بالتأكيد لا يمكن لهذا أن يعني أن الحيوانات البرية لم تخلق. إضافة إلى ذلك، هذان الفعلان يستخدمان بشكل متبدل متناوب لوصف نفس الأحداث: تكوين 1: 26 يقول ("يعمل") وتكوين 1: 27 يقول ("خلقت")؛ وفي تكوين 2: 4 أ يَرد ("خلق") و 2: 4 ب يرد ("عمل")؛ في تكوين 1: 1("خلق") وخروج 20: 11("عَمِل") ؛ تكوين 1: 16 ("عمل") ومزمور 148: 3، 5 مع أشعياء 40: 26 ("خلق"). بعد دراسة متأنية لهذه الأفعال استنتج بروس ولتكي أن:" من الواضح أن الفعل asha وأفعال أخرى قد تدل على الخلق بأمر"ليكن" من العدم. وإنّ عقيدة الخلق من العدم لا تعتمد على الفعل bara... الشمس والقمر والنجوم جاءت إلى الوجود بمجرد أمرٍ من خالقها" (رواية الخلق في تكوين 1: 1-3) ومن هنا فإنه من الغلط تفسيرياً أن نجعل تأريخ خلق الشمس والقمر قبل اليوم الرابع في أسبوع الخلق. انظر وستن فيلز: "خاوية وخالية: نقد لنظرية الفجوة"، وويتكمب وديونغ: " القمر: خلقه، وشكله ومغزاه"، ص 72. انظر أيضاً "نظرية الفجوة"

[85] - جون كلوتس: "العلم الحديث في الحياة المسيحية" (سانت لويس: منشورات دار كونكورديا، 1961) ص 111- 112. يضع كارل هنري قائمة بتسعة وعشرين فارقاً كبيراً (الله، والوحي والسلطان) 6: 147- 148.

[86] - نيومان وإكلمان: "تكوين 1 وأصل الأرض" ص 74، 65.

[87] - دافيس يونغ: "الخلق والطوفان: بديل عن جيولوجيا الطوفان والنشوء الإيماني"، ص 89، 116-117. باتل بَن ، عالم أحياء في جامعة ويتن، تبنى كلا هذين النموذجين المتداخلين المشتركين ("النشوء: الطبيعة والكتاب المقدس في تضاد؟" غراند إربيدز: منشورات دار زوندرفان، 1982، ص 261- 266).

[88] - هواد فان تل: "اليوم الرابع" ص91. يصل هنري بلوشر أيضاً وهو نشوئي مؤمن، إلى الاستنتاج بأنّ" التداخل المشترك هو قاربٌ محطم" على صخرة اليوم الرابع من الخلق، الذي يضع خلق الشمس بعد خلق الأشجار ("في البدء": داونرز غروف: منشورات انترفارسيتي، 1984، ص 45).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

على غرار علم الفلك البطليموسي القديم، لاقى مفهوم التداخل المشترك حتفه بسبب آلاف التوصيفات[89]. ولكن هكذا مصير كان أمراً حتمياً يتعذر اجتنابه لأن التداخل المشترك، مثل النشوئية الإيمانية، يتجاهل الحقيقة البالغة الأهمية في أن الموت الجسدي قد دخل العالم فقط بعد خطيئة آدم (انظر رومية 5: 12؛ 8: 18– 23)[90]. وإذاً، من الواضح أن الله لم يقصد أبداً أن ينسجم التكوين مع مفاهيم النشوئية فيما يختص بتاريخ الأرض.

العديد من اللاهوتيين، وبالتزامات ضعيفة نحو سلطة الكتاب المقدس، والإحساس بإخفاق النظريات المختلفة القائلة بالتداخل المشترك بغية خلق انسجام بين سفر التكوين والجيولوجيا النشوئية، اندفعوا إلى مختلف أشكال النشوئية الإيمانية كمثل المقاربة الأرثوذكسية الجديدة، التي ترفع رواية الخلق بمجملها خارج حدود التاريخ والعلم، وتنكر أن الله كان يقصد أبداً بهذه الكلمات أن يكشف أي شيء سوى مفاهيم "اللاهوتية".

برنارد رام هو أحد ممثلي هذه المدرسة الفكرية المعروفين، والذي يقلل من شأن تكوين 1– 2 إلى مستوى أن تصبح مجرد "إطار أدبي" لإيصال "حقيقة مطلقة". لقد تخلى الآن عن محاولة إيجاد تاريخ شرعي أو علم موثوق يُعوّل عليه في الأصحاحات الافتتاحية من الكتاب المقدس. وإذ يرى انهيار مفهوم التداخل المشترك (الرأي الذي كان يؤيده سابقاً)[91]. وترفعه عن أي عودة إلى الآراء التقليدية عن أرضٍ خُلقت مؤخراً، يصل إلى الاستنتاج بأن علينا أن نتعلم إعادة التفكير جذرياً في رواية الخلق بالتصنيفات التي في الأرثوذكسية الجديدة كما يُعبَّر عنها في كتابات هيرمان، وغيرش وبارث. يعتقد الدكتور رام أنّ:

"الفكرة الصحيحة كتابياً والصحيحة لاهوتياً للخلق ستأتي من هذه الدوائر، وليس من الفكرة المستترة عند الأرثوذكسين الأمريكيين والأوساط الأصولية في أن التكوين 1 هو مجرد إعلان أو موحى به إن كان بشكل من الأشكال يسبق العلم الحديث المعاصر[92]".

دحضاً للفرضية الهيكلية لتكوين 1، لعلّه يمكن القول، بالدرجة الأولى، أنه ليس لها وجود في التفسير الكتابي الصحيح. أكّد إدوارد يونغ، في كتابه المهم الذي يحمل عنوان" دراسات في تكوين 1[93]"، على أن الأصحاحات الأولى من التكوين ليس فيها أية علائم للشعر أو الساغة[94] أو الأسطورة بل يجب تفسيرها حرفياً كما أي "تاريخٍ دقيقٍ وموثوق" آخر مدوّنٍ في الكتاب المقدس[95]. إضافة إلى ذلك، فقد أظهر أن النص الكتابي يتطلب تتابعاً كرونولوجياً لفتراتٍ زمنية واضحة المعالم[96]. أشرنا في مكان آخر إلى الأسباب التي تبرر وجوب أن تكون الأيام قد استغرق كل منها 24 ساعة تقريباً. ومن هنا فإن الله لم يقصد أن يجعل موازاةٍ بين أيام الخلق والعصور التاريخية الجيولوجية.

يقود هذا إلى اعتراضنا الثاني الأساسي على الفرضية الهيكلية. فكمثل نظرية اليوم–الدهر التي استبدلت بشكل متزايد، لا يمكن أن نأخذ بجدية كبيرة كمال خلق الله المكتمل كما يرد في تكوين 1: 31– "وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فإذا هُوَ حَسَنٌ جِدّاً". أنى لنا أن نصدق، على ضوء هذا القول، أن أنواعاً عديدة من النباتات والحيوانات قد صارت منقرضة لتوها خلال مليار أو أكثر من سنين "الصراع لأجل الوجود" والتي يفترض أن تكون سابقة لخلق آدم؟ أفلم يكن آدم قد طُلِبَ إليه أن يسود على "كل حيوان" (تكوين 1: 28)، بمعنى فريد ما عاد صحيحاً الآن (انظر عبرانيين 2: 8)؟ أولم يجد آدم نفسه في عالم من الحيوانات آكلة العشب حصراً (تكوين 1: 30؛ أشعياء 11: 7)؟ ولكن النظرية الهيكلية تفترض مسبقاً أن حيوانات كثيرة في زمن آدم كانت آكلة لحوم واستمرت هكذا لمئات ملايين السنين. كيف يمكن لهذا أن يتوافق مع حقيقة أن "الخليقة كانت خاضعة للعبثية" و"تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعاً إِلَى الآنَ"، وهي في "عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ" بنتيجة اللعنة في عدْن التي وقعت على مملكة الحيوان تبعاً لسقوط آدم (رومية 5: 12؛ 8: 20– 22)؟

سعى برنارد رام، من بين عديدين آخرين، إلى أن يحلّ المسألة بإعادة تعريف كلمة "حسنٌ" الواردة في تكوين 1: 31:

---

[89] - ريتشارد بوب، نشوئي إيماني بارز، زعم أن البديل الوحيد المتماسك لفكرة " الخلق الفوري اللحظي لأرض فتية" هو نشوئية كاملة تحت إشراق الله التدبيري الاعتنائي. وعلى هذا الأساس فإنه ينتقد بشدة محاولات دابس يونغ وروبرت نيومان، وهرمان إكلمان الاستناد إلى تحجيم الفكر ونقله من نظرية الخلق الصارفة إلى النشوئية الإيمانية ("مجلة الجمعية العلمية الأمريكية" 30: 2، حزيران، 1978، ص91).

[90] - إن مشكلة الخطيئة والموت هي المحور الرئيسي في مقالة فرد فان دايك النقدية: "المعضلات اللاهوتية في النشوئية الإيمانية" ("مجلة الجمعية العلمية الأمريكية" 38: 1، آذار، 1986، ص 11- 18). انظر أيضاً إ.هـ آندروز: "المسيح والكون"، (المنشورات الإنجيلية، انكلترا، ص 86- 90).

[91] - انظر "النظرة المسيحية إلى العلم والكتاب المقدس" (غراند رابيدز: منشورات إردمانز، 1954).

[92] - "ملاحظات على مقالة الدكتور فرد وين": "المسيحية اليوم" (أيار 21، 1965)، ص15.

[93] - "دراسات في تكوين 1" (فيلبزبرغ: منشورات الكنيسة المشيخية والمصلحة، 1964).

[94] - الساغة: (saga): قصة أيسلندية قديمة زاخرة بالأعمال البطولية [فريق الترجمة].

[95] -المرجع السابق، ص 105.

[96] - المرجع السابق، ص 77- 100.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

"لا بدّ للكون أن يحوي كل المجالات الممكنة من الحُسن (الصلاح). وإحدى درجات هذا الصلاح هو أن يقصر عن الجودة.... فإن لم يكن هناك أي شيءٍ فاسدٍ، أو إن لم يكن هناك أناس أشرار، فإنّ أشياء كثيرة صالحة ستنقص من الكون. الأسد يعيش لأنه يستطيع أن يقتل الحمار ويأكله.... نظام الطبيعة برمته يشتمل على نمور وأسود، عواصف وفيضانات عالية، أوبئة وطفيليات[97]".

بمعنى آخر، بما أنه يصعب أن نتخيل أي توازن آخر في الطبيعة سوى ذاك الذي نلاحظه اليوم، فقد افترض رام على أن العالم كان على هذا النحو دائماً:

إنّ وصف ج. سي. بيركوفر لـــ "جود الله المتناغم" الذي عند الرواقيين والفيلسوف الألماني ليبنتس (**1646– 1716**) يلائم تماماً هذه النظرة العالمية. يقول بيركوفر:

"هذه الجودة أو الصلاح [الدفاع عن عدالة الله في سماحه للشر بالوجود] يستند بشكل أساسي على نسبية الخطيئة. إنّ صلاح الله يشرق عندما تتبدد الغيوم الكالحة للخطيئة والشر... تذكروا، بالمقابل، كيف يتحدث الكتاب المقدس عن الخطيئة وقد "دخلت إلى العالم" (رومية **5**: **12**)، كـــ "عداوة لله" (رومية **8**: **7**). الخطأ الأساسي في هذا الصلاح هو الافتراض الأصلي بأن العقل يمكن أن يجد مكاناً مناسباً للخطيئة في الخلق .... وإن الإخفاق الجوهري في إدراك واقعية الخطيئة المريعة، والألم، والموت. وإن الإفراط في التبسيط يمثله، والدليل الذاتي على هذا الإفراط في التبسيط قد ساهم في ارتياب الإنسان المعاصر الراسخ في كل محاولةٍ تتعلق بالجودة والصلاح[98]".

علةٌ ثانية رئيسية أخرى في الفرضية الهيكلية (وأيضاً في نظرية التداخل المشترك أو نظرية اليوم–الدهر) هي أن مؤيديها يفترضون شرعية جدول الجيولوجيا التكراري[99]. مخطط تاريخ الأرض هذا كان قد استنبطه في بداية القرن التاسع عشر أناسٌ رفضوا شهادة الكتاب المقدس عن طوفان عالمي، والذين حاولوا أن يفسروا ملامح الأرض استناداً إلى عمليات جيولوجية تدريجية كانوا قد لاحظوها في عصرهم[100]". من الواضح إذاً أن مبدأ التكرار غير وافٍ تماماً لتفسير وجود السهول النهرية وأحواض البحيرات المحصورة، ومصاطب الأنهار المرتفعة، والتعوجات المنحوتة، والأبنية التي في صخور الجبال، والطبقات المتراكمة فوق بعضها والمنتشرة بشكل أفقي واسع، والمكونة من النباتات والحيوانات الأحفورية، والنجود البركانية، والألواح الجليدية القارية، وفيلة الماموث المتجمدة، والحركات الأرضية الارتجاعية الكبيرة للصخور، التي نجدها في مونتانا، ويومينغ، وسويسرا. إن الجدول الجيولوجي يشتمل على محاكمة عقلية دائرية، لأنه يفترض حقيقة نشوء عضوي كامل، يصل إلى التواريخ المحددة للمستاحاثات الأُسّية والصخور التي تحتويها. ولذلك يكاد لا يكون ضرورياً أن نقولب سفر التكوين ليتكيف مع مخططٍ أخفق من الناحيتين المنطقية والتجريبية معاً [101]".

الوفرة الأصلية في الحياة:

بالنسبة لأولئك الذين تعلموا أن يعتقدوا بأن الحياة في المحيطات قد بدأت بكائن وحيد الخلية، تقدم رواية التكوين صورة مذهلة صـــاعقة: "وَقَالَ اللهُ: «لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ .... فَخَلَقَ اللهُ التَّنَانِينَ الْعِظَامَ وَكُلَّ نَفْسٍ حَيَّةٍ تَدِبُّ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْنَاسِهَا...." (تـــك **1**: **20– 21**).

لعلّه يمكن ملاحظة أنه في قائمة المخلوقات البحرية الواردة في سفر التكوين **1**: **21** هناك "تنانين عظيمة" ("حيتان ضخمة") يـــأتي ذكرهـــا أولاً. يبدو وكأن الله قد جعل، بشكل متغاير وعن عمد، قدراته العظيمة في الخلق إزاء الفرضية النشوئية التي كان يعرف أنها ستسود عالم الـــتخمين العلمي فيما يتعلق بالأصول. إن الحوت الأزرق هو أكبر حيوان ظهر في الوجود، وبعض أفراد منه يبلغ طولها **110** قدماً ووزنها **300000** رطـــلاً. لم تكن هذه لتشكل مشكلةً بالنسبة لله الخالق لأنه خلق الأرض من العدم بمجرد كلمته.

---

[97] - "النظرة المسيحية إلى العلم والكتاب المقدس"، ص 93- 95.

[98] - "العناية الإلهية" (غراندرابيدز: منشورات إيردمان، 1952، ص 238).

[99] - نظرية الجدول التكراري الجيولوجي: هي نظرية تقول أن نفس العمليات الجيولوجية قد حدثت في الماضي كما تحدث اليوم، وأن التشكيلات والبنى الجيولوجية يمكن تفسيرها بمراقبة الأحداث الحالية [فريق الترجمة].

[100] - انظر ر. ت. كلارك و ج. د. بيلز: "لماذا يقبل العلماء نظرية النشوء" (فيلبسبرغ ، منشورات الكنيسة المشيخية والمصلحة، 1966)، ص 19.

[101] - انظر جون ويتكمب و هـ. م. موريس: "الطوفان في سفر التكوين"، ص 116- 211 (فيلبسبرغ، منشورات الكنيسة المشيخية والمصلحة، 1970)، وكتاب جوزيف ديلو: " المياه التي فوق: غطاء الأرض البخاري قبل الطوفان" ص 311- 420.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لقد أربك نظريةَ النشوء بشدة وجودُ ثدييات مائية كمثل الحيتان، إذ أنها تفترض أن هكذا حيوانات في الأعماق تطورت عن ثدييات برية تشبه الخنازير وذات أربع قوائم وهذه تطورت بدورها عن زواحف وأسماك. هذا الافتراض، ليس فقط يعوزه الدليل الوراثي والإحاثي كلياً، بل منافٍ للمنطق أيضاً. ليس هذا فقط، بل إن إخفاق نظرية النشوء في تعليل أو تفسير حتى ذرة الحياة الأولى قد صار واضحاً بشكل مطرد مع مرور السنين.

قبل عدة سنواتٍ ظهرت نشرة تحوي أبحاثاً قدمها بعضٌ من الخبراء الرواد في العالم عن أصل الحياة بعنوان: "الأجسام قبل البيولوجية"[102]. أحد هذه الأبحاث قدمها بيتر ت. مورا الذي في قسم الكيمياء الجزيئية في المعهد الوطني للصحة في بيثيسدا، ميريلاند، وكانت تحمل اسم "حماقة الاحتمالية"، سبّبت جدلاً شديداً بين العلماء الحاضرين في الاجتماع، لأنه أظهر أن الإحصائيات الاحتمالية ليس فيها أمل في تفسير أصل المتعضية الأحادية الخلية من مواد كيميائية لا عضوية:

"أعتقد أننا نطور ممارسة تعابير وعبارات غير محددة هروبية لنتحاشى مواجهة الاستنتاج بأن احتمال التوالد الذاتي هو صفر. هذا ما يجب أن نستنتجه من مبادئ ميكانيكا الكمّ التقليدية كما أظهر فيغنر (**1961**). هذه العبارات الهروبية تشترط مقداراً غير محدود من المواد (جزيئات منفردة)، لكي يمكن أن تكون أقل الحوادث احتمالاً قد حدثت. هذا يضع أمامنا احتمال واعتبارات احصائية عندما تصبح هكذا اعتبارات بلا معنى. عندما يكون هناك دور لزمن غير محدد ومادة غير محددة من أجل أهداف عملية، يصبح مفهوم الاحتمالية في هكذا وضع باطلاً. بهكذا منطق يمكننا أن نبرهن أي شيء كمثل ذاك مهما كان الأمر معقداً، فكل شيء سيكرر نفسه، بدقة وبعدد لا يحصى له"[103].

ص **84** في الكتاب هنا نضع الصورة
الحيتان: ظهرت الحيتان مع المخلوقات البرية جميعاً في اليوم الخامس للخلق، وهكذا تطورت الثدييات البرية مما كانت قد تطورت عنه افتراضياً. لم يكن لدى إله الخلق مشكلة في ابتداع هذه البهائم وحيوانات الأعماق بدون مساعدة الفترات الزمنية الواسعة أو أشكال مشابهة موجودة سابقاً. ولكن النشوئيين لديهم مشاكل هائلة في تفسير كيفية تطور هكذا حيواناتٍ معقدةٍ وفريدة في تركيبتها إلى أشكالها الحالية. لنذكر ثلاثة أمثلة وحسب عن ذلك: **1**– "أنثى الحوت تلد صغارها تحت الماء وترضعها تحت الماء. وصغار الحوت لديها رغامى تمتد فوق المري لتمنع الحليب المفرز من غدد الأمهات الثديية من الدخول إلى رئتيها. إضافة إلى ذلك، فإن خطم صغار الحيتان قد ترتب خلقه بشكل يسمح بملائمة الجريب على جسد أمها والذي تفرز الحليب إليه. وبهذا الشكل لا يمتص صغير الحيتان مياه البحر مع حليب أمه". أيمكن أن تكون هكذا متعضيات قد تطورت بتحولات عشوائية وانتقاء طبيعي؟ **2**– إنّ عين الحوت "تختلف عن عين الثدييات البرية في أن مقلة العين فيها ثابتة، والجفون بلا رموش، وما من غضروف جفن في الجفن، ومحور العين يتجه نحو الأسفل، وعدساتُ عينٍ كروية أكثر، وغشاء عين أشد كثافةً".

[102] - "أصل الأجسام قبل البيولوجية"، تحرير س. و. فوكس (نيويورك: المنشورات الجامعية، 1965).
[103] - المرجع السابق ص 450.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

3– إنّ أذن الحوت "قد تشكلت، بشكل واضح، مختلفةً عن أذن الثدييات لاستقبال الأمواج الصوتية التي يحملها الهواء. يمكن لأذن الحوت أن تعمل في الماء وتستطيع أن تقاوم الضغوط العالية المؤقتة عندما يكون الحيوان في الأعماق" (مقتبسة عن فرانك كوزينس، "الحركة المناهضة للنشوء"، (رقم **114**، نيسان **1964**). يشير النشوئيون غالباً إلى الأرجل الخلفية اللا وظيفية قرب تجويف الكلية ولكن هذه لا توجد إلا في حوت الرايت، ولدى معاينتها عن كثب يتبين أنها عظام تقوّي الوعاء التناسلي. يقول مايكل بيتمان: "إن الدليل على النشوء للحيتان ذوات الأسنان أو ذوات عظم الفك غير موجود") ("آدم والنشوء"، **1984**، ص**211**). وهكذا يمكننا أن نقدّر أكثر من ذي قبل التحدّي الذي يقدمه صاحب المزامير عندما يقول: "سَبِّحِي الرَّبَّ مِنَ الأَرْضِ يَا أَيَّتُهَا التَّنَانِينُ وَكُلّ اللُّجَج" (مز **148**: **7**).

ص 86 في الكتاب

في مراجعة تلقائية لهذا النشرة بعنوان: "هل تطورت الحياة؟" لـ ر.ل. ف: ألبرشت، ركز بشدة على أن "أصل الحياة من لا حياة يمكن أن يعلله موضوع الزمن والصدفة"[104] ووصل إلى الاستنتاج التالي:

"إن الناقد المراجع يقر برحابة صدر بأنه من الأسهل أن ننتقد أسهل من أن نقترح بدائل أفضل. وعلى كل حال، إن سرعة التطور في البيولوجية الجزئية هي بذلك القدر في المستقبل العتيد حين يأتي وقت تصبح فيه قدرة العلم على حل هذه المسألة أكثر وأكثر حسماً والفشل قد يعني بداية ثورة جديدة في الفكر"[105].

لعله يمكننا أن نضيف هنا بأن وقت هذه الثورة قد جاء للتو، إذ أن مئات السنين من البحث عن الإجابات لمشكلة أصل الحياة قد آلت إلى إخفاق تام. فقدرةٌ على الخلق قيمتها صفر إذا ضربناها بخمسة مليارات عبر عدد لا محدود من السنين تبقى قيمتها صفر.

الفائز بجائزة نوبل فرنسيس كريك، ورغم أنه ملحد، وصل إلى "لحظة حقيقة" عندما أقر معترفاً:

"إن إنسانا صادقاً، مسلحاً بكل المعرفة المتاحة لنا الآن، لا يمكنه إلا أن يقول بمعنى من المعاني أن أصل الحياة يظهر في الوقت الحالي شبه معجزة، وأن هناك شروطاً كثيرة ينبغي توافرها لكي نرضى من تفسيرها".[106]

لعل المرء يمكنه أن يبدأ بفهم إحباطات هكذا علماء عندما يدرك أن "بكتريا وحيدة خلية بسيطة تحوي وحدات مئة مليون صفحة من الموسوعة البريطانية"[107]

في كتاب مهم لمالكوم ديكسون وإيدون ويب بعنوان "الأنزيمات " يشرح المؤلفان أنه، من منظار حقيقة أن الأنزيمات يمكن أن تشكلها أنزيمات أخرى فقط، أنه ليس من طرق معروفة يمكن أن تكون قد بدأت بها الحياة بالدرجة الأولى.[108]

بعد إعلان بعض المشاكل المستعصية في المفهوم النشوئي، يصل المؤلفان إلى الاستنتاج التالي:

"مشكلة أخرى هي في الحفاظ على مكونات النظام معاً إلى أن يتشكل غشاء خلية مفترضين أن تكون الحياة قد بدأت في المحيط. وما لم يكن المحيط يحوي تكثيفاً عالياً نوعاً ما للمكونات (وبذلك يشكل خلية حية عملاقة)، فإن المكونات ستتبعثر سريعاً، كما يحدث الآن عندما يتمزق غشاء خلية. سيتلاشى النظام عندئذ "بترقيق تشويهي مميت". ولكن تشكيل غشاء خلية يقتضي ضمناً نظاماً تكون لديه درجة عالية من الترتيب والتنظيم. لذلك فإن موضوع أصل الأنزيمات برمته كما الحال مع أصل الحياة والذي هو على نفس

---

[104] - "هل تطورت الحياة"،"الكيمياء والصناعة"، (كانون الثاني،1969،8)،ص 44.
[105] - المرجع السابق، ص 45
[106] -"الحياة نفسها" (نيويورك: سيمون وشستر،1981)ص 88؛ وقد اقتبس عنها مايكل بتمان في كتابه "آدم والنشوء"، ص 268. انظر أيضاً كتاب سي. بي. ثاكستون: "لغز أصل الحياة: إعادة تققم للنظريات الحلية" (نيويورك: المكتبة الفلسفية، 1984).
[107] - كارل هنري:"الله، الإعلان والسلطان"، المجلد 6، ص 177، وقد وردت في كتاب ر. ل. ويسونغ "الجدال بين الخلق والنشوء" (منشورات إنكوياري) ص 114.
[108] - "الأنزيمات "، الطبعة الثانية (نيويورك: المنشورات الجامعية، 1964)، ص 665.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

النحو بشكل أساسي محفوف بالمصاعب. ولعله يمكننا أن نقول بشكل مؤكد أن مجيء الأنـزيمات، كما قال هوكينز عن مجيء الحياة، هو الأمر الأبعد احتمالاً والحدث الأكثر أهمية في تاريخ الكون"[109].

ومن هنا، فإن برهان باستور بأن الحياة يمكن أن تأتي من حياة فقط يَثْبُتُ أقوى من ذي قبل، وهذا ما يؤكد رواية الخلق كما تأتي في سفر التكوين.

يقول مايكل باتمان مفسراً:

"أنظمة الأنـزيمات تقوم بكل لحظة بما لا تستطيع كتائب من الكيميائيين أن يفعلوه بدوام كامل.... هل في مقدور أي أحد أن يتخيل جدياً أن الأنـزيمات الحاصلة بشكل طبيعي قد حققت ذاتها مع مئات من أقرانها بالصدفة. إن الأنـزيمات وأنظمة الأنـزيمات مثل الآليات الجينية التي تنشأ منها هي روائع من الدقة الحِرَفية. وهناك بحث آخر يكشف كل تفاصيل دقيقة عن التصميم .... ويقر ديكسون بأنه لا يستطيع أن يدرك كيف يمكن لهكذا نظام أبداً أن ينشأ بشكل عفوي تلقائي[110]".

ص 89 في الكتاب هنا نضع الصورة
تجارب لويس باستور: لقد حظيتُ بفرصة زيارة معهد باستور في باريس عام **1975** وأن أرى القوارير ذاتها التي تجدون صورةً لها هنا. لقد أظهر لويس باستور عام **1861**، من خلال تجارب دامت سنتين في مخبره وباستخدام هذه القوارير ذاتها، استحالة التوليد العفوي التلقائي للحياة، هذا الرأي الذي كان قد طرحه داروين قبل ذلك بسنتين فقط في كتابه "أصل الأنواع". لقد رفض باستور آراء داروين كلياً، لأنه كان يعتقد أنه "لإنتاج توليد عفوي تلقائي ينبغي خلق أصل أو بزرة. إنها ستكون خلق حياة... وعندها لن تكون حاجة لله خالق الحياة. فالمادة ستحل محله. والله سيعتبر مجرد خالق لحركات الكون" (مقتبسة في مقالة إيان تايلر، "في فكر البشر" **[1984]**، ص **182**). لقد لخص باستور عمله بمحاضرة ظافرة في السوربون في باريس عام **1864**، والتي اختتمها بالقول: "لن تُشْفَ أبداً عقيدةُ الخلق العفوي التلقائي من الضربة القاضية التي ألحقتها بها التجربة البسيطة" (روبرت شاريرو، "الأنواع: دليل شكوكي إلى خلق الحياة على الأرض" [نيويورك: منشورات سميت، **1986]**، ص **52**). ولقد كان تنبؤ لويس باستور صحيحاً. فقد ماتت نظرية النشوء التي تقول أن الحياة قد نشأت بالصدفة.

للتأكيد، إن شعبية كبيرة قد رافقت تجربة ستانلي ميلر في تشكيل حموض أمينية في جهاز يحوي الميثان والنشادر والهيدروجين والماء وقد شُحِن بتفريغ شحنة كهربائية كدليل على أن الحياة قد نشأت من مواد كيميائية لا عضوية في المحيطات القديمة. مهما يكن الأمر، قال دوايت ت. غيش، وهو كيميائي حيوي باحث سابق في مخابر أبجون: "إن مغزى وأهمية هذا الشرح ليس بالغ الأهمية على الإطلاق؛ بل يمكن أن نعتبره مبتذلاً عادياً فأن نكون قد وضعنا عدداً معيناً من الغازات في جهازٍ مغلقٍ وأضفنا إليه مصدراً للطاقة سنندهش إن لم تتشكل تركيبات ما من هذا التنوع

[109] - المرجع نفسه، ص 669.
[110] - "آدم والنشوء" (غراند رابيدز: منشورات دار باكر، 1986)، ص 144. ويمكن إيجاد استشهاده بديكسون في كتاب ديكسون: "الأنـزيمات "، الطبعة الثالثة (نيويورك: منشورات لونغمان، 1979)، ص 656.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المؤلف من الكربون والأوكسجين والنتروجين".[111] ثم أشار الدكتور غيش إلى بحث قدّمه فيليب أبيلسون، مدير المخبر الجيولوفيزيائي، في معهد كارنيجي في واشنطن، عن أن التأثير الذي يمكن لهكذا جو إختزالي هو غير ممكن من الناحية الترموديناميكية لأن "تحليل الدليل الجيولوجي يحد بشدة مجال التخمين المسموح به في طبيعة الجو الأصلي والمحيط"[112] واستنتج غيش في نهاية كلامه أن: "من الواضح إذاً أن أساس تجربة ميلر لم يوجد".

ومن هنا، وبينما كان إله الخلق قادراً على أن يخلق الحيتان و"زحافات ذات نفس حية" في لحظة من الزمن دون أن يستنفذ طاقاته، ويعجز النشوئيون عن تخيّل كيف أن متعضية وحيدة الخلية تتضاعف ذاتياً قد وُلِدت بشكل تلقائي فوري، حتى مع ذلك الجو الاختزالي الذي كان معداً في المخابر وبوقت غير محدود نظرياً تحت تصرفهم. هل يمكن تخيّل تضاد أكبر من هذا بين وجهتي نظر عالميتين؟

لعرض هذا التضاد بتعابير أخرى، يخبرنا سفر التكوين أن كل أنواع المخلوقات الأساسية التي عاشت على الإطلاق قد ظهرت فورياً تقريباً في بدء تاريخ الأرض وأن هناك أنواع أقل فأقل قد انقرضت خلال الصراع على الوجود في عالم يأن تحت عبودية الفساد (تكوين 2: 1–3)؛ انظر أيضاً رومية 8: 20–22). من وجهة نظر أخرى تتطلب نظرية النشوء ذرة وحيدة أصغر من مجهرية للحياة عند البدء مع أنواع أكثر فأكثر من متعضيات برزت للعيان مع مرور الأزمنة والعصور. بالإيمان يفهم النشوئي أن عالم العضوية قد تشكل بالصدفة خلافاً للعمليات البيولوجية الحالية. وبالإيمان يفهم المسيحي أن العالم العضوية قد خلقته كلمة نطق بها إلهٌ شخصيٌ كلي المعرفة وذو قدرة لا متناهية كما ينكشف لنا من خلال الكتاب المقدس المعصوم وكما يتبدى في الفجوات الواضحة في سجلات علم المستحثات والأنظمة البيولوجية اليوم[113].

ص 91 في الكتاب
هنا نضع الصورة
قردٌ وآلة كاتبة: كم ستستغرق مواد كيميائية فاقدة الحياة تحت ظروف مثالية لتنشأ متحولةً إلى حيوانٍ حيٍ وحيد الخلية؟ الجواب: هذا لا يمكن أبداً أن يحدث. لنبسط المسألة. كم سيستغرق قرد ليضرب بدون تفكير على آلة كاتبة فيصل بالنتيجة إلى كتابة الكلمات الواردة في تكوين 1: 1 ("في البدء خلق الله السموات والأرض") في الحقيقة، لندع مليون قرد لا يكل ولا يمل ليضرب بسرعة تنضيد قياسية (12 كلمة في الثانية) على آلات كاتبة مبسطة كل الأحرف فيها كبيرة. حاولوا أن تفكروا بصخرة كبيرة جداً لدرجة أنه لو كانت الأرض في مركزها للامس سطحها أقرب نجمةٍ. أن هذا النجم بعيدٌ جداً حتى أن الضوء يستغرق أكثر من أربع سنوات ليصل إلى هنا. مسافراً بسرعة 186000 ميلاً في الثانية إذا جاء طير مرة كل مليون سنة ونقل مقداراً يعادل أصغر حبة من الرمل فإن هكذا صخور ستتفتت قبل أن تستطيع تلك القرود البطلة الممتازة أن تطبع الآية الأولى من سفر التكوين (بولتون دافيدهيسر، "النشوء والإيمان المسيحي"، منشورات الكنيسة المشيخية والمصلحة، 1969، ص 363، باستخدام حسابات ويليم فيلر، "مدخل إلى نظرية الإحتمال ومضامينها"، ويلي، 1950، ص 266). عند إدخال سخافات اللا إحتمالية النشوئية إلى أجهزة كمبيوتر حديثة ستشتعل أضواءٌ حمراء وستتعطل الألة. انظر بول س. مورهد، "تفسير النشوء" (منشورات معهد ويستار، 1967). قال السيرفريد هايل: أن فرصة نشوء الحياة من مادة غير حية تقارن بفرصة "إعصار ترنادي يجرف خردة باحة قد تكفي لتجميع طائرة بوينغ

[111] - "نقد النشوئة الكيماحيوية" في "لم لا للخلق؟" تحرير وولتر لاميرتس، ص 284.
[112] - "خلاصات، اللقاء الوطني الثالث والثلاثين بعد المئة"، الجمعية الكيميائية الأميريكية (نيسان 1958)، ص 53. انظر أيضاً مايكل بتمان: "آدم والنشوء"، ص 138-139.
[113] -أنظر البراهين الواضحة بشكل لافت عن هذه الفجوات الأساسية في كتاب مايكل دانتون. والنشوء نظريةٌ في أزمةٍ" (بيثيسدا، 1986)، انظر أيضاً لين ب.كيستر و ريموند ج. بوهلين: "القيود الطبيعية للتحول البيولوجي" (غراند رابيدز: منشورات زوندیرفان، 1984).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

747 من المواد التي فيها" ("الطبيعة"، المجلد 294، 12 نوفمبر 1981، ص 105).

حدود التغيّر:

إنه مبدأ أساسي لنظرية النشوء أنه لا يمكن أن يكون هناك حدود ثابتة لاحتمال التغير في الكائنات الحية لأن النظرية تفترض أن كل المخلوقات الحية في عالم اليوم سواء كانت النباتات أو الحيوانات تطورت عن متعضية وحيدة الخلية. هذا هو مفهوم شجرة العائلة للكائنات الحية، التي تواجه الدارس في معظم الكتب التي تتناول علوم الحياة، والعلوم التاريخية، وحتى تاريخ العالم. ليس من معاهد رئيسية ذات تعليم عالٍ في أي مكان في العالم "على حسب معلوماتي" (تقدم شهادات عليا متقدمة في العلوم الطبيعية حيث يكون مفهوم شجرة العائلة في نظرية النشوء العامة مرفوضاً). ومع ذلك، ويا للذهول، فإن قرناً من البحث على يد آلاف الإختصاصين قد أخفق في أن يقدم أي دليل واضح يناقض العقيدة الكتابية لأن الكائنات الحية قد خُلقت لتتكاثر كل بحسب جنسها ونوعها.

بدلاً من شجرة عائلة واحدة للكائنات الحية يقدم الكتاب المقدس صورة عن غابة عملاقة من الأشجار للكائنات الحية، وكل "شجرة" خُلقت بشكل فائق الطبيعة متمتعة بإمكانيات جينية لتنوعات وتفرعات، ولكن ضمن قيود محددة لهوية "شجرةٍ" مخلوقةٍ. وهكذا فقد خُلق الجنس البشري متمتعاً بإمكانيات للتنوع إلى أجناس عديدة متمايزة بشكل واضح عن بعضها كما العماليق ذوي الأقدام التسعة في فلسطين القديمة والأقزام ذوي الأقدام الأربعة في وسط إفريقيا ولكن لم يكن هناك أي شك جدي في أن يكون البشر بشراً وأن الأجناس المتنوعة تنتمي إلى نفس شجرة العائلة.

ص 95 في الكتاب
هنا نضع الصورة
غابة أشجار العائلة: في تغيير كلي لنظرية النشوئية في أن كل الكائنات الحية على هذا الكوكب قد تطورت تدريجياً (أو حتى في فورات نشاط) عبر مليارات السنين، مثل شجرة عملاقة من إحدى ذرات الحياة، يعلمنا النموذج الكتابي أن الله خلق بشكل مباشر غابة ضخمة من "أشجار حياة" مستقلة على نحوٍ دائم. وبحسب منظور الخلق، كل الأنواع الأساسية (الأنواع المخلوقة) للكائنات الحية التي وجدت على الإطلاق (مثل البشر والغوريلا والكلاب والقطط) قد خُلقت في أقل من أسبوع وتكاثرت "حسب جنسها" منذ ذلك الحين (تكوين 1؛ لاويين 11). لقد خلق الله هذه "الأنواع" مع إمكانية كبيرة للتغاير الجيني إلى أجناسٍ وسلالاتٍ و هجنٍ،....إلخ. ولكن من ناحية التطور إلى أنواع جديدة أو حتى تحسين أنواع موجودة، هكذا تغايرات تتميز دائماً بضعف جيني جوهري في الأفراد، بما يتناسب مع النتائج التي وردت في القانون الثاني من الترموديناميك، من خلال التكاثر الجيني وتراكم التغايرات الإحيائية الضارة ومن هنا فإن التغيرات التي تطرأ على الكائنات الحية عبر الزمان تكون دائماً ضمن الحدود المحصورة الضيقة للأنواع المخلوقة وتنحى دائماً إلى تمايز جوهري. إن الطوفان في التكوين قلّل من إحتمالات التغاير المذهلة هذه ولكنه لم يدمرها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

من الواضح أن الله خلق أنواعاً معينة من الحيوانات تتمتع حتى بإمكانية أكبر للتنوع من البشر. فمثلاً، خلال القرون القليلة الماضية تطورت مئتا سلالة من الكلاب، المختلفة عن بعضها البعض ككلاب الداني الضخمة وكلاب الدشهند، ولكنها تنتمي جميعاً إلى نفس نوع المخلوقات هذا ليس دليلاً على النشوء؛ بل على العكس تماماً، لأن معظم هذه التغيرات تقلل قدرة الحيوان على البقاء في الطبيعة. ليس بالتغيارات الأحيائية[114]، بل بإعادة اتحاد مواد جينية موجودة، تظهر أجناسٌ جديدة إلى الوجود.

"عندما يمهد شعبٌ حدودي لمنطقةٍ جديدةٍ فإنه لا يمكن أن يأخذ كل الجينات التي في الشعب الأم بل جزءاً منه. ومن هنا، إن كل جنس أو نوع جديد يتطور عن الذي سبقه، يمتلك مجموعة جينية غير ناضجة تماماً ويعوزها التنوع في الأجناس. لهذا السبب فإن نضوب أو هلاك مجموعتها الجينية الناشئة عن الإنتقال الجيني هو الثمن الذي يجب أن يدفعه كل جنس أو نوع من أجل الحصول على امتياز المجيء إلى الوجود.... إن المصير المأساوي للأنواع والأجناس المتحولة والمتخصصة هو، لهذا السبب، موت جيني، كأمر لا مفر منه".[115]

ص **101** في الكتاب
هنا نضع الصورة
كلاب الدَّشْهَنْد[116] وكلاب الدانيّ[117]: إن الفروقات الجسمية الكبيرة والغريبة الموجودة بين حوالي مئتي نوع من الكلاب (القادرة جميعاً على التزاوج المجيني) تقدم لنا صورةً كاملةً عن غنى المجموعات الجينية التي خلقها الله. إن الكلاب السبنيلية، والتريرية، والبيجلية، والسلوقية، والبلدوغية، والكولية، وغيرها– تختلف بشكلٍ كبيرٍ عن بعضها في الحجم والشكل واللون والنموذج ونمط الشعر والقدرات، ولكنها جميعاً تنتمي إلى نفس "شجرة" نوع الكلاب. فهناك أغصان كثيرة ولكن الشجرة واحدة. لقد خلق الله شيفرة الـ د. ن. أ. (الحمض النووي) لهذه "الشجرة" لتصير كلاباً، وطالما بقي الكون، فما من كلبٍ سيصبح قطةً، وما من قطة ستصبح كلباً. إن كان العالم الحالي قد غمره طوفان مياهٍ على نحوٍ مفاجئ، فإن علماء المستحاثات النشوئيين للعصر المستقبلي (إن لم تكن النشوئية قد انقرضت آنذاك) سيفترضون، بلا ريب، أن مستحاثات كلاب الدَّشْهَنْد لابد أن تعود إلى مليون سنة قبل مستحاثات كلاب الدانيّ. وعلى نفس المنوال، قد أُعيد تشكيل أو صياغة نظرية نشوء الخيول والإنسان. إن التغاير داخل الأنواع هو النقيض تماماً للنشوء لأن الحدود أو التخوم التي وضعها الله لا يمكن أبداً تجاوزها والتغيرات الجديدة التي تظهر (من خلال التوحد الجيني من جديد) تمثل إضعافاً أساسياً للأفراد في هذه التنوعات المنفصلة.

إعادة الإتحاد تُقسم إلى أجزاء صغيرة وتضعف الطراز العرقي ولا يمكن أن تؤدي إلى تحول أي طراز أساسي إلى طراز آخر.[118]

على الرغم من أن المورفولوجيا "بنية وشكل الأجسام" وقابلية التهجين (قدرة الذكر والأنثى على التزاوج وإنجاب جنين) والعدد الصبغي هي طرقٌ مفيدةٌ لتحديد الأنواع المميزة المتمايزة للكائنات الحية، والسلالات في بعض الحالات لا تكون واضحة كفاية. في الواقع، لقد قدم بعض

[114] - التَّغيار الأحيائي: (mutation): تغيّر افتراضيّ مفاجيء في الوراثة يُحدث مواليد جديدة مختلفة عن الأبوين المنتجين اختلافاً أساسيّاً. وذلك بسبب تحوّلات طارئة على الصِّبغيات (الكروموسومات) أو على المورّثات (الجينات) [فريق الترجمة].

[115] - "نقدٌ جديدٌ لمبدأ التحول في البيولوجية النشوئية" (كامبين، 1965)، ص 55.

[116] - الدَّشْهَنْد: (Dachshund): كلب ألماني صغيرٌ طويل الجسم قصير القوائم متدلي الأذنين [فريق الترجمة].

[117] - كلب الدانيّ الضخم: (Great Dane): كلبٌ ضخم قويّ طويل القوائم ناعم الشعر قصيرُهُ مربع شكل الرأس وغائر الخطم [فريق الترجمة].

[118] - انظر إرنست ماير: "أنواع الحيوانات والنشوء" (كامبرج: منشورات جامعة هارفارد، 1963)، ص 518 التي استشهد بها دايفيني د ي ويت في "النقد الجديد لمبدأ التحول في البيولوجيا النشوئية"، ص 54.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

العلماء الإنجيليين تنازلات كبيرة للنظرية النشوئية باقتراحهم أن "الله خلق الانظمة والانتقاء الطبيعي استلم زمام الأمر من هناك"، وأنه "في بعض الحالات يمكن تطبيق الأصناف أو حتى الشعب".[119]

هنا من المهم أن نميز أو ندرك أن الكتاب المقدس يقدم التقيدات أو الحدود فيما يتعلق بمدى شمولية الأنواع المخلوقة. في دراسة عن المصطلح "نوع أو جنس" في كلا تكوين **1** ولاويين **11**، استنتج ج. بارتون ريني أن "الجنس لابد أنه يشير إلى أقسام جزئية داخل أنماط الحياة الموصوفة وليس الخاصية العامة للأنواع نفسها".[120]

ومن هنا، وفيما يتعلق بتكوين **1** "بينما كلمة جنس (نوع) لا تتطلب هنا الخلق المنفصل المستقل من قبل الله لكل نوع، بل يتطلب على الأقل خلقاً منفصلاً للفصائل داخل الأنواع". وبالنسبة للاويين **11**، إنه يظهر أن الـ "أنواع" للطيور تمتد إلى أجناس على الأقل. "إضافة إلى ذلك تبين أن كلمة جنس هي مصطلح لتعداد تقني؛ ولا يُستخدَم في أي مكان آخر سوى الأحاديث، كما نرى في الكتاب المقدس. يقول المعجم العبري بشكل مؤكد أن كلمة "جنس" في الكتاب المقدس لها معنى أوحد وحيد، وتحديداً "أنواع".[121]

إضافة إلى التقيدات على المصطلح "نوع/جنس" في لاويين **11**، لدينا أيضاً دليلاً رئيسياً عن حجم فلك نوح. إن الهدف من هذا المركب المشيد كان أن ينجي من طوفان عالمي كوني إثنين (زوجاً) من كل "نوع" من المخلوقات التي تتنشق الهواء (تكوين **6**: **19**–**20**، **18**: **17**). قدر إيرنست ماير أنه كان هناك حوالي **17600** نوعاً من الثدييات، والطيور والزواحف والبرمائيات الموجودة في العالم اليوم. على افتراض أن الحجم العادي لهذه الحيوانات هو حوالي حجم غنمة (هناك بضعة حيوانات كبيرة الحجم حقاً)، فإن هذا سيضمن متسعاً ليس فقط لزوج من كل نوع من الحيوانات التي تتنشق الهواء في عالم اليوم، بل أيضاً لآلاف الأنواع التي ظهرت إلى الوجود منذ الطوفان. من هنا يبدو واضحاً تماماً أن "الأنواع" في التكوين لا يمكن أن توازن أو تسوّى بـ "الأنواع" التصنيفية إن كان يتوجب على فلك بهذا الحجم أن يشيّد ليحوي على زوج من كل "نوع".[122]

ألح بعض العلماء الإنجيليين بأن نشوء سلالة الخيول من نوع (**Equidae**) هو دليل قوي على أن "أنواع" التكوين كانت كبيرة العدد. ولكن ج. إي. كيركبت، في مناقشة لنظرية النشوء المزعومة للخيول, يقول أن "القصة الحقيقية تستند إلى حدٍ كبير على من سردها والزمان الذي رويت فيه."[123] فيقول:

> "في الوقت الحاضر، إنها مسألة إيمان في أن صور الكتاب المدرسي حقيقية، أو حتى أنها هي أفضل تمثيل للحقيقة متاح لنا في الوقت الحالي. أحد الأشياء المتعلقة بنشوء الخيول قد صارت واضحة.... فبدلاً من شجرة عائلة ازدادت أغصان الشجرة في حجمها وتعقيدها إلى أن وصلت الآن إلى شكل أقرب ما يكون إلى أجمة أكثر منها شجرة. في بعض الأحوال يبدو وكأن نمط نشوء الخيل عشوائياً كما اقترح أوزبورن (**1937**، **1943**) لأن نشوء رتبة الحيوانات الخرطومية، حيث "لا تُعتبر ولا بأي شكل من الأشكال المعروفة من سلالةٍ أو متحدرة من أي نوع معروف آخر؛ فكل تصنيف ثانوي من المفترض أن يكون قد بذل بشكل منفصل تماماً واعتيادي بدون أي مرحلة متوسطية معروفة من أسلاف مشتركين فرضيين.[124]"

على ضوء هذا الحديث، يبدو بالكاد وجود علامة لدى الثقافة الإنجيلية لتستخدم النشوئية المزعومة عن الخير كأساس لتحديد تعريفنا لـ"الأنواع" في التكوين.

ما هي بعض القيود على التنوع في النباتات والحيوانات التي اكتشفها العلماء في القرن الماضي؟ بالدرجة الأولى قوانين ماندل التي هي أساسية لعلم الوراثة. لقد قيل أن داروين ما كان سيُقنع العالم بنظريته لو كانت اكتشافات ماندل قد وصلت إلى الإعتراف والتقدير الذي تستحقه.[125] هذه القوانين توضح كيف أن التغايرات يمكن أن تحدث بشكل عادي فقط ضمن حدود محدودة، وفي تجانس مع الخلق "بحسب جنسه". بالدرجة الثانية، إن التغايرات غير السوية أو "التغايرات الأحيائية"، كلها ضارة عملياً أو مميتة للمتعضية، كما أظهرت بوضوح التجارب

---

[119] - ج. و. باسويل، "تفسير الخَلقيين للإنسان قبل التاريخي"، في "النشوء والفكر المسيحي اليوم"، نشر رسل مكستر (غراند رابيدز: منشورات إيدرمانز، 1959)، ص 183.
[120] - "مفهوم الأنواع/ الأجناس في الكتاب المقدس"، "مجلة الجمعية العلمية الأميريكية" (حزيران 1958)، ص 18. انظر أيضاً كتاب ريني: "لاهوت العهد الأقدم" (غراند رابيدز: منشورات زوندیرفان، 1962)، ص 137.
[121] - المرجع نفسه ص 19.
[122] - ويتكمب وموريس: "الطوفان في التكوين"، ص 69.
[123] - "مضامين النشوء" (نيويورك منشورات بيرغمون، 1960، ص 144.
[124] - المرجع نفسه، ص 149. انظر أيضاً فرنسيس هيتشينغ، "عنق الزرافة"، ص 28- 31.
[125] - انظر ر. ي. د. كلارك، داروين: "ماقبل ومابعد" (شيكاغو: منشورات مودي، 1967)، ص 126، مايكل بتمان، "آدم والنشوء"، ص 64.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

على ذبابات الندى التي تصيب الثمار. كان جورج غلورد سيمبسون قد كتب: "إذا كان معدل التغاير الأحيائي 1 بالألف– وهو معدل التغاير الأحيائي العادي– وإن كان حصول كل تغاير أحيائي يضاعف فرصة حدوث تغاير أحيائي في نفس الخلية، فإن احتمال حدوث خمسة تغايرات أحيائية في نفس الوقت في أي فرد سيكون مضاعفاً بمقدار 10^{22}. هذا يعني أنه إن كان العدد الطبيعي المتوسط هو مئة مليون وإن كان الجيل الطبيعي يدوم يوماً واحداً فإن هكذا حادثة كمثل ظهور خمس تغايرات في نفس الوقت في فرد واحد سيتوقع أن يتم مرة كل 274 مليار سنة.[126]

ليس هناك دليل على نشوء النباتات كما على نشوء الحيوانات أيضاً. ولقد قال سي. أ. أرنولد:

"ينبغي أن نقرَّ حقاً بأن هذا التوق (لإيجاد دليل على نشوء النبات) قد تحقق بشكل ضئيل، إلى حد ما، رغم أن البحث في علم المستحاثات جارٍ منذ حوالي 100 سنة"[127].

وماذا عن الحشرات؟ "إننا نجهل أصل الحشرات"، هذا ما يقوله بيير بي. غراسي، وهو عالم حيوان مشهور ورئيس سابق لكلية العلوم ومحرر لمجلد مكون من 35 جزءاً عن علم الحيوان (1948– 1972)[128].

ص 99 في الكتاب
هنا نضع الصورة
الأنواع المخلوقة، فلك نوح، وعربات السكة الحديدية المقطورة: كان فلك نوح أكبر بنية مشيدة على الإطلاق قد بنيت لتطفو على مياه البحار حتى أواخر القرن التاسع عشر حيث بنيت مركبات معدنية عابرة للمحيطات لأول مرة. لقد كانت بارجة، وليست سفينة ذات جوانب مائية، ولذلك كانت تتمتع بقدرة على الشحن أكثر بحوالي 30 بالمئة من سفينة بنفس الأبعاد. وإذا افترضنا أن الطول الأدنى للكوبية (18 إنشاً) فإن الفلك كان له طاقة استيعاب تقارب 140 ألف قدماً مكعبةً، لذلك كانت ضخمة جداً حتى أنه كان يمكن وضع 522 عربة سكة حديدية مقطورة في داخلها. وبما أن زوجاً من كل مخلوق حي في العالم أمكن حمله فيها بشكل مريح في حوالي ما يقارب 150 عربة مقطورة فإذاً كان هناك مكاناً واسعاً في فلك نوح لأجل كل الأنواع الحية اليوم، إضافة إلى زوج من كل نوعٍ من الحيوانات التي تتنشق الهواء، إضافة إلى الطعام الذي يحتاجونه جميعاً. إن ضخامة الفلك تقدم لنا مؤشرات هامة إلى عدد "الأنواع" التي تتنشق الهواء التي خلقها الله في تكوين 1. إن مملكة الحيوان لم تتطور من بضعة مئات من "الأنواع" الأصلية أو من نوع واحد فقط. الحجم الضخم الهائل لهذه البارجة مستوية القاع وذات جوانب القائمة الزاوية تسوي مسألة إذا ما كان سفر التكوين يقصد أن يعلمنا مفهوم طوفان عالمي كوني؛ لأن هكذا بنية مشيدة ما كانت هناك حاجة إليها لإنقاذ الحيوانات في حالة من الطوفان المحلي. في الواقع، لم تكن هناك حاجة بالتأكيد إلى تلك على الإطلاق لأن عائلة نوح (بغض النظر عن الحيوانات) كان يمكنها بسهولة أن يوجهها الله لكي تهاجر إلى منطقة ما لم تتأثر بطوفان محلي. بما أن الله لا يعطي البشر أوامر حمقاء أو

[126] - "الإيقاع والشكل في النشوء" (نيويورك: منشورات هافنر، 1944)، ص 54' استشهد بها جون كلودس في "الجينات التكوين والنشوء" (سانت لويس: منشورات كونكورديا، 1955)، ص 298. ويذكرنا مايكل بتمان قائلاً: "لكي يحدث النشوء من خلال تغيار أحيائي يجب حدوث تغيارات أحيائية متعاقبة متتالية لا حصر لها؛ ففي كل خطوة يجب أن تتعاون هذه جميعها بانسجام. وهذا ببساطة لا يمكن أن يحدث (آدم والنشوء، ص 97).

[127] - "مدخل إلى علم المستحاثات" (نيويورك: منشورات ماكغرو-هيل، 1947)، وقد وردت في كتاب دوين تي. جيش: "النشوء، التحدي الذي يواجه المدونات المستحاثية"(إل كاجون: كتب ماستر، 1985)، ص 232.

[128] - بيير بي. غراسي: "نشوء المتعضيات الحية" (نيويورك: المنشورات الجامعية، 1977)، ص 30.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لا ضرورة لها، ولعله يمكننا أن نكون على يقين بأن الفلك كان أساسياً وضرورياً للبقاء والنجاة للكائنات التي تتنشق الهواء خلال هذه الكارثة العظيمة التي دامت سنةً. انظر ويتكمب وموريس، "غماء التكوين"، منشورات الكنيسة المشيخية والمصلحة: **1961**، ص **65**– **70**.

ثمة تقييد جدي جداً ثالث لاحتمال التغاير في العالم الحي هو وجود متعضيات شديدة التعقيد وبُنى لا يمكن أن تعمل بشكل فعال إلى أن تكون مكتملة. "وهي إما أن تكون كاملة أو عديمة النفع كلياً". فعلى سبيل المثال، الأذن البشرية:

"معقدةٌ بما يفوق الوصف.... وعضو الصوان وحده الذي يشبه الخلنج الحلزوني، والذي يبلغ قطر حرف خلاياه **3** مم في الأذن الداخلية التي تبدو وكأنها تلعب دوراً حاسماً في الطريقة التي نسمع بها طبقات الصوت واتجاهه يحوي حوالي **20000** عصبة وأكثر من **30000** نهاية عصبية[129]".

كيف يمكن للأذن أن تعمل إذا كانت الأجزاء المنفصلة بحاجةٍ لأن تتضام معاً بالصدفة عبر ملايين السنين؟

وماذا عن العين البشرية بالـ **130** مليون من العصيبات والعصيات الضوئية؟ هذه ".... تسبب ارتكاسات كيميائية ضوئية تحول الضوء إلى نبضات كهربائية". في كل ثانية تنقل مليار من هذه النبضات إلى الدماغ[130].

"من الوضح تماماً أنه لو سارت أبسط الأشياء في الطريق الخطأ– مثلاً أن تكون القرنية غائمة أو أن يخفق بؤبؤ العين في الاتساع, أو أن تصبح عدسة العين معتمة, أو لا يتحقق التركيز البؤري– فعندها لا تتشكل الصورة على نحوٍ صحيحٍ واضحٍ.

إن العين إما ان تقوم بوظيفتها بشكلٍ كاملٍ أو تخفق في ذلك. فكيف يمكن إذاً أن تكون العين قد نشأت عبر تطور بطيء ثابت في تغيرات متناهية في الصغر على مبدأ داروين؟ هل من الممكن أن تكون آلافٌ وآلاف من التغايرات الأحيائية قد حدثت بالصدفة بشكلٍ عرضي بحيث أن العدسة والشبكية, التي لا يمكن أن تعمل إحداهما دون الأخرى, قد تطورتا بتواقت؟ ما القيمة التي يمكن أن تتمتع بها العين التي لا ترى؟ هذه بعض من التساؤلات التي جعلت داروين يضطرب: "حتى اليوم تجعلني العين أرتعب خشية", هذا ما كتبه إلى صديقه عالم النبات آساغري في شباط **1860**[131]".

إذاً من أين تأتي الأذنان والعينان؟ إله الخلق الحي اللا متناهي والشخصي للخليقة يلفت انتباهنا إلى قوله:

"اَلأُذُنُ السَّامِعَةُ وَالْعَيْنُ الْبَاصِرَةُ الرَّبُّ صَنَعَهُمَا كِلْتَيْهِمَا" (أمثال **20**: **12**).

"اِفْهَمُوا أَيُّهَا الْبُلَدَاءُ فِي الشَّعْبِ وَيَا جُهَلاَءُ مَتَى تَعْقِلُونَ؟ الْغَارِسُ الأُذُنَ أَلاَ يَسْمَعُ؟ الصَّانِعُ الْعَيْنَ أَلاَ يُبْصِرُ؟ الْمُؤَدِّبُ الأُمَمَ أَلاَ يُبَكِّتُ؟ الْمُعَلِّمُ الإنسان مَعْرِفَةً. الرَّبُّ يَعْرِفُ أَفْكَارَ الإنسان أَنَّهَا بَاطِلَةٌ" (مز **94**: **8**– **11**).

يدور جدلٌ شديدٌ الآن حول التعقيدات الواضحة في الخنفساء المدفعية. فقد أشارت مجلة التايم (Time عدد **25** شباط **1985**، ص **70**) إلى أن الخنفساء المدفعية:

".... تبدو فريدة من نوعها في مملكة الحيوان. فنظامها الدفاعي معقد جداً، تهجين بين الغاز المسيل للدموع وما يدعى مدفع تومي. فعندما تستشعر الخنفساء الخطر، فإنها تقوم داخلياً بمزج أنزيمات محتواة في إحدة الحجرات في جسمها بمحاليل مركزة ذات مكونات غير مؤذية، وتضع في حجرة أخرى هيدروجين فوق أوكسيدي وكينون مائي. وهذا يولّدُ رذاذاً مؤذياً من كينون بنزيني لاذع كاوٍ، يتفجّر من جسمها بدرجة غليان تصل إلى **212** درجة فارنهايت. وإضافة

[129] - ف. هيتشينغ: "عنق الزرافة", ص 90, 91.
[130] - المرجع السابق، ص 85- 86.
[131] - المرجع السابق, ص 86. انظر أيضاً نقد مايكل بتمان للتفسيرات النشوئية لأصل العين في كتاب "آدم والنشوء", ص 215- 218. هناك قسم كبير في مجلد الجمعية الوطنية الجغرافية المليء بالصور مخصصٌ لتحليل كيفية وصول العالم إلينا من خلال أدوات استقبال الحواس الخمس (النظر, السمع, الشم, الذوق, اللمس). لمزيد من المعلومات تعقيدات الدماغ البشري انظر أدناه, ص 125- 127.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

إلى ذلك، فإن السائل يُضخّ عبر فوهتين خلفيتين، يمكن أن تدورا، كمثل برج مدفع ب-17، فتصيب النملة الجائعة أو الضفدع بدقة متناهية".

ولكن كل المضامين الخَلْقية المشابهة لهكذا تعقيدات مذهلة قد أغفلها المحرر بشكل يروق لعالم الأحياء توماس إيزنر الذي من جامعة كورنيل. فقد كان استنتاج إيزنر يقول: إن الخنفساء المدفعية قد "وجدت لتوها استخدامات غريبة غير مألوفة لعناصر وجودها"[132].

البَلاتْبوس (منقار البطة)[133] أيضاً اكتسب شهرة سيئة في معركة الجدال بين القائلين بالخلق والنشوئيين. "فهو موجود في أستراليا فقط، ويضع بيوضاً مثل الزواحف، ولكن له غدداً للحليب مثل الثدييات، ويسبح كالبطة ولكن له فروُ القُنْدس.... والآن، وفي مقالة حديثة في مجلة الطبيعة البريطانية، يقول العلماء أن البَلاتْبوس ناقل للكهرباء: إذ أنه يستطيع [بمنقاره] أن يتحسس المجالات الكهربائية، وهو أول حيوان فقاري يملك هذه المقدرة"[134].

ولكن إلامَ يصل الكاتب في استنتاجه حول هذا المخلوق الساحر؟

"إن مستقبلات الكهرباء في البلاتبوس مختلفة جداً عنها في أسماك القرش وأسماك الورنك والشفنين البحري لدرجة أن هذا الحيوان الثديي الغريب قد طور على الأرجح إحساسه بالكهرباء بشكل مستقل. إذا كان هذا الكلام صحيحاً فإن العلماء يكون لديهم دليل قوي في معركتهم ضد الخَلْقيين. ظهور هكذا تحول في نوعٍ مستقلٍ يفترض أن هذه السمة ليست مفاجئة جداً بحيث أنها تحتاج لوحي إلهي لتفسيرها. إن نظرية داروين في التغاير الأحيائي والإنتقاء الطبيعي يبررها. إن كان الأمر كذلك فإن منقار البلاتبوس هو دليل أكيد على أن الطبيعة تفرض بقوة التنوع الغني في حديقة الحيوان الكونية[135]".

وعلى العكس من ذلك تماماً, فإن "منقار البطة" الذي للبلاتبوس, مع البنية الكلية والوظائف تشكل ضربة قاضية لمصداقية النشوئية بكل أشكالها.

ص **107** في الكتاب هنا نضع الصورة
الخيول- نتاج للنشوء؟ كثيراً ما يقال أن مستحاثات الخيول تدل على خطٍ واضحٍ من التطور عن نماذج لحيوانٍ صغيرٍ بحجم الكلب إلى الأنواع الضخمة التي نراها اليوم. ولكن لا نجد في العالم أي مستحاثات تدل على تعاقب مباشر من حيوانٍ صغير إلى كبير. ولذلك فإن المخلوقات المختلفة الحجم التي فيها بعض ملامح الخيول ربما تكون قد عاشت في نفس العصر وفي نفس الفترة في أماكن مختلفة من العالم. لا يمكن إثبات أنها جميعها أفرادٌ من نفس النوع؛ بل حتى ولو كانت كذلك (كمثل أنواع الكلاب المختلفة)، فإن هذا لا يثبت أنها تطورت من حيوان صغير إلى كبير أو من حيوان بسيط إلى معقد. هناك عدة افتراضات حاذقة تكمن وراء تعليل المستحاثات الموجودة، وأحدها "التشاكل" (مثال: الترسب التدريجي لرواسب وتشكيل مستحاثات) و"النشوئية" (تعقيد متزايد من خلال تغيارات أحيائية مفيدة). كلا الافتراضين يتناقضان مع العلم التجريبي الوضعي والتفسير الدقيق الصحيح للكتاب المقدس. انظر فرانسيس هيتشينغ، "عنق الزرافة" (نيوهافين ونيويورك:

[132] - من أجل الاطلاع على دحض أكثر عناية باستنتاج إيزنر، انظر مقالة مونتي وايت : "الخنفساء المدفعية واستخدامها في الجدال بين الخَلْقيين والنشوئيين"، "أنباء الخلق" 49 (المملكة المتحدة، أكتوبر 1985)، ص 1- 2.

[133] - البَلاتْبوس: منقار البطة: (duckbill platypus): حيوان مائيّ ثَدْييّ بَيُوض من حيوانات استراليا له خطم يشبه منقار البطة وأقدام كفية [فريق الترجمة].

[134] - انظر مقالة شارون بيغلي: "البلاتبوس الناقل للكهرباء"، مجلة "نيوزويك" (17 شباط 1986)، ص 78.

[135] - المرجع السابق نفسه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

منشورات تكنور وفيلدز، **1982**)، ص **28-31**.

مئات من أمثلة إضافية يمكن تقديمها من الدراسات الحديثة والهامة في العالم البيولوجي[136]. أحد أشهر الحالات المعروفة هي جناح الطير ذو الريش. إن غالبية النشوئيين اليوم، والذين لا يزالون يسيرون على نهج النظريات الداروينية الجديدة (نيو داروينية) الباطلة (انظر أدناه) التي لإرنست ماير، وثيودوسيوس دوبزانسكي، وجوليان هوكسلي، وجورج سيمبسون يؤكدون على أن الطيور قد تطورت من الزواحف من خلال تكيفات تدريجية متراكمة. ولكن كيف يمكن لهذه أن تكون قد حدثت؟ هل سنفترض أن بضعة زواحف قد بدأت بتطوير لواحق على جوانب جسدها ونمت في الحجم والتعقيد عبر ملايين السنين إلى أن امتلكت أخيراً القدرة على الطيران؟ حتى لو سلمنا بأن زاحفةً أمكن أن تنتج هكذا بنى، والتي هي غريبة عن رأي قوانين ماندل، فكيف أمكن لهكذا مخلوقات أن تبقى على قيد الحياة خلال الصراع على الوجود؟ إن الإنتقاء الطبيعي كان ليزيلها قبل أن تستطيع على الطيران بزمنٍ طويل. إضافة إلى ذلك, أن البنية كلها والنموذج المميز للحيوان كان ليتغير لكي يمكّنه من أن يقلع عن الأرض. نفس المشكلة تنطبق على الحشرات والزواحف المجنحة والخفافيش. لقد ظهرت في الزمان فكرة بأن الطائر الأولي المنقرض[137] كان حلقة وصل بين الزواحف والطيور لأنه كانت لديه بعض السمات من كليهما. ولكن هذا المخلوق لم يعد يعتبر حلقة وصل بين الزواحف والطيور بنفس المقدار مثل البلاتبوس ذي منقار البطة الذي كان حلقة وصل بين الثدييات والطيور. كان للطائر الأولي المنقرض أجنحة كاملة وريش كامل ولم ينجح أي نشوئي في تفسير مصدر الأجنحة والريش[138].

بسبب مشاكل من هذا النحو, ولكن خاصة بسبب عدم وجود ارتباط بين معظم الأنواع التي وجدت في سجل المستحاثات, فإن علماء المستحاثات مثل ريتشارد غولدشمت، وشنديفولف، ومؤخراً جداً ستيفن جاي غولد الذي من جامعة هارفارد، تخلوا أخيراً عن التدريجية الداروينية الجديدة (نيو داروينية) وتحولوا إلى التغيرات الأحيائية الكارثية البالغة الصغر التي تشتمل على إنفجارات هائلة من إشعاع كوني أمكنها بطريقة ما أن تنتج ليس فقط "بهائم متأملة" جينياً، بل أقران بهائم بتزاوج في نفس الوقت هنا وهناك، وذلك بالصدفة تماماً. هكذا نظرية, التي يدعوها غولد نظرية الـ"التوازن المتقطع"، تحل بشكل أنيق حلقات الاتصال المفقودة والانتقاء الطبيعي؛ ولكن من وجهة نظر علم الوراثة إنها هولية حقيقية متناظرة، ربما، مع نظرية الحالة الثابتة التي قال بها فريد هويل في علم الفلك، والتي يفترض فيها أن ذرات الهيدروجين في كل أرجاء الكون قد برزت إلى الوجود من لا شيء. مسحوقةً بالمتطلبات الواضحة للقانون الأول للترموديناميك، نُبذت نظرية هويل على نطاق عالمي تقريباً.

ومن هنا، في إجابةٍ على السؤال من أين جاءت الطيور، قال شنديفولف: " لقد انسل أول طائر خارجاً من بيضة زاحفة (متحولة)"[139]. ولكن إن كانت الطيور المتطورة بشكل كامل مع أجنحتها وريشها قد أمكنها أن تفقس مباشرة من بيوض الزواحف، فما الذي يمنع المرء من أن يتخيل أن الحيوانات الجرابية الأولى والثدييات ذوات المشيمة وحتى الكائنات البشرية قد تكون قد ظهرت بطريقة عجائبية مماثلة؟ يعتقد القائلون بالخلق أن إلهاً قوياً وشخصياً وحده بمقدوره أن يصنع المعجزات؛ ولكنهم أيضاً يعتقدون أن المعجزات التي صنعها في خلقه العالم الحي كانت مختلفة جداًعن تلك التي يتخيلها القائلون بالتغيار الأحيائي أمثال غولدشمت وغولد.

إجابة على ذلك, قد يطرح الجدل بأن عقيدة الخلق منافية للعقل كبديل عن التغيار الأحيائي البالغ الصغر, لأنه يشترط الظهور المفاجئ لطيور مكتملة النمو من مادة لا عضوية. ولكن هذا ليس اعتراضاً مقبولاً لأن النشوئية لها صفة التفاعل المستمر عند طرحها لفكرة أنه لا يحق لغولدشمت أو شنديفولف أو غولد أن يحتكموا إلى القدرة غير المتناهية لإله الخلق الشخصي. وبدون الله, لا يبقى للنشوئيين أي شيء آخر يستندون عليه لتقديم دينامية ضرورية لنظرياتهم سوى قوة السحر.

لقد علَّمَنا الرب يسوع المسيح وتلاميذه من خلال المبدأ والمثال كليهما أن نقبل استناداً إلى الثقة بالله التاريخية المطلقة (وأيضاً العصمة) لأحداث جرت قبل إبراهيم كما دونها سفر التكوين **1- 11**. إن كل أصحاح من هذه الأصحاحات الإحدى عشر يُشار إليها في مكانٍ ما في العهد الجديد. إضافة إلى ذلك، فإن كل كاتب للعهد الجديد يشير إلى التكوين **1- 11**. وأخيراً، أشار الرب يسوع المسيح إلى كل أصحاح من

---

[136] - انظر مناقشات جون و. كلوتز عن العلاقة المتلازمة بين فراشة اليُكة ونبتة اليُكة، في كتاب "دراسات في الخلق" (سانت لويس: منشورات كونكورديا، 1985)، ص 205-207.

[137] - الطائر الأولي المنقرض: (Archaeopteryx) : طائر بدائي منقرض شبيه بالزحافات [فريق الترجمة].

[138] - انظر مايكل بتمان، "آدم والنشوء"، ص 218- 227.

[139] - ("Der erste Vogel Kroch aus einem Reptilei")، (ستوتغارت، 1950)، ص 277.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الأصحاحات السبعة الأولى في التكوين بطريقة تفترض مسبقاً حقيقتها التاريخية. ومن هنا, لعله يكون لدينا ثقة كاملة بأنه ما من اكتشافاتٍ "علمية" يمكن أن تتناقض مع التعليم الواضح في إعلان الله المكتوب. [140]

إن النشوئية لم تنتج نموذجاً موثوقاً يُعول عليه في تفسير حفظ مليارات من مستحاثات النباتات والحيوانات في قشرة الأرض. ولم يتطلب الأمر دهوراً طويلةً لهذه الطبقات للترسب. إن المستحاثات في الصف الجيولوجي لا تدل على تسلسل في أحداث خلق منفصلة (وبالتأكد لا تدل على عمليات نشوئية), بل عن تتابع لحوادث موت ودفن من خلال تعقيدات هيدروديناميكية في الطوفان الكبير. ولذلك ليس من دليل جيولوجي موضوعي يتناقض مع ما جاء في الكتاب المقدس عن أن الأشجار المثمرة قد خُلقت قبل المخلوقات البحرية. [141]

لقد واجه النشوئيون أيضاً إخفاقاً كاملاً في محاولاتهم في أن يشرحوا كيف تتطورت الحياة الأولى من مواد كيميائية فاقدة الحياة. [142] ولذلك فليس من دليل تجريبي متوافق يتعارض مع شهادة سفر التكوين بأن الله خلق أنواعاً كثيرةً جداً من النباتات والحيوانات، صغيرة وكبيرة، خلال بضعة أيام فقط. إن مفهوم "شجرة الحياة" في النشوئية قد تلقت ضربات صاعقة خلال السنين المئة من البحث ما بعد الدارويني عن أشكال متحولة انتقالية (فروع واصلة) لم توجد على الإطلاق. ومن هنا، فإن إعلان الله في الطبيعة لا يزال يزداد انسجاماً باطراد مع إعلان الله في الكتاب المقدس: كل النباتات والحيوانات والبشر تتكاثر بحسب جنسها كمثل غابة بيولوجية كبيرة معقدة وجميلة بشكل مذهل مكونة من "أشجارحياة" دائمة منفصلة.

من الواضح أن العلماء بعيدون جداً عن الوصول إلى فهم كامل حتى لأبسط ظاهرة في الكون. ولكن إن سمح الله وعندما يسمح الله للبشر بأن يكتشفوا بعضاً من هذه الأسرار سيجدون أنها في انسجام كامل مع تعاليم الكتاب المقدس. إلى أن يأتي ذلك اليوم، وإذ ستبقى أسئلة وظلال كثيرة، فإن الله سيتركنا نأخذ كلمته بثقة ومصداقية– فهو دليل البشر الوحيد، الذي لا يخطئ، إلى كل الحق.

ص **110** في الكتاب هنا نضع الصورة
البلاتبوس ذو منقار البطة: إن التآلف بين السمات الجسمانية في هذا الحيوان مذهل جداً لدرجة أن العلماء في إنكلترا، الذين كانوا أول من رأى عينة ميتة من هذا الحيوان، اعتقدوا أنه كان قد تمت خياطته من قِبَلِ التجار الصينين لخداع البريطانيين. تشوشهم كان يمكن فهمه. إن للبلاتبوس منقاراً يشبه منقار البطة، وخمسة أصابع مشبوكة، ويسبح كسمكةٍ ويضع بيضاً. إنه مثل الطير يصنع عشاً من العشب ويفقس بيوضه بأن يتكور على العش ويدفئها. ولذلك فلا بد أنه نوع ما من الطيور الخاصة. من جهةٍ أخرى, إن للبلاتبوس أربعة أرجل, وجلد ذي فرو, وذيل كبير مفلطح مثل القندس ومخالب مثل الكثير من الثدييات. ولذلك فإنه لابد أن يكون نوعاً من الثدييات الخاصة. على كل حال, عندما يكون صغيراً يكون لديه أسنان تُستبدل عند البالغين بأسنان تشبه القرون، بشكلٍ لا مثيل له عند الثدييات. إضافة إلى ذلك، فإنه يستخدم الصدى كالخفاش أو الدلفين؛ وهناك مهماز مجوف على الجانب الداخلي من عقبه

[140] - انظر ج. سي. ويتكمب، "الدفاعات المعاصرة والدماء المسيحي" (محاضرات غريفث ثوماس المقدمة في معهد دالاس اللاهوتي في شباط 1977). للإطلاع على تعاليم المسيح والرسل عن عصمة الكتاب المقدس انظر مقالة وين أ.غرودم، "الشهادة الذاتية في الكتاب المقدس" في "الكتاب المقدس والحق" (غراند رابيدز: منشورات زوندر فان ، 1983), ص 19- 59 .

[141] - انظر هنري م. موريس, "النشوئية العلمية" (ال كاجون: منشورات ماستر,1985) ص 101- 130, وكتاب إيان تايلر، "في عقول البشر: داروين ونظام العالم الجديد" (منشورات TFE، 1982) مراجعة ونقد جون سي. ويتكمب: "مجلة النعمة اللاهوتية" 4: 1، 2 (ربيع وخريف 1983) ص 109- 117، 289- 296.

[142] - من أجل التوثيق انظر الملاحظات السابقة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

متصل بغدةٍ سامة، وهذا ما يجعله المخلوق الوحيد ذو الفرو السام. إن أرجله قصيرة كالزواحف لكن له جراب وجنة ضخمة مثل قرد أو سنجاب (مايكل بتمان: "آدم والنشوء",**1984**, ص **210**).

لا يستطيع النشوئيون معالجة موضوع حيوانات كالبلاتبوس التي لها تآلفات مشؤمة في ميزات لا تتلاءم مع مفهوم "شجرة عائلة الحياة" الذي للنيو داروينية أو التغيار الأحيائي. بالنسبة للمهندس المصمم وخالق العالم، ليس البلاتبوس مشكلة على الإطلاق. إن كل حيوان يمتلك ميزات وسمات قصد الله منها أن تظهر حكمته للبشر.

كنشوئي سابق (في جامعة برينستون)، يمكنني أن أقول لله الآن وبطريقة جديدة كل يوم، وإذ أكتشف عجائب وروائع قدرته: "قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلاَ يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ. فَمَنْ ذَا الَّذِي يُخْفِي الْقَضَاءَ بِلاَ مَعْرِفَةٍ! وَلَكِنِّي قَدْ نَطَقْتُ بِمَا لَمْ أَفْهَمْ. بِعَجَائِبَ فَوْقِي لَمْ أَعْرِفْهَا. اِسْمَعِ الآنَ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ. أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي. بِسَمْعِ الأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ وَالآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي. لِذَلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ" (أيوب **42**: **2**– **6**).

خاتمة:

إن رواية الله المكتوبة عن خلق المتعضيات الحية دون البشر على كوكب الأرض هي في انسجام كامل مع إعلانه في الطبيعة. كل نوع من النبات والحيوان ينقل رسالة إلى الإنسان الخاطئ: إننا محفوظون في الحياة لحظة فلحظة من قِبَلِ الله العظيم الذي صممنا وخلقنا بقدرته وحكمته. إن زنابق الحقل وطيور السماء،كما التنانين العظام في البحار واليابسة، تتضام معاً في كورس (جوقة) عظيم لتسبيح ذاك الذي صنعها على نحوٍ مفاجئ وفائق للطبيعة بحسب مخطط بارع كان "حسناً جداً" ومرضياً في عينيه. وإن الشيطان, عدونا غير المنظور, سيحرف ويشوه ويخفي هذا المنظور عنا من خلال هكذا تجديفات كمثل النشوئية العضوية. ولكن، يوماً ما، والحمد لله ".... الأَرْض تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ" (أشعياء **11**: **9**)، والمفاهيم الخاطئة المغلوطة عن أصل وطبيعة والهدف الجوهري من النباتات والحيوانات ستتلاشى وإلى الأبد. "فَاسْأَلِ الْبَهَائِمَ فَتُعَلِّمَكَ وَطُيُورَ السَّمَاءِ فَتُخْبِرَكَ. أَوْ كَلِّمِ الأَرْضَ فَتُعَلِّمَكَ وَيُحَدِّثَكَ سَمَكُ الْبَحْرِ. مَنْ لاَ يَعْلَمُ مِنْ كُلِّ هَؤُلاَءِ أَنَّ يَدَ الرَّبِّ صَنَعَتْ هَذَا! الَّذِي بِيَدِهِ نَفَسُ كُلِّ حَيٍّ وَرُوحُ كُلِّ الْبَشَرِ" (أيوب **12**: **7**– **10**).

ص **113** في الكتاب

هنا نضع الصورة

الطيور:

لقد أخفق تشارلز داروين وتلاميذ فلسفته "النيو داروينية" اليوم في تفسير أصل الطيور. هكذا مخلوقات متكيفة متحولة على نحو مذهل ما كان ليمكن أن تأتي إلى الوجود عن طريق تسلسل في تغايرات أحيائية حدثت بشكل تدريجي وصدفةً في أجسام زواحف معينة. أنه لمن السخف أن نتخيل أن الطيور كانت يوماً زواحف كما أنه من السخف أن نتخيل أن الطائرات يمكن أن تنتج بإلصاق أجنحة إلى جوانب شاحنات. من الواضح أن الطيور الطائرة مصممة للطيران، وكل وجه دقيق من شكلها الجسدي ومن نمطها المميز يساهم في هذه القدرة المذهلة. لقد أشار داروين إلى التنوعات المختلفة في العصافير في جزر غالاباغوس كـ "معرض من الدرجة الأولى" للنشوئية. ولكن هذه التنوعات تحدث ضمن حدود معينة،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ولكنها جميعاً تبقى عصافير (انظر والتر لاميرتس، "عصافير جزيرة غالاباغوس" في "لم لا للخلق؟", منشورات المشيخية والمصلحة،**1970**, ص **354**– **366**). في الوقت الحالي، هناك حوالي **8600** نوعاً مميزاً واضحاً من الطيور في الوجود, ولكن كان هناك كان أكثر من هذا العدد في البدء. (انظر كيف أن "أنواع" الطيور في لاويين **11**: **13**– **19** تمثل كثيراً تصنيفنا للـ "أنواع". فالأنواع الحية يمكن (كما هو الواقع حالياً) أن تصبح متميزة؛ ولكن لا يمكن لأي منها أن يتطور أبداً. من أجل المزيد من الأدلة على أن المخلوقات الطائرة ما كان ليمكن أبداً أن تتطور, انظر مايكل بتمان: "آدم والنشوء" (**1984**), ص **218**– **227**؛ ومايكل دنتون، "النشوء: نظرية في أزمة" (**1986**)، ص **199**– **216**.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ص 115

خلقُ الإنسان

كرامة الإنسان:

الملف الصوتي earth 5- a

بينما كان يرعى أغنام والده ليلاً ويحدّق إلى السموات، ارتبك داود بعِظَم وكِبَر كون الله المرصع بالنجوم. هل كان بمقدور إله يتمتع بتلك القوة والقدرة والسمو أن يكون لديه اهتمام حقيقي بهكذا ذراتٍ من الغبار الكوني التي تُدعى البشر؟ لم يستطعْ علم الفلك أن يقدّم أي عزاءٍ أو راحةٍ لداود في بحثه المحموم هذا؛ والتطورات الهائلة في المعرفة الفلكية التي قد اختبرناها منذ يومه لا تزال تتركنا في ظلام مطبق. إن علماء الفلك المعاصرين، الذين يستخدمون تلسكوبات عملاقة، لم يتوصلوا بعد إلى اكتشاف ولو أثر واحد عن نعمة ومحبة الله في أي مكانٍ في الكون.

سيوافق جميع المسيحيين الحقيقيين على أن الجواب على هذا السؤال يجب أن يأتي من كلمة الله المكتوبة ومنها وحدها فقط. فإلى الأصحاح الأول من التكوين كان داود قد التجأ كمصدر ليقينه بأن الله قد خلق الإنسان أقل من إيلوهيم (عالم الإلوهة) وكلله بالمجد والكرامة, معطياً إياه سيادةً على كل خليقة (مزمور **8**: **5**– **8**)؛ انظر أيضاً (تكوين **1**: **25**– **28**). رغم كل الإخفاق الواضح في الإعلان الطبيعي في هذه النقطة، يبقى الإعلان الخاص يؤكد لنا أن الجنس البشري هو موضوع عناية الله المُحبة، وأن كائناً بشرياً واحداً أكثر أهمية بالنسبة لله من كل المجرات الرائعة المذهلة في الكون.

إذ كان ينظر بتأملٍ وعناية إلى عالم يئنّ تحت وطأة عبودية الفساد، فإن الكاتب المتألق لسفر الرسالة الجامعة رأى أنه ليس هناك من أساسٍ تجريبي لتمييز الكائنات البشرية عن البهائم. ".... رَأَيْتُ تَحْتَ الشَّمْسِ:... مِنْ جِهَةِ أُمُورِ بَنِي الْبَشَرِ ....أَنَّهُ كَمَا الْبَهِيمَةِ هَكَذَا هُمْ. لأن مَا يَحْدُثُ لِبَنِي الْبَشَرِ يَحْدُثُ لِلْبَهِيمَةِ وَحَادِثَةٌ وَاحِدَةٌ لَهُمْ. مَوْتُ هَذَا كَمَوْتِ ذَاكَ وَنَسَمَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْكُلِّ. فَلَيْسَ لِلإنسان مَزِيَّةٌ عَلَى الْبَهِيمَةِ لأن كِلَيْهِمَا بَاطِلٌ. يَذْهَبُ كِلاَهُمَا إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ. كَانَ كِلاَهُمَا مِنَ التُّرَابِ وَإِلَى التُّرَابِ يَعُودُ كِلاَهُمَا" (الجامعة **3**: **16**– **20**).

بعد ثلاثة آلاف سنة لم تساعدْنا التطورات والتقدم في العلم على الإطلاق في حل هذه المشكلة. ما من أحدٍ يستطيع أن يُثبت بالتجربة أن روح البهيمة تتلاشى عند الموت بينما روح الإنسان تستمر في الوجود إلى الأبد. من وجهة نظر الكيمياء، يمكن طرح مسألة الافتراض بأن الإنسان هو على نفس المستوى من الحيوانات فكلاهما قد صُنِعَ من نفس "التراب". إن العلماء المعاصرين يحدقون من خلال مكروسكوبات قوية فعالة ولكن يخفقون في أن يروا أي أثرٍ لصورة لله في العناصر الكيميائية التي في جسد الإنسان. إن كل المسيحيين الحقيقيين سيتفقون على الرأي بأن الجواب النهائي على هذا السؤال أيضاً لا بد أن يأتي من الكتاب المقدس ومن هناك فقط. ومن جديد، إن الإصحاح الأول من سفر التكوين يُرى على أنه أساس لإيماننا، عندما يخفق الإعلان الطبيعي ويخذلنا.

ولكن بعض المسيحيين ليسوا مستعدين على أن يتقبلوا مبدأ السلطان الأساسي للكتاب المقدس إلى خاتمةٍ منطقية. إنهم يُقرون بأن الكتاب المقدس وليس علم الفلك أو الكيمياء, هو مصدرنا للمعلومات المتعلقة بكرامة الإنسان. ولكنهم لا يستطيعون أن يحملوا أنفسهم على الإيمان بأن الكتاب المقدس، وليس علم الإنسان (الأنتروبولوجيا) الفيزيائي، هو مصدر الحقيقة المتعلقة بخلق الإنسان. وهنا على الأقل نعلم أن الإعلان الطبيعي له موثوقية متساوية مع الإعلان الخاص في الكتاب المقدس, وكلما كان هناك تناقض فإن الإصحاحات الأولى من سفر التكوين يجب أن تُصاغ إلى إطار من النظرية العلمية المعاصرة المتعلقة بأصل الإنسان. لقد عبّر أحد الكتاب عن ذلك بقوله:

> "إن ناموس الطبيعة والكتاب المقدس كلاهما معصومان، كل منهما بطريقته الخاصة، لأن كلاهما قد كتبتْهما يدُ الله القدير. وبكل تبجيل، نقول أنه لولا ذلك لما كان الله مصدر ثقة. إن النشوئية ليست فقط فرضيات وحسب. إننا مضطرون إلى الإيمان على الأقل بأن الكثير منها هو أمر حقيقي. وقد نصمُتُ إزاء ذلك... إنها نتيجة قراءة ناموس الطبيعة مباشرة"[143].

وكتب آخر يقول:

[143] - بيتر ج. بيرخوت، "الراية"، (5 آذار 1965)، ص 22.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

"إني أرى الإصحاحات الإفتتاحية في التكوين كتعبير شعري لكاتب هذا السِّفْر الملهَم من الله. وإني أعتقد أن هذا الجزء من الكتاب المقدس يجب أن لا يُنظر إليه على أنه نص علمي.... أفلا يؤذن للمسيحي بأن يستخدم العلم لينقب في أسرار الخلق غير المحلولة؟[144]"

وجهة النظر هذه، والتي يمكن أن تسمى "نظرية الإعلان المزدوج", تفيد بأن الله قد أعطى الإنسان إعلانين من الحقيقة، كل منهما ذو مصداقية وموثوقية كاملة بحد ذاته: إعلان الله في الكتاب المقدس وإعلان الله في الطبيعة. ورغم أن هذين الإعلانين يختلفان كثيراً في ميزاهما، إلا أهما لا يمكن أن يتناقضا مع بعضهما البعض, ذلك لأن نفس إله الحق المنسجم مع نفسه هو الذي أعطاهما. إن اللاهوتي هو المفسر الذي يعيّنه الله لتفسير الكتاب المقدس والعالِم هو المفسر الذي يعيّنه الله لتفسير الطبيعة. إضافة إلى ذلك, لكل منهما أدوات متخصصة لتحديد المعنى الحقيقي من السفر المعين في الإعلان الذي دُعي إلى دراسته.

إن نظرية الإعلان المزدوج تقول أنه كلما كان هناك تعارض في الظاهر بين استنتاجات العالِم وبين استنتاجات اللاهوتي, وخاصة فيما يتعلق بهكذا مشاكل كمثل أصل الكون, النظام الشمسي, الأرض, الكواكب, والحياة الحيوانية, والإنسان؛ تأثيرات لعنة عدن؛ وتأثيرات طوفان نوح؛ فإن اللاهوتي يجب أن يعيد التفكير في الكتاب المقدس بخصوص هذه الأمور بطريقةٍ يجلب بها الكتاب المقدس إلى انسجام مع الرأي العلمي المُتَّفق عليه عموماً لأن الكتاب المقدس ليس نصاً علمياً وهذه المشاكل والمسائل تتخطى المنطقة أو المجال الذي يجب أن يعطي العلم وحده فيه أجوبة مفصلة وموثوقة.

15: 27

مؤيدوا نظرية الإعلان المزدوج يعتقدون أن هذه هي الحال بالضرورة, لأنه إن كان التفسير التاريخي والنحوي للرواية الكتابية للخلق, واللعنة في عدن, والطوفان, وبرج بابل, سيؤدي بدارس الكتاب المقدس إلى تبني استنتاجات تتناقض مع الآراء السائدة عند العلماء المدربين المتعلقة بالأصول, فعندها سيرتكب إثماً إن جعل أو اعتبر الله مخادعاً أو غاشاً للجنس البشري في هذه القضايا المهمة على نحو أساسي. ولكن إله الحق لا يمكن أن يكذب. ولذلك فإن سفر التكوين يجب أن يُفسر بطريقة تتوافق مع الآراء المتفق عليها عموماً عند العلم المعاصر الحديث. وفي نهاية الأمر, إذ نتذكر أن سفر التكوين قد كُتِبَ فقط ليعطينا إجابات عن أسئلة "مَن؟" و"لماذا؟" فإن العلم المعاصر يجيب على أسئلةٍ مهمة مثل "متى؟" و"كيف؟"[145]

الملف الصوتي earth 5- b ص118

النشوئية الإيمانية:

باتباع هذه المقاربة العامة إلى الأصحاحات الأولى من سفر التكوين, تبنى عدد من المسيحيين من أهل العلم (والأرجح عددٌ أكبر من اللاهوتيين أيضاً الذين ساروا على نفس خطواهم)، تبنّى هؤلاء وجهة النظر التي تقول أن جسد آدم كان من حيوانٍ ما كان قد تطور بتدبير إلهي إلى كائن ذي قدمين عبر ملايين السنين من التغيرات التدريجية إلى أن وضع الله فيه روحاً أبديةً قبل عدة مئات آلاف من السنين. ومن هنا, في مجلة "النشوء والفكر المسيحي اليوم", استنتج وولتر هيرن وريتشارد هنري مقالة عن "أصل الحياة" قالوا في نهايتها: "إن كُتّاب هذا الفصل يعتبرون التعابير في الكتاب المقدس المتعلقة بخلق الحياة على أنها رمزية على نحوٍ كافٍ وافٍ للإشارة إلى وجود تقييدات ضئيلة أو عدم وجود أي تقييدات على آليات ممكنة"[146] وفي ندوة بعنوان "الأصول والفكر المسيحي اليوم", عقدت في جامعة ويتن في **17** شباط **1961**، أوضح الدكتور هيرن موقفه قائلاً:

---

[144] - روبرت س. هومان، "الراية" (22 أكتوبر 1965) ص 20.

[145] - انظر جون سي. ويتكمب , "أصل النظام الشمسي"، (فيليبزبيرغ، المنشورات المشيخية والمصلحة، 1964 (ص 9، 25- 30)، من أجل تقييم إضافي وتوثيق إضافي لنظرية الإعلان المزدوج.

[146] - "النشوء والفكر المسيحي اليوم", نشر راسل ل. مكستر (غراند رابيدز: 1959 منشورات ايرماندز، 1959), ص69.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

"بالتأكيد نعلم أن معاملاتٍ (أي عمليات متعاقبة) قد ساهمت في الإتيان بنا إلى الوجود. فلماذا نرتجف ونرتاع من فكرة أن معاملات قد حدثت كانت نتيجتها ظهور آدم في الوجود؟ مُسَلِّمين بأننا ما عدنا نعرف تفاصيل هذه المعاملات, فلماذا لا نفترض أن الله قد استخدم معاملات؟[147]"

وشهد هنري و. سيفورد قائلاً:

إن النظرة النشوئية إلى مكانة الإنسان في الطبيعة تساعد على فهم التناقضات القائمة بين الجسد والروح. عندما أُعلِّم أولادي على الأخلاق أستطيع أن اشرح لهم أن الجسم الإنساني هو حيوانٌ أقرب ما يكون إلى الحيوانات الأخرى الأعلى[148]....."

ووافق جان ليفر الذي من الجامعة الحرة في أمستردام قائلاً:

"ولذلك فعندما نضع جنباً إلى جنب المعرفة التي نمتلكها عن الحيوانات الأعلى لحيوانات العصر الأقرب إلينا (العصر البلوستيسيني) والإعلان بأن الإنسان كان قد خُلِقَ ضمن تلك الظروف فعندها قد لا نرفض مسبقاً إمكانية أنّ تكوين الإنسان كان قد حدث بطريقةٍ كان فيها أصلاً حيواناً نظراً إلى ميزات هيكله العظمي, وذلك بحسب مقاييسنا ومعاييرنا..... إننا قد لا نرفض مسبقاً إمكانية أنه قد وُجِدَ هناك علاقة ما جينية بين الإنسان والحيوان[149]".

13: 10

تحت ضغط هكذا أقوال وما شابهها قد أطلقها مسيحيون من أهل العلم, فإن إدوارد جون كارنل الذي استلم لسنوات عديدة منصب رئيس معهد فولر اللاهوتي قد انكفأ إلى الموقف التالي:

"بما أن الأرثوذكسية قد تخلت عن نظرية اليوم حرفياً بدافع الاحترام للجيولوجية، فإنها بالتأكيد لن تخسر أي مبدأ إذا ما تخلت عن نظرية الخلق المباشر الفوري بدافع الاحترام لعلم المستحاثات. إن الاثنين يبدوان متوازنين تماماً.... إن كان الله قد سُرَّ بأن يُوْدِع صورته في مخلوقٍ قد أتى قبلاً من تراب فليكن كذلك[150]."

وإذاً, إن الإعلان الطبيعي, كما فسره "العالِم المعاصر", لا يمكن أن يدوم أكثر على نفس المستوى مع الإعلان الخاص في الكتاب المقدس, ولكنه في نهاية الأمر يغلبه و يحل محله أو يبطله.

17: 00

إن النشوئية الإيمانية لا يمكن أن تسمح على الدوام لفكرة أي إعجوبة جسدية في "خلق آدم". ومن هنا, وحتى بعد أن وُضعت صورة الله إلى الذكر والأنثى القردة, فإن أجسادهما، إذ أنها لم تتأثر بهذه الأعجوبة الروحية, ستستمر خاضعة للمرض والموت كما أجساد القرود الأخرى. ومن هنا فلا يمكن أن تكون الخطيئة هي سبب الموت الجسدي حتى عند الجنس البشري، وتكون الآية في رومية **5: 12** غير صحيحة والتي تقول: "بِإنسان وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ....."

بعض النشوئيين الإيمانيين قد ميزوا صراحةً المضامين اللاهوتية التي في إذعانهم إلى الأنثروبولوجيا النشوئية وكانوا على استعداد لأن يلائموا لاهوتهم بناءً عليه. فقد قال بيتر بيرغورت، على سبيل المثال:

"إننا ندرك بشكلٍ كامل أنه إن كان ما نسميه نشوئية إيمانية قد قُبِلَ كحقيقة, فإن تغيراً هائلاً كان ليحدث في تفكيرنا؛ بالمقارنة مع التغير في وجهة النظر الكوبرنيكية الذي سيكون مجرد أمرٍ تافه. فعلى سبيل المثال، إن كان الإنسان قد انحدر من حيوان في العصر البلستوسيني جسدياً, أفلا يمكننا أن ننسب كل النقص وكل ما نسميه شراً جسدياً إلى سقوط الإنسان؟ أفليست هذه مبالغة في التبسيط؟ إن الكثير من كتبنا يجب أن تُعادَ كتابتها. ولكن إن كان ضرورياً من الأجل الحق، فلم لا؟[151]

---

147 - "مجلة الجمعية العلمية الأميريكية": (حزيران 1961), ص 42.
148 - "شبه الإنسان في جنوب أفريقيا"، (دورية غوردون النقدية4): (شتاء 1958), ص 187- 189.
149 - "الخلق والنشوء" غراند رابيدز: منشورات غراند رابيدز انترناشيونال، 1958، ص 197- 221.
150 - إدوارد جون كارنل، "قضيةٌ للاهوت الأرثوذكسي" (فيلادلفيا: منشورات ويست منستر, 1959) ص 95، انظر أيضاً هارولد أوكينجا, " نساءٌ صنعن تاريخ الكتاب المقدس" (غراند رابيدز: منشورات زوندر فان, 1962), ص 12.
151 - "الإعلان والنشوء", من منشورات جون فاندر بلويج, "الراية", 8 أكتوبر 1965, ص 9.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لقد خطرت في ذهن تشارلز داروين أيضاً هذه الأفكار. "بالدرجة الأولى إيمانه بالعهد القديم تحطم. ثم ما عاد يؤمن بالمعجزات بالعهد الجديد. وأخيراً تُرك مُتعجباً مُتسائلاً فيما إذا كانت المسيحية إعلاناً إلهياً على الإطلاق؟[152]"

لكي يتجنب هكذا كارثة لاهوتية كاملة, فإن البابا بيوس الثاني عشر, وفي منشور بابوي صدر عام **1958**, التجأ إلى شكلٍ معدّل أكثر من النشوئية الإيمانية. مع تحذير العلماء في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية واللاهوتيين من ممارسة "الاعتدال الكبير والحرص في هذه المسألة", ووزن ومحاكمة مختلف الأفكار عقلانياً "بالجدية الضرورية، والاعتدال والاتزان", نظراً إلى التزام الكنيسة بوحدة الجنس البشري في آدم وتاريخية خطيئته الأصلية, فإنه مع ذلك (أي البابا) أعطاهم "حرية" للبحث ومناقشة "مبدأ النشوء", في تساؤله عن أصل الجسد البشري فيما إذا كان قد أتى من مادة حية سابقة الوجود[153].

إن التضارب في هذا الموقف واضح. لكي يغير الله القردَ الفاني إلى إنسان خالدٍ وخالٍ من الخطيئة، والذي كانت لديه قوة كافية ليعيش **930** سنة بمعزلٍ عن السقوط واللعنة, كانت هناك ضرورة لحدوث معجزة جسدية وأيضاً روحية. ولكن إنْ قَبِلَ المرء بهذه المعجزة الجسدية في خلق آدم لكي يُحافظ على بعض الأسس من المسيحية, فبأي شكلٍ من المنطق يمكن للمرء عندئذٍ أن ينكر المعجزة الجسدية التي تقول بخلق مباشر لجسد آدم, والتي يتم تعليمها بشكل واضح في العهد الجديد وأيضاً في الأصحاح الثاني من سفر التكوين[154]؟

رغم التحذيرات المشتملة في المنشور البابوي, إن لاهوتيين كاثوليكين رومانيين كُثراً قد سمحوا بشكل واضح بنظرية النشوء القائلة بأن أصل جسد الإنسان إنما هو من الحيوانات: "إن كان ولا بد من الاعتراف بأن جسد الإنسان قد نشأ من أشكالٍ أدنى فإن التعليم الديني في التكوين سيبقى نفسه[155]...."

ص **121** في الكتاب هنا نضع الصورة
الجنس البشري: الإنسان هو تاج مخلوقات الله. لقد خُلِقَ على صورة وشبه خالقه وأُعطيَ سيادةً كاملةً على الأرض (تكوين **1**: **26**). "السَّمَاوَاتُ سَمَاوَاتٌ لِلرَّبِّ أَمَّا الأَرْضُ فَأَعْطَاهَا لِبَنِي آدَمَ" (مز **115**: **16**). لقد خسر الإنسان الساقط تلك السيادة الأصلية ولكن لا تزال لديه صورة الله (تك **9**: **6**؛ يعقوب **3**: **9**). مُفتدينَ بالمسيح، ابن الله المتجسد، فإن المؤمنين قد انتقلوا مكانياً من عالَمٍ حيث "وَضَعْتَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ" (عب **2**: **7**) إلى عالم "فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى" (أفسس **1**: **21**؛ انظر أيضاً **2**: **6**). بل حتى إن الناس المُمَجَّدِين سيدينون الملائكةَ (**1** كورنثوس **6**: **3**). على ضوء كل ذلك، كم تصبح تجديفاً كلياً تلك الفكرة الشائعة بأن الإنسان هو أكثر بقليل فقط من "قرد عارٍ"؟ إن الفروقات الجسدية بين البشر والقرود هائلة جداً، كما تُظهر الملاحظة الدقيقة بوضوح. ولكن إن كانت الفروقات الجسدية

[152] - ر. إي. دي. كلارك، داروين: "قبل وبعد", ص 83.
[153] - المقالات 36 و37. انظر كلوديا كارلن, "المنشورات الباباوية 1939- 1958", رالي: (منشورات ماغرالث, 1981), ص 181- 182. ومقلات أخرى ظهرت في الفصلية الأنثروبيولوجيا.للكنيسة الرومانية الكاثوليكية, (أوكتوبر 1956), قالت إحداها: "ليس من مبدأ معلن رسمي في الكنيسة الكاثوليكية يتناقض مع نظرية نشوء جسد الإنسان "(ص 123).
[154] - دابس أ. يونغ, جيولوجي مسيحي ملتزم بالشرعية الأساسية للجدول الزمني النشوئي لتاريخ الأرض وحتى بنشوء الكواكب والمملكة الحيوانية, مع ذلك يقول: "إن فكرة النشوئية الإيمانية عن الإنسان هي فكرة غير كتابية ويجب أن تُنبَذ من قِبل أولئك الذين يقرون بأنهم يصدّقونها أو يعتقلونها في مسيحية كتابية حقيقية" (الخلق والطوفان, ص 144).
[155] - إي. ف. ستشلف، "التكوين" في "تفسير كاثوليكي على الكتاب المقدس" (نيويورك: منشورات ثوماس نيلسون وأبنائه, 1953)، ص 185. انظر أيضاً إيان ت. تايلر, "في فكر البشر", ص372- 377.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

كبيرة، فكم تكون إذاً الفروقات الفكرية–الثقافية–الروحية؟! من بين كل الكائنات الحية على كوكب الأرض، وحدُه الإنسان يتمتع بالإدراك الذاتي كشخص؛ إنه متحرر من عبودية الغريزة فيمارس خيارات حقيقية وله أهداف وغايات ذات أهمية في الحياة؛ ولديه مشاعر معقدة كمثل الإحساس بالحزن والفرح؛ كما وأنه يقدّر ويتذوق الفن والموسيقى على نحو مبدع؛ ويمكنه أن يصنع أدوات حقيقية؛ ويمكنه أن يتعلم حقاً أكثر وليس أن يكون متدرباً وحسب؛ ويمكنه أن يستخدم رموزاً شفهية أو مكتوبة لينقل مفاهيم مجردة لأشخاص آخرين وهكذا يتمتع بشركة وصداقة حقيقية؛ وبمقدوره أن يحرز معرفة وأن يحصل على الحكمة دون الأجيال السابقة وبهذا يصنع له تاريخاً حقيقياً جديداً؛ كما ويمكنه أن يميز أخلاقياً بين الصواب والخطأ ويشعر بنوبات من تأنيب الضمير؛ ويمكنه أن يدرك وجود خالقه ومطالبه المُحقة من خلال العبادة، والتضحية، والخدمة الدينية. الإنسان وحده هو الذي قد يوجد إلى الأبد ككائن شخصي إما في السموات أو في الجحيم.

الخلق المباشر لجسد آدم:

بالنسبة لأولئك الذين هم على استعداد لأن يبحثوا الكتاب المقدس وأن يؤمنوا بما يقول, ما من شيء يمكن أن يكون أكثر وضوحاً من حقيقة أن الله خلق جسد آدم وحواء مباشرةً ككلاً كاملاً متكاملاً بمعزلٍ عن استخدام حيوانات موجودة مسبقاً.

لنبدأ بالعهد الجديد. عندما واجه الفريسيون الرب يسوع المسيح بمسألة الطلاق (متى **19**: **3**) أجابهم بأن أكد على ديمومة رابط الزواج استناداً إلى ما ورد في (تكوين **2**: **24**). من المهم أن نلاحظ أن ربنا استخدم الاستشهاد على الزواج الأول في اللجوء إلى الأسس المادية الجسدانية له: "«أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَراً وَأُنْثَى؟»" (متى **19**: **4**؛ انظر أيضاً تكوين **1**: **27**). ومن هنا، فإن الرب يسوع المسيح أكّد بوضوح التعليم الوارد في التكوين بأن الله خلق آدم وحواء, ليس فقط على صورته وشبهه (روحياً), بل أيضاً ذكراً وأنثى (جسدياً). لو كان آدم وحواء حيوانين قبل أن يتلقوا صورة الله وشبهه, فكان لا بد أن يكونا ذكراً وأنثى, وبهذا تصبح العبارات الورادة في سفر التكوين **1**: **27** و متى **19**: **4** كلها غير صحيحة ومضللة.

لقد وافق الرسول بولس على الرأي القائل بالفرادة الجسدانية بشكل واضح وبالتالي الأصل الفائق الطبيعة للجنس البشري عندما كتب: "لَيْسَ كُلُّ جَسَدٍ جَسَداً وَاحِداً بَلْ لِلنَّاسِ جَسَدٌ وَاحِدٌ وَلِلْبَهَائِمِ جَسَدٌ آخَرُ...." (**1** كورنثوس **15**: **39**). أحد التأكيدات الأساسية للنشوئية الإيمانية, بالطبع, هو أن كل الجسد هو بالفعل "نفس الجسد", وأن الجنس البشري كان مجرد غصين على فرع ثدييات شبيهة بالإنسان. إن بيان بولس هو النقيض الواضح لهذه النظرية.

ثمة تصريح آخر واضح للغاية في العهد الجديد فيما يتعلق بأصل الإنسان الفوق طبيعي نجده في (**1** كورنثوس **11**: **8**، **12**–): ".... الرَّجُلُ لَيْسَ مِنَ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ.... لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْمَرْأَةَ هِيَ مِنَ الرَّجُلِ هَكَذَا الرَّجُلُ أَيْضاً هُوَ بِالْمَرْأَةِ...." يقول بولس بوضوح أنه بينما جميع الرجال (والنساء) اليوم لهم أمهات، فإن كل النساء (والرجال) كان لهم أصل جوهري في إنسان (آدم). فكما صرّح (بولس) قبل ذلك لـ "الرجال الأثينيين"، في أَرِيُوسَ بَاغُوسَ، إن الله "صَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ...." (أعمال **17**: **26**). لقد حقق الله هذا الأمر ، بالطبع، عن طريق آدم من خلال حواء، التي كانت، لهذا السبب، "أُمّ كُلِّ حَيٍّ". ولكن كل هذه الأقوال يمكن أن تكون صحيحة فقط إذا كانت نظرية النشوئية الإيمانية مغلوطة، وإلا فإن المرأة الأولى تكون قد أتت جسدياً من أنثى حيوان، وليس من ذكر بشري.

بالانتقال الآن إلى العهد القديم، نأتي إلى النص الحاسم حول الخلق الجسدي للإنسان، تكوين **2**: **7**– : "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ تُرَاباً مِنَ الأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً". المقدار الذي يتفاعل به النشوئيون الإيمانيون جدياً مع النص الكتابي يمكنهم معه القول بإصرار على أن "تُرَاباً مِنَ الأَرْضِ"، هذا الذي صنع منه الله الإنسان ،كان "تراباً حياً"، وبالتحديد سلفاً حيوانياً للإنسان. إضافة إلى ذلك، يقولون أن خلق آدم اشتمل ببساطة على إضفاء طبيعة روحانية إلى مخلوق دون البشر، إذ يقول النص في الكتاب المقدس أن "صَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ولكن التفسير الكتابي المنسجم لا يتسامح، بالنظر إلى تكوين 2: 7 على هذا النحو. إن أحد القوانين الرئيسية لهذا العلم الذي لاقى تبجيلاً واحتراماً على مدى الأيام وكان مرضياً لدى الله هو قانون القرينة. بحسب هذا القانون, كل مقطعٍ في الكتاب المقدس يجب أن يُفهم على ضوء المقطع الذي سبقه والذي تلاه وأخيراً على ضوء الكتاب المقدس ككل. وإلا فإن مقطعاً ما يمكن انتزاعه من الفحوى الذي جاء فيه ويُجْعَل مادةً لتعليم شيء لم يكن يُقْصَد به أساساً بالتعليم. بشكل أساسي, هكذا بزغت كل هرطقةٍ أو طائفةٍ في تاريخ الكنيسة عبر الأجيال[156].

والآن إن فحوى تكوين 2: 7 تظهر بالدرجة الأولى أن العبارة العبرية التي تُرجِمَت إلى "وصار الإنسان نفساً حيةً" لا تسمح بوجود شكل سابق من الحياة لجسد آدم. إن عبارة "نَفْس حَيَّة" (nêpêš hayâh)[157] يجب، بالحري، ترجمتها "مخلوقاً حياً" أو "كائناً حياً"، لأن هذه العبارة نفسها ترِدُ في (تكوين 1: 20، 21)، وتنطبق على المخلوقات البحرية. بمعنى آخر، إن الهدف من الآية (تكوين 2: 7ب) ليس إخبارنا أن آدم كانت له نفس فريدة (كما فهمنا لتونا ضمنياً من تكوين 1: 26، 27)، بل أن آدم لم يكن أي نوع من المخلوقات الحية إلى أن كانت النفخة من أنْفِ الله. فحتى تلك اللحظة كان آدم مادة فاقدة الحركة والحياة. بالكاد يستطيع المرء أن يفقه كنه هذه الحقيقة ومغزاها.

يقودنا هذا إلى اكتشاف آخر هام من خلال دراستنا للفحوى، وبالتحديد بأن العبارة "تُرَاباً مِنَ الأَرْضِ" لا يمكن أن تُفهم بشكل رمزي إلى حيوانات بل يجب تفسيرها حرفياً. لاحظوا، على سبيل المثال، العبارات الواردة في اللعنة التي يلقيها الله على آدم في الأصحاح التالي: "مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ.... شَوْكاً وَحَسَكاً تُنْبِتُ لَكَ.... بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزاً حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ" (تكوين 3: 17ب– 19).

يمكن قول أمرين شيقين هنا بما يخص "الأرض" و"التراب" التي منهما أُخِذَ آدم: (1) أنه سيُنبت شوكاً وحسكاً, و(2) آدم سيعود إليه. والآن إن كان "تراب الأرض" يرمز إلى مملكة الحيوان في تكوين 2: 7, فما الذي يعنيه هنا؟ هل يعني هذا المقطع أن الحيوانات قد أطلعت شوكاً وحسكاً بنتيجة اللعنة؟ وهل يعني هذا أن آدم كان عليه أن يعود إلى مملكة الحيوان عندما يموت؟ إن أولئك الذين يؤمنون بالتقمص أو التناسخ سيجدون فكرة "التراب" تشتمل على معنى مملكة الحيوان, ولكن نشوئياً مؤمناً بالكاد سيستخدم هذا التعبير كدليل على مفهوم "التراب الحي". ومن هنا فإن مبدأ القرينة التفسيري يتطلب أن "تراب الأرض" التي في تكوين 2: 7 يجب أن تفسر حرفياً, وهو يستبعد كلياً إمكانية أو احتمال سلف حيواني للإنسان.

الأصحاح الثاني من التكوين يوضح بشكل كامل أن حواء قد أُخِذت جسدياً وحرفياً وبشكل فائق للطبيعة من جنب آدم. إن كانت هذه المسألة أمراً مُسلماً به فعندها يكون كل هدف محاولات تفسير خلق آدم بمنحى نشوئي تنهار. لربط جسد آدم بمملكة الحيوان إنما هو اعتراف بأن جسد حواء الذي خُلِقَ مباشرة سيكون أمراً غامضاً سخيفاً, إما من وجهة نظر العلم النشوئي أو نظرية الخلق حسب الكتاب المقدس. قد لا نعرف التفاصيل الدقيقة عن كيف شكّل الله جسد جدينا الأولين, ولكن التعليم الواضح في الكتاب المقدس هو أنه خلقهما بشكل عجائبي وبشكل مفاجئ فوري.

التعقيد الرائع المدهش للجسد البشري:

إن تصميم وبنية الجسد البشري بحد ذاته يتطلب أصلاً خاصاً ومميزاً, غير مرتبط جينياً بمملكة الحيوان. إن دماغ الإنسان, على سبيل المثال, هو أعجوبة لا يمكن مقارنتها تدل على تعقيد في الكون المادي برمته. فبينما أجهزة الكمبيوتر الإلكترونية يمكنها أن تخزن وأن تتذكر مليارات من بيتات المعلومات, فإن قدرة دماغ الإنسان تبدو شبه لا متناهية. إضافةً إلى ذلك, إنه يستمر في وظائفه ليلاً نهاراً لسنواتٍ كثيرةٍ, منفذاً وظائف دون الوعي بعددٍ لا حصر له, ومصنفاً المعلومات السمعية, البصرية, والشمية, والذوقية, واللمسية, معالجاً إياها بشكل يمكّن صاحبها من أن يتصرف بناءً عليه. إضافة إلى ذلك, بإمكانه أن يفكر بحد ذاته[158].

---

[156] - انظر جيمس م. ساير, "تحليل الكتاب المقدس" (داونرز غروف: منشورات انترفارسيتي 1980) ص 52- 58.

[157] - في العبرية (חי נפש) [فريق الترجمة].

[158] - "التايم", 14 كانون الثاني 1974. "يمكن للعقل أن يخزن حوالي مئة تريليون من البيتات من المعلومات- مقارنة بمليارات البيتات التي يستطيع الكمبيوتر أن يخزنها بالذاكرة الافتراضية" (نيوزويك, سبتمبر 29, 1986, ص 48).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

إن العلماء الذين ليس لديهم التزامات نشوئية في الظاهر أو افتراضات مسبقة مهما كان نوعها، يستخدمون بشكل مضطرب المصطلحات الكتابية ليصفوا الدماغ البشري والجسم البشري: "معجزة", "أعجوبة", و"مدهش", "الخلق", "تصميم",..... إلخ. في رسالة ترويجية للعدد الصادر في سبتمبر **1979** من المجلة العلمية الأمريكية, تحدث و. هـ. يوكل بطريقة شاعرية ومتحمسة حول هذا الموضوع:

"إن المعرفة الجديدة العميقة عن الدماغ, والتي تجمعت بمعدل متسارع في السنوات الأخيرة, تُظهر أن هذا العضو قد صُمِّمَ على نحوٍ عجيب و يتمتع بقدرات هائلة تفوق الوصف ويعجز الخيال عن إدراكها.

إن الأجزاء الإلكترونية الصغيرة والدقيقة يمكن أن تحزم حوالي مليون دارة في القدم المكعبة, في حين أن الدماغ يُقَدّر بأنه يستطيع أن يحزم مليار دارة في القدم المكعبة. إن مفاتيح الكمبيوتر تتفاعل فقط بمفتاحين ولـيس أكثر في نفس الوقت, بينما الخلية الدماغية قد تنقل بيانات ومعلومات إلى حوالي ألف خلية أخرى من جانبي الدخل والخرج ....

لعل الأسئلة المحيرة أكثر المحيطة بموضوع وظائف الدماغ التي تجعلنا بشراً– هي قدرات الذاكرة والتعلم. متجاوزين ما يمكن أن يسمى الجزء الصلب من الدماغ, تأتي قدرة البرمجيات التي تحير الفرضيات. إن العدد الذي يعبّر عن هذه القدرة في نقل بيتات المعلومات الرقمية يتجاوز أكبر عددٍ يمكن لأي معنى مادي أن يشير إليه".

في رسالة ترويجية (شباط **1986**), ووصْفاً لكتابهم الجديد عن الجسد البشري, الذي كان بعنوان "الآلة غير المعقولة", دعت الجمعية الوطنية الجغرافية القراء المحتملين "إلى رحلة داخل الجسم البشري... المخلوق الأكثر إعجازاً على الإطلاق". ومع **375** صفحة من الصور المثيرة والرسومات, يحتدم الجدال: إن الإنسان مصمم بطريقة مذهلة عجيبة. ولكن الكلمة التمهيدية التي كتبها لويس توماس, والفصل الإفتتاحي ("المخلوق الكوني") الذي كتبتْه سوزان شيفلبين يؤكدان لنا أن الإنسان ليس سوى "ساحرغير معقول" (ص **7**) و"حادثة سماوية" (ص **11**).

أمن الممكن لاتحاد عرضي للكتلة والطاقة والصدفة والزمن أن ينتج "مخلوقات عجيبة" أو أعضاء "مصممة بشكل مذهل وذات مقدرات هائلة"؟ بالوحي، كان داود قد كتب قبل ثلاث سنوات ما لا يمكن أن نزيد عليه: "لأَنَّكَ أَنْتَ اقْتَنَيْتَ كُلْيَتَيَّ. نَسَجْتَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي. أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَزْتُ عَجَباً. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذَلِكَ يَقِيناً" (مز **139**: **13**– **14**)[159].

بينما ينذهل المرء أمام التعقيد الهائل لهذا "الكمبيوتر السوبر" الذي يسكن داخل الجمجمة البشرية, فإنه أيضاً يتفق بالرأي مع وايدر بينفيلد ("سر العِقد", [برينستون: منشورات جامعة برينستون، **1975**], ص **47**):

"إن العقل هو الذي يجب أن يبرمج أولاً دماغ الكمبيوتر, لأن الكمبيوتر هو مجرد شيء وليس له بحد ذاته قدرة على أن يتخذ قرارات جديدةٍ بالإجمال لم يكن قد بُرمِجَ لأجلها.... الإنسان لديه كمبيوتر, ولكنه ليس كمبيوتر.... وأن يعامله ككمبيوتر هو كمثل القول بأن رسالة الحب يجب أن تكون الموضوع الوحيد لعواطف المرء– وليس المرسِل[160]".

الإنسان القرد وإنسان الكهف:

إنّ الفروقات الجسدية بين البشر والقرود ضخمةٌ جداً ويمكن تعليلها بحقيقة أنّ شيفرة الحمض النووي (د.إن.أ) فيها، أي "المخطط" الأصلي، كان مختلفاً.

"إنّ الأنف البشري فيه جسر ناتئ وأسلة ممدودة وهذه لا توجد عند القرود .... والإنسان لديه شفاه حمراء يشكلها الغشاء المخاطي الذي يبطن فمه؛ ولكن ليس للقرود مثل هذا. والقرود لها إبهام في أقدامها كما في أيديها.... وإن للإنسان عند ولادته أكبر وزن نسبة إلى وزنه العام كراشد. ومع ذلك فإنه عند الولادة يبدي أقل درجة من النضج ويكون أضعف المخلوقات على الإطلاق. إن رأس الإنسان متوازن عند قمة عموده الفقري؛ بينما رأس القرد متمفصلٌ عند المقدمة بدلاً من الذروة"[161].

---

[159] - للإطلاع على المزيد من المفاهيم المذهلة عن عجائب الجسم البشري، انظر بول براند وفيليب يانسي، "صُنِعَ على نحو مخيف وعجيب" (غراند رابيدز: منشورات زوندیرفان، 1980)؛ وقد راجعه جون سي. ودافيد سي. ويتكمب في "مجلة النعمة اللاهوتية" 2: 2 (خريف 1981)، ص 333- 339.

[160] - أرثر س. كورستينس, "المادة العجيبة للعقل" (غراند رابيدز): (منشورات زوندرفان,)1980, ص 56, 66, 92.

[161] - بول أ. زيمرمان، "دارون، والنشوء والخلق" (سانت لويس: منشورات كونكورديا، 1959)، ص 128. يستطرد مايكل بيتمان حول الفروقات في حجم الدماغ، والأيدي، والأقدام، والحوض، وطريقة المشي، والأسنان، والوجه، والفكين، واللغة، والمعرفة، في كتابه "آدم والنشوء" (1984)، ص 241- 255.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لقد قامت الجمعية الجغرافية الوطنية برعاية عدة بعثات إلى أفريقيا الشرقية بحثاً عن أشكال إنتقالية متوسطة بين القـــردة والبشـــر. وكـــان لويس وماري ليكي، وابنهما ريتشارد، ودونالد جوهانسون من بين الشخصيات الأبرز في اكتشاف مستحاثات لمخلوقات زعموا أنها أسلاف البشر، كانت تعيش منذ حوالي أكثر من ثلاثة ملايين سنة. إن غلاف عدد نوفمبر **1985** من مجلتهم الرائجة والمؤثرة احتوى على صورة خطية لجمجمة مـــا يفترض أنه إنسان قرد.

ولكن نشوئيين رائدين متعددين بعيدون عن الاقتناع بأن مستحاثات هذا "القرد الأولي الجنوب إفريقي" تمثل المراحل الأولى من النشـــوئية البشرية. في تحد للإدعاءات الأولى القائلة بأن هذه المخلوقات التي يبلغ طولها أربعة أقدام كانت تمشي منتصبة القامة كالبشر، أشار سولي زكرمـــان، وهو عالم تشريح بريطاني لامع، وتشارلز أوكسنارد، البروفسور في علم التشريح في جامعة كاليفورنيا الجنوبية الطبية، مستنتجين أنهـــا ".... لم تكـــن تسير منتصبةً أو قائمةً بل كان لها شكل من التحرك أو التنقل يشابه ذاك الذي لإنسان الغابة[162]"[163].

إن الأدلة المشهورة عن "الإنسان القرد"، مثل البلتداون والنبراسكا، وغيرها وغيرها، قد ضعفت الثقة بها بفضـــل المحللـــين الموضـــوعيين والمتأنيين. إنها إما أن تكون بقايا حيوانات أو كائنات بشرية حقيقية، ولكنها ليست انتقالاً بينهما. إضافة إلى ذلك، فإن الجماجم التي هي بشرية حقاً قد وُجدت مدفونة في طبقات أدنى بكثير من تلك التي تحتوي على البقايا المزعومة لسلفها النشوئي. ومن هنا، تبزع النشوئية من جديد كالتزام إيماني أكثر منها علم موضوعي تجريبي[164].

خلال مئة سنة من الأبحاث الدقيقة عن أشكال انتقالية ("عقد اتصال") بين الحيوانات الشبيهة بالقردة والبشر لم يظهر إلا بضعة ضئيلة جداً من عينات مشكوكٍ فيها (لا تكاد تملأ مدفناً صغيراً). ولكن إن كان البشر قد تطوروا عن حيوانات خلال مئات من السنين، فأين جميـــع الكائنـــات البشرية التي يجب أن تكون هنا الآن، إن لم تكن هناك بقايا لها؟

> "إنّ معدل حجم العائلة اليوم، في كل أرجاء العالم، هو حوالي **3.6** أطفال، ومعدل النمو الســـكاني الســـنوي هـــو **2%**.... إنه لمن غير المعقول أنه كانت هناك **25000** جيلاً من الناس ينتج عنهم تعداد سكاني يبلـــغ فقـــط **3.5** ملياراً. إن كان عدد السكان قد ازداد بنسبة **0.5%** سنوياً على مدى مليون سنة، أو إن كان معدل حجم العائلة فقط **2.5** طفلاً في العائلة لـــ **25000** جيلاً، فإن عدد السكان في الجيل الحالي يجب أن يزيد علـــى (10^{2100})، وهذا عدد مستحيل تماماً بالطبع: ففقط (10^{130}) إلكتروناً يمكن أن تُحشر في الكون المعروف برمته[165]."

إضافة إلى كل هذه الاعتبارات، لا تزال توجد شكوك كبيرة فيما يتعلق بالتواريخ المطلقة المقدرة لمستحاثات "الإنسان القرد" عند بـــاحثين ملتزمين بالجدول الجيولوجي لأكثر من ملياري سنة. في مقالته "البحث عن أسلافنا" في المجلة الجغرافية الوطنية (عدد نوفمبر **1985**)، يؤكد كينيـــث ويفر لقراءه أن الأعمار الكبيرة المقدرة للعظام المستحاثية تستند بشكل أكيد على معدل انحلال البوتاسيوم الإشعاعي إلى آرغون:

> "إن الاستخدام الباكر لتقنية البوتاسيوم–آرغون عام **1961** لتأريخ المســـتوى الأدنى في أولـــدوفاي جـــورجي في تانـــزانيا هو ما أدى جذرياً إلى إطالة الامتداد الزمني لنشوء الإنسان الأولي وإشعال إنفجار المعرفة عـــن الإنســـان الأول (ص **589**)."

ولكن الافتراضات غير المثبتة الكامنة وراء ذلك والتقنيات الأخرى المشابهة قد عرّاها مراراً وتكراراً وبشكل فعال علماء أكفاء جداً علـــى مدى سنين عديدة[166].

من ناحية جينية وترموديناميكية، إنه لمن المستحيل تماماً بالطبع للحيوان أن يصبح كائناً بشرياً. إن المعايير الثابتة لشيفرة الـــ د.إن.أ المعقدة بشكل هائل، والأثر المدمر للتغايرات الأحيائية العشوائية للمعلومات المخزنة في تلك الشيفرة، وبالتالي "انجراف" أو "انسحاب" السمة الجينية انحداراً

---

[162] - إنسان الغاب: (orangutan): ضرب من القردة العليا الشبيهة بالإنسان يقطن في بورنيو وسومطرة [فريق الترجمة].
[163] - دوين ت. غيش، "النشوء: تحد لسجل المستحاثات"، ص 156؛ انظر أيضاً ص149، 56، 59، 62.
[164] - انظر دوين ت. غيش، "النشوء: تحد لسجل المستحاثات"، ص130- 228؛ هنري موريس، "النشوئية العلمية"، الطبعة الثانية، ص171-202؛ م. بودين، "الإنسان القرد: حقيقة أم مغالطة؟" الطبعة الثانية (برومليي: منشورات سوفيرين، 1981)؛ جون مور، "كيف تعلم الأصول" (ميل فورد: موت ميديا، 1983)، ص 185-265.
[165] - هنري موريس، "النشوئية العلمية"، الطبعة الثانية، ص 167- 169. انظر أيضاً إيان تايلر، "في فكر البشر"، ص 440- 441.
[166] - انظر دوين ت. غيش، "النشوء: تحد لسجل المستحاثات"، ص51، 91؛ هنري موريس، "النشوئية العلمية"، ص 145- 148.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

في الأنظمة الحية من جيل إلى جيل كما تنبأ به القانون الثاني من الترموديناميك تساهم جميعاً في تدمير مصداقية ومعقولية النشوئية العضوية كفرضية علمية.

أوضح عالِمُ الحيوان الألماني، ج. ج. دويفين دي ويت بشكل بيّنٍ أن عملية التخصيص (كما ظهور تنوعاتٍ عديدةٍ في الكلاب والقطط) مرتبطة بشكلٍ يتعذر اجتنابه بالنضوب أو الفصد الجيني كنتيجة للانتقاء الطبيعي. عندما تُطبق هذه الحقيقة الراسخة علمياً على مسألة فيما إذا كان الإنسان قد تطور عن حيواناتٍ تشبه القردة، ".... فإن مفهوم الشكل الانتقالي في نظرية النشوء على تعاقب يتلقى ضربة في الصميم"[167].

سبب ذلك، كما يستطرد ج. ج. دويفين دي ويت، هو أن عملية النشوء كلها من حيوان إلى إنسان:

> ".... ستسير بعكس منحنى الفصد الجيني. أي.... الإنسان (يجب أن يمتلك) إمكانية جينية أصغر من سلفه الحيوان. وهنا يصبح السخف أكثر وضوحاً في مبدأ الانتقال (في نظرية النشوء) وهذا يربكها لتناقضها مع الدليل العلمي الواقعي الحقيقي. إذ تؤكد منطقياً أن الإنسان قد نشأ أو تطور عن مملكة الحيوان"[168].

على ضوء اعتبارات كهذه، المعروفة منذ عدة سنوات، ما الذي يمكن قوله عن مسيحيين يسلمون بفكرة الخلق المباشر لآدم وحواء بدافع الاحترام للآراء السائدة حالياً عند العلماء النشوئيين؟

ما من حيوان سواء كان قرداً، أم غوريلا، أم شمبانزي، أم ببغاء، أم دلفين، قد نطق أبداً بكلمة عاقلة واحدة. ويعلق السير جون إكليس قائلاً:

> "إن التجارب مع الشمبانزي الذين "يتكلمون" لغة الإشارة تظهر بأنهم يستطيعون إعطاء إشارة للدلالة على أشياء أو الحصول عليها، ولكنهم "لا يصفون (الأشياء).... ولا يجادلون.... وليس لديهم نظام قيمة. ولا يتخذون قرارت أخلاقية.... ولا يعلمون أنهم سيموتون.... فعلينا ألا نحكم على الحيوانات كما لو أنها أتت إلى الوجود بكائنات بشرية على نحو سيء".

إن سبب هذا واضح جداً كتابياً: فوحده الإنسان لديه صورة وشبه الله، والتي تشتمل على العقلانية (تك **1**: **26**؛ **5**: **1**؛ **9**: **6**؛ **1**كورنثوس **11**: **7**؛ يعقوب **3**: **9**). ومن هنا، وبينما الفوارق الجسدية بين البشر والحيوانات الرئيسية[169] كبيرة جداً، فإن الفوارق الروحية/الفكرية/اللغوية/الثقافية هائلة جداً.

من بين كل الكائنات الحية على هذا الكوكب، وحدُه الإنسان يتمتع بالإدراك الذاتي كشخص. وحدُه الإنسان متحررٌ كفايةً من عبودية الغريزة فيمارس خيارات حقيقية وله أهداف وغايات ذات أهمية في الحياة. وحدُه الإنسان لديه قدرات عاطفية فيشعر بالحزن والفرح. وحدُه الإنسان يقدّر ويتذوق الفن والموسيقى على نحو مبدع. وحدُه الإنسان يمكنه أن يتخيل ويصنع أدوات حقيقية. وحدُه الإنسان يمكنه أن يتعلم حقاً أكثر وليس أن يكون متدرباً وحسب. وحدُه الإنسان يمكنه أن يستخدم رموزاً شفهية أو مكتوبة لينقل مفاهيم مجردة لأشخاص آخرين وهكذا يتمتع بشركة وصداقة حقيقية. وحدُه الإنسان بمقدوره أن يحرز معرفة وأن يحصل على الحكمة دون الأجيال السابقة وبهذا يصنع له تاريخاً حقيقياً جديداً ويختبر تقدماً. وحدُه الإنسان يمكنه أن يميز أخلاقياً بين الصواب والخطأ ويشعر بنوبات من تأنيب الضمير. وحدُه الإنسان يعتبر مسؤولاً عن أفعاله، ويُدان على أخطاءه ويُحاكم. وحدُه الإنسان يمكنه أن يدرك وجود خالقه ومطالبه المحقة من خلال العبادة، والتسبيح، والصلاة، والتضحية، والخدمة الطوعية.

ولذلك فإنّ مفهوم "الإنسان–القرد" سخيف من الناحية العلمية ومن جهة الكتاب المقدّس، وكذلك الحال مفاهيم "الإنسان–الزرافة" و"الإنسان–وحيد القرن". ولكنّ المسألة ليست مجرّد سخافة أو بلادة أو تحزير غير ضار لخيال قصصي علمي، بل إنّه أيضاً تحريف مميت، لأنه يصيب صورة وشبه الله في الإنسان بأمها[170].

---

[167] - "نقد جديد لمبدأ الانتقال في البيولوجيا النشوئية" (كامبن: منشورات Kok، 1965)، ص 56.
[168] - المرجع السابق، ص 57.
[169] - الحيوان الرئيس: (Primates): واحد الرئيسات، وهي رتبة من الثدييات تشمل الإنسان والقرد الخ [فريق الترجمة].
[170] - انظر كارل هنري، "الله، الإعلان والسلطان"، المجلد 6، ص 177.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لم يكن هناك أبداً ما يسمى "الإنسان–القرد"؛ ولكن ويوجد هناك وسيبقى ملايين كثيرة من "رجال الكهف". قبل أربعة آلاف سنة وصف أيوب الناس في مناطق شمال العربية فقال:

".... فِي الْعَوَزِ وَالْمَجَاعَةِ مَهْزُولُونَ يَنْبِشُونَ الْيَابِسَةَ الَّتِي هِيَ مُنْذُ أَمْسِ خَرَابٌ وَخَرِبَةٌ، الَّذِينَ يَقْطِفُونَ الْمَلاَّحَ عِنْدَ الشِّيحِ وَأُصُولُ الرَّتَمِ خُبْزُهُمْ. مِنَ الْوَسَطِ يُطْرَدُونَ. يَصِيحُونَ عَلَيْهِمْ كَمَا عَلَى لِصٍّ لِلسَّكَنِ فِي أَوْدِيَةٍ مُرْعِبَةٍ وَثُقَبِ التُّرَابِ وَالصُّخُورِ" (أيوب 30: 3– 6).

ولماذا عاشوا تحت وطأة هكذا ظروف؟ لأنهم "مِنَ الْوَسَطِ يُطْرَدُونَ. يَصِيحُونَ عَلَيْهِمْ كَمَا عَلَى لِصٍّ" (الآية 5).

لقد كانت المأساة هي مصير هكذا ضحايا للقسوة البشرية طوال تاريخ البشر. إن حاملي صورة الله، ورغم أنهم في هذا العالم الساقط، قد اضطروا للعيش مثل الحيوانات، كصيادين وجامعي طعام، وليسوا في منأى عن الموت جوعاً. إن داود، ورغم كونه إنساناً بحسب قلب الله (1ملوك 11: 4؛ 15: 3) قد اضطر، مع مئات من أتباعه، لأن يعيش في الكهوف في جنوب فلسطين بينما كان الملك شاول وجيوشه يسعون وراءه لإهلاكه (1 صم 22– 24). وبينما كان في حالة "إنسان الكهف" نظم اثنين من أعظم مزاميره (مز 57، 142).

في الواقع، كثيرون من شعب الله ".... طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ، وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقّاً لَهُمْ. تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ" (عب 11: 37– 38). إنه لأمر لا يعقل أبداً على ما يبدو، أنّ ابن الله نفسه، ورغم أنّ الكون قد خُلق به (يوحنا 1: 1– 3)، قد رفضه شعبه نفسه (يوحنا 1: 10، 11) وقال: "«لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ .... وَأَمَّا ابْنُ الإِنسان فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ»" (متى 8: 20).

في نهاية هذا الدهر، الغالبية الساحقة من البشر ستُقلّص إلى وجود إنسان الكهف. " وَمُلُوكُ الأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ وَالأَغْنِيَاءُ وَالأُمَرَاءُ وَالأَقْوِيَاءُ وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرٍّ، أَخْفَوْا أَنْفُسَهُمْ" (سوف يختبئون) فِي الْمَغَايِرِ وَفِي صُخُورِ الْجِبَالِ"، بسبب دينونات الله العظيمة على عالم قد رفض ابنه الحبيب وخلاصه العظيم السخي (رؤيا 6: 15– 17؛ انظر أيضاً أشعياء 2: 19– 22).

قِدَم الإنسان:

إن حلّ الإعلان الخاص محل الإعلان الطبيعي (ولكن دون أن يتناقض معه) فيما يتعلق بكرامة الإنسان الحقيقية وخلقه الفائق الطبيعة، أفلا يقدم لنا هذا على الأقل أساساً بتحديد قدمه؟ يعتقد جيمس أوليفر باسويل، وهو عالم أنثروبولوجيا مسيحي كان يقر بالخلق المباشر لآدم على أنه التعليم الواضح للكتاب المقدس، بما يلي:

"قد يقبل الخَلْقي الدليل على عصر إنسان ما قبل التاريخ وثقافته. ولكن هذا لا يتعارض مع فكرة قِدَم الإنسان لمئات الآلاف من السنين؛ فما من مؤشر في الكتاب المقدس يدل على متى خُلِق الإنسان"[171].

عندما انتقد كارل هنري علماء الإنسان المسيحيين لفسحهم المجال لـ "الضغوط الجامحة للنظرية العلمية المعاصرة حول قِدَم الإنسان[172]، ردّ باسويل بأنه وعلماء أنثروبولوجيا آخرين إنما كانوا يتبعون ويليم هنري غرين وبنجامين وارفيلد في إنكارهم لفكرة أن السلالات في سفر التكوين قد وضعت أي قيود على قِدَم الإنسان".

"إني متأكد بأننا نحن علماء الأنثروبولوجيا المسيحيين مستعدون لأن ندرس بفكر منفتح أي محاولة جدية عُلمائية لإضعاف وإبطال والإطاحة بالأعمال الكلاسيكية في هذا المجال التي عليها تقوم فرضيتنا جزئياً"[173].

في مواجهة هذا التحدي أود أن اقترح عدة تقييدات كتابية على قِدَم الجنس البشري. ففي الدرجة الأولى، أن نمد السلالات في تكوين 5 و 12 لتغطي فترة تزيد على مئة ألف سنة هو عمل غير ملائم للإطار التسلسلي التاريخي لكل تاريخ الكتاب المقدس المتعاقب. باستخدام السلالات في الكتاب المقدس، من الممكن فعلياً أن نجد ثغرات أو فجوات، خاصة في سلسلة النسب الواردة في التكوين 11. ولكن هذه السلالات نفسها

[171] - "النشوئية والفكر المسيحي اليوم"، ص 181.
[172] - من مقالة رئيسية في "المسيحية اليوم" (15 كانون الثاني، 1965)، ص 28. من أجل المزيد من الإطلاع على تحليله المعاصر انظر كارل هنري، "أصل الإنسان وطبيعته" في كتاب "الله والإعلان والسلطان" (1983)، 6: 197- 228.
[173] - رسالة إلى المحرر، "المسيحية اليوم" (12 آذار 1965)، ص 22.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

تفيد في تقييد المقياس الزمني في التكوين 11. إن الفرجة بين عمرام وموسى كانت 300 سنة، وليس 3000 (انظر خروج 6: 20؛ عدد 3: 17– 19، 27– 28). والفاصل الزمني بين يورام وعزيا في متى 1: 8 كانت 50 سنة، وليس 5000.[174]

بالدرجة الثانية، ثلاثة فقط من البطاركة العشر الذين ترد أسماؤهم في تكوين 11– وهم رعو، وسروج، وناحور– يمكن قياس الفترة الزمنية الواسعة بينهم من قبل علماء الأنثروبولوجيا هؤلاء، لأن البطاركة وردت أسماؤهم قبل دينونة برج بابل وتبعثر الجنس البشري (انظر تكوين 10 :25). ومع ذلك فإن أوضح اقتراح عن فجوة زمنية في التكوين 11 يرد قبل هذه الدينونة، بين عابر وفالج، بسبب إسقاط مفاجئ في امتداد حياة طبيعية.[175]

بالدرجة الثالثة، من غير الممكن أن نتخيل أن رعو، وسروج، وناحور– إن لم نذكر لامك ونوح وسام– كانوا سكان كهوف قساة متوحشين وجاهلين في حقبة العصر الحجري. الأصحاح الرابع من سفر التكوين، بدلالته الواضحة عن الإنجاز الحضاري، الذي يشمل صيانة "كل الأدوات النحاسية والحديدية" (الآية 22)، وتكوين 6، بوصفها لمشروع بناء الفلك العظيم، يجعلان هكذا نظرية متعذراً الدفاع عنها كلياً. أم هل أن علينا أن نفترض أنه في بقعة صغيرة من الحضارة، كاد محيط الوحشية البشرية أن يجرفها، توجد سلسلة غير منكسرة من رجال أتقياء (بعضهم عاش لقرون) تديم سلالة سام المسيانية وترجع معرفة الله الوحيد الحقيقي إلى الوراء لمئات آلاف من السنين؟ إن مجرد طرح هكذا سؤال هو جواب عليه.

وأخيراً، يجب أن نسأل كم هي أكيدة تفاصيل قصة الطوفان العظيم المسلمة من حضارة أولية في العصر الحجري إلى أخرى، عبر تقليد شفهي مجرد، لمئات آلاف السنين، لتكون متجسدة في نهاية الأمر في ملحمة جلجامش البابلية؟ أن يكون هذا هو ما قد حدث خلال عدة آلاف سنة أمر يمكن تخيله. ولكن أن يكون قد حدث قبل مئة ألف سنة أمرٌ يصعب جداً تصوره. إن ملحمة جلجامش لوحدها، والحق يقال، تسدد ضربة قاصمة لمفهوم القِدَم الشديد لآدم ونوح[176].

صحيح أن بنجامين ب. وارفيلد (1851– 1921) كان أحد أعظم اللاهوتيين الأرثوذكس في العصر الحديث، ولكنه كان أيضا عرضة لارتكاب أخطاء. من بين هذه الأخطاء، على ما أعتقد، هو تأكيده على أن " ألفي جيل ونحو مئتي ألف سنة ربما كانت تفصل" بين آدم ونوح بحسب معطيات الكتاب المقدس في تكوين 5 و11.[177] ولا بد من الإشارة أيضا إلى أن وارفيلد تابع يقول (وهذا القول قلما يقتبس حالياً) أن الإنسان على الأرجح لم يوجد على الأرض لأكثر من عشرة آلاف أو عشرين ألف سنة.[178] لسوء الحظ، أن أحد أقوال وارفيلد بما يخص تكوين 5و 11 يُلجَأ إليها غالباً ككلمة أخيرة في موضوع الكرونولوجيا قبل إبراهيم.

إنه لأمر في غاية الأهمية أن ندرك أننا مع اعتقادنا بعصمة المخطوطات الكتابية المطلقة (التي أكدها وارفيلد بشكل واضح) على أنها أمر جوهري أساسي بالفعل، إلا أنها ليست كافية كأساس للاهوت صحيح بشكل عام أو نشوئية صحيحة بشكل خاص.[179] كيف يمكن للمرء أن يفسر نصاً من الكتاب المقدس غير معصوم (أي علم التفسير الكتابي) ككقضية جوهرية اليوم، كما كان في عصر يسوع. إن القادة اليهود الذين عارضوا ربنا كانوا في توافق شكلي معه فيما يخص السلطة النهائية والموثقية للعهد القديم، ولكنهم كانوا يرفضون تفسيره للنص.

ومن هنا، فبالنسبة للمناصرين كمثل دافيس يونغ[180] والنشوئيين الإيمانيين كمثل دافيد ليفينغستون[181]، أن يبني اللاهوتيون المتنوعون قضيتهم على التسويات والتنازلات اللاهوتية في الفترة ما بعد الدارونية (مثل وارفيلد) يعني أن يبنوا على أساس من الرمل. هؤلاء اللاهوتيون ما كانوا ليتنازلون عن قناعاتهم اللاهوتية بخصوص الأصول الأساسية لولا الضغط الهائل الذي فرضه عليهم الإجماع في الرأي القائل بالتشاكل

---

174 - انظر ج. سي. ويتكمب وهـ. م. موريس، "الطوفان في التكوين"، ص 485- 486.
175 - المرجع السابق، ص 481- 483.
176 - المرجع السابق، ص 483- 489.
177 - "قِدَم ووحدة الجنس البشري" في "دراسات كتابية ولاهوتية" (فيليبزبيرغ: منشورات الكنيسة المشيخية والمصلحة، 1952)، ص 247.
178 - المرجع السابق، ص 248.
179 - في مقالة في بيان شيكاغو عن عصمة الكتاب المقدس، على سبيل المثال، نجد أساسا جوهريا وليس كاف لكل الدراسات حول التكوين 1- 11: "إننا ننكر أن عدم خطأ وعصمة الكتاب المقدس أمر مقيد بالمواضيع الروحية والدينية أو الإفتدائية ونستثنيها من التأكيدات في مجال التاريخ والعلوم. بل أننا ننكر حتى الفرضيات العلمية حول تاريخ الأرض والتي قد تكون صحيحة لتُستخدم في نقض تعليم الكتاب المقدس حول الخلق والطوفان". إن هذا القول جدير بالاعتبار, ولكن الكثيرين ممن يؤيدون نظرية يوم-دهر يصادقون عليها دون تردد.
180 - دافيس يونغ، "المسيحية وعمر الأرض"، ص 58- 59.
181 - دافيد ليفيغستون، ووارفيلد، "نظرية النشوء والأصولية المبكرة"، "الفصلية الإنجيلية" 58: 1(كانون الثاني 1986)، ص 69- 83.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

والنشوئية بفضل التأسيس العلمي في أواخر القرن التاسع عشر. لقد افترضوا ببساطة وسذاجة أن العلماء كانوا يقولون حقائق موضوعية يمكن إثباتها أو التحقق منها عندما كانوا يتحدثون عن القِدَم الهائل للأرض ونشوء الكائنات الحية.

نجد هنا حالة مفاجئة هي "غاليليو بالاتجاه المعاكس". هذا العالم العظيم الذي ظهر في بداية القرن السابع عشر لم يكن يرفض الإعلان الكتابي عندما رفض فكرة أن الشمس تدور حول الأرض. بل كان يرفض آراء "الكنيسة" اللاتينية التي كانت تتبنى وبسذاجة وقبل الأوان مفاهيم "علماء" غير مسيحيين (أريسطوتل وبطليموس)[182]. وكذلك الحال اليوم أيضاً، فالمسيحيون هم في خطر دائم بتبنيهم غير الناضج للفلسفات العلمانية الرائجة حالياً، إذ يكتشفون في نهاية الأمر وبارتباك شديد أنهم قد اقترنوا بالمنظومة الخطأ بشكل يتعذر اجتنابه وفرضوا على الكتاب المقدس التعايش مع ذلك أيضاً. وبالتالي، فمن المحتم، أنهم، ومثل أيوب سيستيقظون "في الصباح" و"إِذَا هِيَ لَيْئَةٌ" (تك 29: 25؛ رو 12: 1– 2؛ كول 2: 8).

أحد الاتجاهات الرائجة في الكنيسة اليوم هي الرفض الواسع الانتشار عند رجال العلم المسيحيين للتشاكل في افتراضاتها التي تتعلق بتحديد عمر المستحاثات. لماذا على المسيحيين أن يقبلوا الجدول الزمني في علم المستحاثات النشوئي والأنثروبولوجيا الذي يشتمل على إنكار للعقائد الكتابية التي تقول بأسبوع خلق فوق طبيعي، ودخول الموت الجسدي إلى العالم لدى سقوط آدم، وأيضاً التأثيرات الكارثية لطوفان عالمي الأرجاء في أيام نوح؟ هذه العقائد الكتابية تؤيدها حجج جدلية كثيرة ومتنوعة، ومع ذلك فإننا قد نجد عدة علماء إنجيليين يتجاهلونها أو ينكرونها في تساهلهم مع مفاهيم التشاكل في تاريخ الأرض. فعلى سبيل المثال، أكّد رسل ل. ميكستل الذي من جامعة ويتون أن على الخَلْقي الصادق أن يسأل عالَم المستحاثات عما يعرفه عن زمان أصل الحيوانات وأن يبني آراءه استناداً إلى هذه المعطيات[183]. عندما اقترح عالم المستحاثات لويس ليكي تاريخاً يصل إلى 1750000 سنة لعمر مستحاثة بشرية كان قد اكتشفها، وجد بسويل وكنوع من التنبؤ أنه ليس هناك مشكلة محددة في ملاءمة تكوين 5 و11 مع هذا الجدول الكرونولوجي الجديد (ومن جديد ملتجئين إلى وارفيلد). في "مراسلة مع علماء الأنتروبولوجيا الخَلْقيين الآخرين في طلب الرأي المباشر حول الإنسان ما قبل الحالي ..... أشارت الإجابات إلى نقص عام في الانتباه إلى قِدَم الإنسان المتزايد"[184].

هكذا أناس قد لا يرون مشكلة في اعتبار انقضاء 10 آلاف سنة بين كل من البطاركة الاثني عشر في تكوين 5 و11، ولكن هذه تُعتبر عبثية كاملة بالنسبة لمعظم المسيحيين المؤمنين بالكتاب المقدس. وحتى مع فهمنا لكرامة الإنسان والخلق فوق الطبيعي له من خلال الإعلان الخاص الواضح، فهكذا أيضاً فهمنا للمخطط الرئيسي لتاريخ الإنسان المبكّر لا بد أن يتأتى من الكتاب المقدس وليس من العلم[185].

حقيقة أن الأصحاحات الإحدى عشر الأولى من التكوين لا يمكن توفيقها مع البرامج النشوئية عن تاريخ الأرض لها ما يبرهن عليها في حقيقة أن علماء الأرثوذكسية الجديدة والليبرالية الجديدة قد هجروا منذ زمن محاولة اعتبار هذه الأصحاحات على أنها تاريخية جادة[186]. لعل في مقدور هؤلاء الناس أن يستغنوا عن آدم التاريخي إن رغبوا بذلك. ولكن لا يمكنهم أن يستغنوا عن الاعتراف بأن يسوع المسيح قد نطق بالحق. إن آدم ويسوع المسيح يقفان معاً أو ينهاران معاً، لأن يسوع قال: "لأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي.... فَإِنْ كُنْتُمْ لَسْتُمْ تُصَدِّقُونَ كُتُبَ ذَاكَ فَكَيْفَ تُصَدِّقُونَ كَلاَمِي؟" (يوحنا 5: 46– 47). وأكد ربنا أيضاً أنه.... "إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ (بما فيه سفر التكوين) حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ" (متى 5: 18). إن كان سفر التكوين لا يمكن أن يعول عليه تاريخياً، فعندها لا يكون يسوع دليلاً يعول عليه إلى كل الحق، ونكون عندها بلا مخلص.

قال الرسول بولس: "لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنسان الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً هَكَذَا أَيْضاً بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً" (رومية 5: 19)؛ و"لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ" (1 كورنثوس 15: 22). لو لم يسقط آدم من حالة البر الأصلية،

---

[182] - للإطلاع على مناقشة ممتازة عن "قضية غاليليو" انظر إيان تايلر، "في فكر البشر"، ص 22- 25. انظر أيضاً جون سي. ويتكامب: "العالم الذي تلاشى" (غراند رابيدز: منشورات باكر، 1973)، ص 137- 138.

[183] - "النشوء والفكر المسيحي اليوم"، ص 183.

[184] - "مجلة الجمعية العلمية الأمريكية"، 17: 3 (سبتمبر 1965)، ص 77.

[185] - للإطلاع على مناقشات مفيدة حول المستحاثات البشرية انظر آرثر كوستانس، "الإنسان الأحفوري على ضوء رواية التكوين"، في "لم لا للخلق؟"نشر والتر لاميرتس (نتلي: منشورات الكنيسة المشيخية والمصلحة، 1970)، ص 194- 229: وإيان تايلر، "في فكر البشر"، ص 204- 264؛ ومايكل بيتمان، "آدم والنشوء"، ص 86- 100؛ ووين فير وبيرسيفال دافيس، "قضية في الخلق"، الطبعة الثالثة (شيكاغو: منشورات مودي، 1983)، ص 117- 126.

[186] - مثل رالف هـ. إليوت، "رسالة التكوين" (ناشفيل: منشورات برودمان، 1961).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لما كان هناك خطيئة، ولكان المسيح قد مات عبثاً. إن كان الموت الكوني بسبب آدم هو أسطورة، فعندها تكون عقيدة القيامة هكذا أيضاً، ويكون بولس شاهد زور (1 كورنثوس 15: 15). إن التاريخية الكاملة لرواية التكوين عن آدم وحواء حاسمة بالمطلق لكل مخطط الخلاص الذي أعلنه الله.

خاتمة:

لقد خلق الله آدم وحواء بشكل فائق للطبيعة ومفاجئ؛ فهما لم يتطورا تدريجياً من مملكة الحيوان. لقد خلقهما الله جسدياً وليس فقط روحياً. لقد خُلِقَا على صورة وشبه خالقهما الشخصي والأبدي واللامتناهي.

من السقوط إلى الطوفان
(التواريخ هي الأعوام بعد الخلق)

100	200	300
آدم		
هابيل	شيث	
قتله أخوه	130	
قايين		

(تزوج أخته. انتقل إلى أرض نود. كانت تحميه علامة).

أنوش
235
(العبادة الجماهيرية العامة الرسمية بدأت مع أنوش)
قينان (كنان)
395 325

أخنوخ (أعطي اسمه لأول مدينة)
يارد
محويائيل
متوشائيل
لامك (زوجتين. نشيد السيف).
نعمة (الأخت).
توبال قايين (الحداد).
يوبال (عازف).
يابال (راعي المواشي).

بما أن كل بطريرك من الذين ذُكِرَتْ أسماؤهم قد "وَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ" وبما أن عمر الآباء عندما وُلِد لهم كُلُّ ابنٍ ورد اسمه كان يتراوح بين 65 و 500 سنة قبل الطوفان، فمن الواضح أن رواية الكتاب المقدس تدل على (1) الكهول الذين عاشوا قبل الطوفان عمروا نمطياً لقرون، (2) قدرتهم على التناسل دامت أيضاً لقرون، و(3) من خلال التأثيرات المتحدة للحياة الطويلة والعائلات الكبيرة، أمكن للأرض أن "تمتلئ" بالناس في عهد الطوفان (تك 1: 28؛ 6: 1، 11، 13). وهذا يدل ضمناً على أنه لم تمضِ عدة آلاف من السنين بين الخلق والطوفان أو بين الطوفان والزمن الحاضر.

400	500	600	700
مهللئيل			
يارد			
460			
	أخنوخ		
	622		

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

("بِالإِيمَانِ نُقِلَ أَخْنُوخُ لِكَيْ لاَ يَرَى الْمَوْتَ"– عب 11: 5)

متوشالح

687

إن كان متوشالح ابناً حقيقياً وليس مجرد شخص من ذرية أخنوخ التقي، فسيكون هناك إمكانية أكثر لاحتمال أنه كان أيضاً رجلاً باراً. ولكن إن كان نوح هو الإنسان الوحيد البار على الأرض قبل بدء عام الطوفان (تك 6: 9، 18؛ 7: 2)، فلا يكون متوشالح عندئذ، كَبار (أي مبرراً)، قد عاش حتى عام الطوفان نفسه بحسب تفسير "الفجوة–الجديدة" لتكوين 5 و11. ومن هنا، فإن متوشالح سيكون سلفاً، وليس الأب الفعلي للامك؛ وستكون قد مضت أكثر من 1656 سنة بين الخلق والطوفان، وهذا يجعل تشابهاً جزئياً مع تكوين 11 حيث يظهر بوضوح أكثر أنه قد انقضت أكثر من 292 على الأقل بين الطوفان ومولد إبراهيم.

1200 1100 1000 900 800

لامك

874

نوح

1056

الأعمار الكبيرة للناس قبل الطوفان لا يمكن تعديلها بأن نفترض، مثلاً، أن "السنوات" قبل الطوفان كانت فقط عُشْر مدتها الحالية. هذا سيجعل من "المنطقي" أن يكون عمر متوشالح 97 سنة عند وفاته. ولكن هذا سيجعل مهللئيل وأنوش في السادسة من العمر عندما كانا آباء. من الواضح أن الكتاب المقدس كان يتوقع أن تُؤخذ هذه الأرقام الكبيرة بقيمتها الظاهرية.

قائمة مشاهير الملوك السومريين (2000 ق.م) تورد أسماء ثمانية ملوك قِيْلَ عن كل واحد منهم أنه حكم لمدة 30000 سنة تقريباً قبل الطوفان. "ثم فاض الطوفان على الأرض". وبعد الطوفان، نرى أن فترات حكم الملوك قد صارت أقصر بكثير. لا بد أن هذا كان بتأثير تقليد شفهي قوي حول التعمير الكبير للناس قبل الطوفان وقد حافظ عليه النص المُلهَم في تكوين 5؟

1656 1600 1500 1400 1300

خلال الأسبوع الأخير الذي سبق الطوفان (تك 7: 1– 16) أتى الله إلى الفُلك بزوج من كل حيوان رئيسي من الذين يتنشقون هواء الجو وسبع أزواج (3 أزواج وغيرها إضافي من أجل القرابين لاحقاً) كانت أنواعاً "طاهرة" بحسب الطقوس (تك 6: 20؛ 7).

لقد مرت البشريةُ التي سبقت عهدَ الطوفان بفترة امتحان واختيار أخيرة مؤلفة من 120 سنة في حين كان روح الله "يجاهد مع الإنسان" (تك 6: 3). ولا بد أن نوحاً قد تعرّض للكثير من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

السخرية والهزء (انظر 2 بطرس 3: 3– 4) وذلك "حِينَ كَانَتْ أَنَاةُ اللهِ تَنْتَظِرُ مَرَّةً فِي أَيَّامِ نُوحٍ، إِذْ كَانَ الْفُلْكُ يُبْنَى" (1 بطرس 3: 20).

هل كانت الأرض يوماً شواشاً؟

القضية الأساسية:

لقد تجادل دارسوا الكتاب المقدس المعتدلون المحافظون كثيراً فيما إذا ما كان يجب فهم الخلق الأصلي للسموات والأرض كحادثة في اليوم الأول من الخلق, أو أنها فترة زمنية هائلة يمكن أن تكون قد امتدت بين الخلق الأصلي في تك **1:1** والحالة الـ "خربة وخالية" التي تصفها تـك **1: 2**. إن معظم المسيحيين يفضلون فكرة فجوة زمنية بين هاتين الآيتين معتقدين أن الأرض الأصلية كانت قد احتلتها النباتات والحيوانات (وربما أيضاً أُناسٌ قبل آدم) وبسبب سقوط الشيطان دمرها الله بواسطة طوفان كوني وغمرتها ظلمة كاملة, وهكذا "صارت" "خربة وخالية". إن الدهور الواسعة المفترضة في الجدول الزمني الجيولولي يُعتقد أنها قد حدثت خلال هذا الفاصل الزمني, ولذلك فإن المستحاثات النباتية والحيوانية الموجودة في قشرة الأرض حالياً هي بقايا للعالم الكامل المثالي الأصلي الذي يُفترض أنه قد دُمر قبل أيام الخلق الحرفية الستة (أو بالحري أُعيد خلقه) كما يدون في تكوين **1: 3– 31**.

لقد قُبلت نظرية الفجوة (أو نظرية إعادة بناء الدمار) بشكلٍ واسعٍ وسط المسيحيين الإنجيليين، وخاصةً منذ بداية القرن التاسع عشر عندما عمّمَ توماس تشالمرز الاسكتلندي هذا التفسير، ونفترض أن ذلك كان بدافع أن يُؤقْلِمَ رواية الخلق في التكوين مع الفترات الزمنية الفسيحة في تاريخ الأرض بحسب اعتقاد الجيولوجيين القائلين بالتشاكل[187]. لقد تطورت النظرية عام **1876** على يد جورج بمبر ("عصور الأرض الأولى")، ثم انتشرت بشكل هائل واسع في حواشي "كتاب سكوفيلد المقدس الجديد المشوهد" بدأً من عام **1917**. وفي عام **1970** نشر آرثر كوستانس, وهو عالم كندي, دفاعاً عن نظرية الفجوة بعنوان "خربة خالية".

إن الفروقات ين نظرية الفجوة والنظرة التقليدية لخلق حديث نسبي للأرض خلال ستة أيام حرفية عميقة وعويصة. بالدرجة الأولى، يجب أن تعيدَ نظريةُ الفجوة تعريفَ أو شرح القول "حَسَنٌ جِدّاً" الوارد في تك **1: 31**: ("وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدّاً"), لأن آدم قد وُضِع كآخر ما وصل متأخر في عالم كان قد دُمِّرَ لتوه, فكان يسير حرفياً على مقبرة من مليارات المخلوقات (بما فيها الديناصورات) التي لم يمارس أبداً سيادة عليها (تكوين **1: 26**). إضافة إلى ذلك، فإن هذا العالم الذي هو "حَسَنٌ جِدّاً" قد صار لتوه ميداناً لكائن ساقط وشرير يُوصَف في الكتاب المقدس بأنه "إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ" (**2 كور 4: 4**).

وثانياً, تفترض نظرية الفجوة وجود آكلي لحوم وحيوانات أخرى كانت تعيش وتموت ليس فقط قبل آدم, بل حتى قبل سقوط الشيطان. ولكن هل كان للموت أن يخيم في مملكة حيوان في عالم غير خاطئ؟ أفلا يقول الكتاب المقدس أن "الخليقة كانت خاضعةً لعبثية", وأنها كانت "تئنّ وتتمخض" بنتيجة اللعنة في عدن, التي جاءت بعد سقوط آدم (رومية **8: 20–22**)؟ لم تكن الطبيعة ولا الشيطان, بل الإنسان الذي خُلِق ليكون ملك الأرض (مز **8**, عب **2: 5– 8**)؛ ولم يظهر الموت لأول مرة على هذا الكوكب إلى أن رفض الإنسان عن عمد إرادة الله (رومية **5: 12**) وعندها فقط سقطت الحيوانات تحت "عبودية الفساد" (رومية **8: 21**). ومن هنا, فإن نظرية الفجوة تشكل جدياً حلاً وسطاً بين العقيدة الكتابية القائلة بسيادة الإنسان الأصلية ومبدأ لعنة عدن التي أنزلها إلهٌ قدوسٌ على الأرض بسبب تمرد الإنسان.

ثالثاً, بناءً على نظرية الفجوة, إن كانت جميع الحيوانات والنباتات في "العالم الأول" قد دُمرت وتحولت إلى مستحاثات فما كان ليمكن أن تكون لها أية علاقة جينية بالكائنات الحية التي في العالم الحالي, رغم حقيقة أن الغالبية العظمى منها تظهر مطابقة في شكلها للأنواع المعاصرة. على

[187] - رغم أن نظرية الفجوة قد لاقت دفاعاً وتأييداً متشنجاً بشكل أو بأخر لقرون (انظر التوثق في كتاب أرثر كوستانس: "خربة وخالية", اونتاريو,كندا, 1970), إلا أنه تم نشرها وتعميمها أولاً على يد الدكتور توماس تشالمرز الذي من جامعة إدندبرغ في عام 1814. بهذا الشكل حاول أن يدمج مفاهيم جورجس كوفيير عن مبدأ الكارثة الجيولوجية بإطار الكتاب المقدس. انظر "أعمال توماس تشالمرز في اللاهوت الطبيعي" (غلاسغو: منشورات غولنز)؛ برنارد رام: "النظرة المسيحية إلى العلم والكتاب المقدس" (غراند رابيدز: منشورات إيردمانز, 1954), ص 195؛ فرانسيس هابر, "عمر العالم" (بالتيمور: منشورات جونز هوكينز، 1959), ص 201؛ إيرك سور, "ملك الدنيا" (غراند رابيدز: منشورات إيردمانز, 1962)، ص 230.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

نفس المنوال, أولئك الذي يعتقدون بمستحاثات بشرية في هذه "الفجوة" الزمنية مضطرون إلى الاستنتاج بأن هكذا "أُناس" قبل آدم ما كانوا يتمتعون بحياة أبدية (لأنه من الواضح أنهم قد ماتوا قبل أن تدخل الخطيئة إلى العالم على يد آدم)[188].

رابعاً، لا تفسر نظرية الفجوة حالة " العالم الأصلي الكامل" (التي يفترض معظم المدافعين عن هذه النظرية أنه قد وُجِدَ لعدة ملايين من السنين). ومن هنا, لا يمكننا أن نعرف شيئاً عن ترتيب الأحداث لدى خلق العالم, أو ترتيب ملامحه, أو تاريخه, (الذي كما نعلم, يمكن أن يكون قد شكل **99.9%** من تاريخ الأرض حتى الآن)؛ إذ تحل الآية الأولى فقط محل كل الأصحاح الأول حول هذا الموضوع الهام. هل سنفترض أن المسيحيين سيتطلعون إلى التشاكل والجيولوجيين النشوئيين لملأ الفراغ قبل تكوين **1**: **2**؟ ما علاقة هذا بخروج **20**: **11** (انظر أيضاً **31**: **17**)، التي تقول أنه في ستة أيام (وليس قبل اليوم الأول)، "صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالارْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا" (وليس فقط النباتات أو الحيوانات أو الناس)؟

أخيراً, تفترض نظرية الفجوة ضمناً أن طوفان نوح (التي يخصص له موسى ثلاثة أصحاحات كاملة من التكوين) كان بلا مغزى نسبياً من حيث تأثيراته الجيولوجية والهيدروديناميكية, لأن كل التشكيلات الرئيسية الحاوية على مستحاثات كانت قد وضعت بفضل الطوفان المزعوم في تكوين **1**: **2** (والذي يُشار إليه أحياناً بطوفان لوسيفورس). من الواضح أن نفس المستحاثات لم تترسب بفضل طوفانين منفصلين خلال فترة زمنية طويلة. ولذلك تطلب نظرية الفجو تقريباً أن يكون طوفان نوح محلياً في إمتداده وتأثيره وذلك لإعطاء تأكيد كامل على الكارثة المزعومة التي سبقت آدم (انظر ويتكمب وموريس, "طوفان التكوين", ص **5**– **6**). إنه لجدال عقيم القول بأن الرسول بطرس كان يشير إلى كارثة جرت في التكوين **1**: **2** عندما كتب: ".... الْعَالَمُ الْكَائِنُ حِينَئِذٍ فَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءُ فَهَلَكَ" (**2** بطرس **3**: **6**)، لأنه كان قد أشار لتوه إلى طوفان نوح (**2** بطرس **2**: **5**) وبالكاد سيشير إلى طوفان آخر دون تفسير، وخاصة أن الطوفان الوحيد الذي تحدث عنه الرب يسوع المسيح على الإطلاق كان الطوفان في عصر نوح (انظر متى **24**: **37**– **39**؛ لوقا **17**: **27**).

من الواضح إذاً أن نظرية الفجوة ليست مجرد انحراف ثانوي عن التفسير التقليدي لرواية الخلق التي في سفر التكوين. ولهذا السبب فإن الأدلة الكتابية التي طُرِحت في الدفاع عنها يجب تفحصها بعناية. لعل نقاط الجدل الأربع الأكثر أهمية في تأييد نظرية الفجوة هي ما يلي: (**1**) الفعل المترجم إلى "كانت" في تكوين **1**: **2** من الأفضل أن يترجم إلى "أصبحت" أو "كانت قد صارت", وهذا يسمح لظهور الفكرة الصعبة الفهم بتغير في حالة الأرض. (**2**) العبارة "خَرِبَةً وَخَالِيَةً" لا تظهر في مكانٍ آخر إلا في أشعياء **34**: **11** وإرميا **4**: **23**, وسياق النص في هذه المقاطع يدل بشكل واضح على دينونة ودمار. إضافة إلى ذلك, فإن كلمة "خَرِبَةً " بحد نفسها تحمل عادةً معنى أو دلالة الشر. (**3**) من غير المحتمل أبداً أن يكون الله, خالق النور, أن يكون قد خلق العالم في ظلمةٍ, هذا التعبير الذي يستخدم عموماً في الكتاب المقدس كرمز للشر. (**4**) يبدو أن هناك تمييز واضح في الأصحاح الأول من التكوين بين "خلق" و"عمل", وهذا ما يأذن بافتراض أن الكثير من الأشياء المذكورة خلال تكوين **1** قد أُعيد خلقها ببساطة.

"كانت" أم "صارت"؟

إن أول حجة مؤيدة لنظرية الفجوة (وهي إحدى الحجج التي يعتبرها آرثر كوستانس حاسمةً) هي أن الكلمة العبرية (היה) في تكوين **1**: **2** يجب أن تترجم "أصبحت" أو "كانت قد صارت", متضمنة بذلك معنى انتقال هائل من الكمال إلى الدينونة و الدمار أو الهلاك.

الرد على هذه الحجة هو أنه بينما يمكن للفعل (היה) أن يترجم غالباً بمعنى "صارت", فإن ترتيب الكلمات وبنية الجملة في تكوين **1:2** (وفي عدد من المقاطع الأخرى) لا يسمح بهكذا ترجمة. إن كانت يجب ترجمتها بـ "صارت", فعندها ينبغي أن نقول أن آدم وحواء "صارا" عريانين (تكوين **2**: **25**), وأن الحية "صارت" أحيل جميع حيوانات البرية (تكوين **3**: **1**).

إن ترتيب الكلمات في تكوين **1**: **2** (الفاعل ثم الفعل) يستخدم في معظم الأحيان للإشارة إلى إضافة معلومات ظرفية وغياب التطور المتعاقب المتتالي أو المتسلسل تاريخياً, ولذلك ترجم علماءُ السبعينية الفعل بـ "كانت" وليس "صارت". إضافة إلى ذلك, إن الكلمة العبرية (*waw*)

[188] - لقراءة دفاعات عن الرأي القائل بجنس بشري قبل آدم, انظر غليسون ل. أرشر, "مسح لبداية العهد القديم" (شيكاغو: منشورات مودي, 1974), ص 196- 199؛ وتشارلز بيكر, "اللاهوت التدبيري" (غراند رابيدز: منشورات جامعة غريس الكتابية, 1971), ص 207.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

التي تبدأ بها تكوين 2: 1 هي (*waw*) ظرفية لأنها مرتبطة بالفعل ("الأرض") وليس بالفعل. ومن هنا, يجب ترجمتها على نحوٍ صحيح بـ "الآن", وقد ترجمها علماءُ السبعينية, الذين كانوا شديدي الحرص في تناول الأسفار الموسوية الخمسة, على هذا النحو[189].

هناك إزائيات واضحة للبنية التي في تكوين 1: 2 نجدها في زكريا 3: 1– 3 ("....وَأَرَانِي يَهُوشَعَ.... وَكَانَ يَهُوشَعُ لاَبِساً ثِيَاباً قَذِرَةً....") وفي يونان 3: 3 ("فَقَامَ يُونَانُ وَذَهَبَ إِلَى نِينَوَى .... أَمَّا نِينَوَى فَكَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً ...."). من الواضح أن يَهُوشَعَ لم يرتدِ ثياباً قذرة بعد أن رآه زكريا؛ ولم تصبح نينوى مدينة عظيمة بعد أن دخلها يونان. ومن هنا فإن جميع الترجمات المهمة لسفر التكوين 1:2 صحيحة في تجنبها فكرة "صارت", لأن الآية تصف ببساطة حالة الأرض تواً بعد خلقها. على ضوء فحوى هذا النص وترتيب الكلمات، تنشأ لدينا أمور معقدة لاهوتية في تكوين 1: 2 إذا أصر المرء على فكرة حدوث تغيير أو انتقال بدلالة الفعل "كانت", يصبح المعنى: "في الوقت الذي قام فيه الله بالخلق، كانت الأرض قد صارت خَرِبَةً وَخَالِيَةً (أي أن هذا قد حدث قبل خلقها)".

ص 145 في الكتاب هنا نضع الصورة
الجبال والجليد والثلج: إن السلاسل الجبلية في عالمنا الحالي تختلف بشكلٍ واسع كبير جداً عن تلك التي كانت قبل الطوفان. فبالدرجة الأولى، إنها تبلغ أربعة أضعاف من ارتفاعها آنذاك، وبعضها قد يزيد ارتفاعه على 28000 قدماً فوق سطح البحر. مثل هكذا جبال لا يمكن أبداً أن تكون قد غُمِرت بطوفان كوني؛ فلو سُوِّيَت تضاريس سطح الأرض الحالية، التي يبلغ حجم المياه فيها 300000000 ميلاً مكعبة، بمستوى الأرض فإن هذا الماء سيغطي الأرض حتى ارتفاع 12000 قدماً فقط. بالدرجة الثانية، إنها تحفل بمليارات المستحاثات النباتية والحيوانية التي دفنت بسرعة إلى أعماق كبيرة بسبب المياه الدوامة في الطوفان الكبير. لم تكن الجبال قبل الطوفان تحوي أية مستحاثات، لأن الله كان قد رفعها قبل خلق أي كائنات حية (تكوين 1: 9– 10، 20– 22). ثالثاً، إنها مغطاة بالثلوج والجليد. قبل الطوفان، أحدثت ظلة البخار العظيمة (تكوين 1: 6– 8) تأثيرات دفيئة، محتجزة انعكاس الحرارة الشمسية (كما في كوكب الزهرة اليوم) وتسببت في مناخ دافئ حتى في المناطق القطبية. إن انهيار هذه الظلة السديمية خلال الأسابيع الأولى من الطوفان (تكوين 7: 11– 12) أخذ شكل ثلج وجليد في المناطق الأكثر ارتفاعاً البعيدة عن خط الاستواء، مسبباً أنهاراً جليدية هائلة، والتجمد المفاجئ لفيلة الماموث والمخلوقات الأخرى، واحتجاز كمية كبيرة من الماء على شكل جليد تحول إلى جسور برية من آسيا إلى ألاسكا وأستراليا. هذا "العصر الجليدي" الكثيف ولكن القصير نسبياً، الذي تلا الطوفان، قد عُدِل بشكل كبير في الألفية الأخيرة، مسبباً ارتفاع مستويات المحيط وغرق العديد من وسائل النقل البحرية والجسور. انظر جوزيف سي. ديلو، "المياه فوق" و ج. سي. ويتكمب، "العالم الذي فَنِيَ".

"خالية" أم "مشوشة"؟

[189] - تشارلز سمث, في مراجعة لأرثر كوستانس, "خربة وخالية", في عدد سبتمبر 1971, من مجلة فصلية جمعية بحوث الخلق. أشار ف. ف. بروس في مناضلة منشورة على نظرية الفجوة إلى أنه إن كانت تكوين 1: 2 تدل على حادثة لاحقة للخلق في الأية 1, فإننا يجب أن نتوقع أن الأية 2 تحوي (*waw*) مترابطة منطقياً مع الزمن الناقص.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

هنا نأتي إلى الحجة الثانية الهامة المستخدمة في تأييد نظرية الفجوة. إن كانت تكوين 1: 2 تصف حالة الأرض عند الخلق، فكيف نفسر العبارة "خربة وخالية" (*to□hu□ wābo□hu□*)؟ هل يمكن لإله حكيم وقوي بشكل لا متناهي أن يخلق أرضاً بمثل هذه الحالة من الشواش والفوضى؟ إن المواضع الأخرى الوحيدة في الكتاب المقدس التي تظهر فيها الكلمتان (*□hu□to*) و (*□hu□bo*) معاً (أشعياء 34: 11 وأرميا 4: 23) هي مقاطع تتحدث عن الدينونة الإلهية على الأمميين وعلى شعب إسرائيل. أفلا يدل هذا على أن هذه الكلمات تشير، ولا بد، إلى الدينونة والدمار في (تك 1: 2)؟ حتى الكلمة (*□hu□to*) المترجمة "بدون شكل" في طبعة للكتاب المقدس و"لا شكل لها" في ترجمة أخرى للكتاب المقدس، في الآيات العشرين حيث تظهر بدون (*□hu□bo*) في العهد القديم، تُستخدم أحياناً بمعنى الشر.

هذه حجة قوية معترَفٌ بها، لأن أحد الطرق المعتمدة أكثر في تحديد معنى الكلمات والتعابير العبرية هي بمقارنة استخدامها في مقاطع أخرى. ومن هنا، إن كانت (*□hu□to*) تشير إلى شيء شرير عندما تستخدم في مكان آخر في العهد القديم، فعلى الأرجح أن تكون لها هذه الدلالة في تكوين 1: 2. ولكن تمعناً وتقحصاً دقيقاً في استخدام هذه الكلمة لا يؤيّد هكذا معنى. فعلى سبيل المثال، في أيوب 26: 7 نقرأ أن الله "يَمُدُّ الشَّمَالَ عَلَى الْخَلاَءِ وَيُعَلِّقُ الأَرْضَ عَلَى لاَ شَيْءٍ". بالتأكيد لا ينبغي أن نرى في هذه الآية أي إيحاء بأن الْخَلاَء أو الفضاء الخارجي هو شر أساساً. في بعض المقاطع تشير الكلمة إلى البرية أو الصحراء، بمعنى أو كدلالة على انعدام الحياة (تثنية 32: 10؛ أيوب 6: 18؛ 12: 24؛ مزمور 107: 40). وفي معظم الأماكن حيث تظهر الكلمة في أشعياء، تكون موازية لمعنى اللاشيء أو العدم.

في أشعياء 45: 18 نجد اهتماماً خاصاً بهذا المعنى في سياق النص، وكان هذا النص قد استُخدم كدليل هام لبرهان نظرية الفجوة. تخبرنا الآية أن "الله الذي خلق الأرض وصنعها، أسسها ولم يخلقْها كمكانٍ خرب (*□hu□to*) ولكن صوّرها للسكن". لطالما زُعِمَ أن حالة الـ (*□hu□to*) على الأرض في تكوين 1: 2 لم تكن هي الحالة الأصلية، لأن أشعياء 45: 18 يقول أنها لم تُخلقْ خربة (أو لم تخلق باطلاً). وبالتالي، لا بد أن الله قد خلق أصلاً أرضاً طافحة بالمخلوقات الحية، وفيما بعد دمّرها، فجعلها تصبح (*□hu□to*).

مهما يكن من أمر، هكذا تفسير يغفل عن المغزى الحقيقي للعبارة النهائية في هذه العبارة "صوّرَها للسكن". إن المغزى الأساسي في هذا المقطع على ما يبدو هو أن الله لم يقصد أساساً أن يكون العالم خلواً من الحياة، بل أن يكون ممتلئاً بالكائنات الحية. ومن هنا، فهو لم يسمح للعالم بأن يبقى في حالة الفراغ واللا شكل التي كان كان قد خلقه عليها أولاً، بل إنه ملأه في ستة أيام خلقٍ بكائنات حية وشكّله ليكون موطناً جميلاً للإنسان. ولذلك فإن الآية تتكلم عن الهدف النهائي الأخير لله من الخلق، والتضاد في هذه الآية بين الـ "*□hu□to*" والـ "مسكونة أو للسكن"، يُظهر بوضوح أن الـ "*□hu□to*" تعني "خالية" أو "فارغة غير مسكونة"، وليس "مُدانة"، "مدمرة" أو "مشوشة". يُقرُّ آرثر كوستانس بصراحة بأن (أشعياء 45: 18) هي شهادة قوية فقط بالنسبة لأولئك الذين يقبلون لتوهم التفسير البديل لتكوين 1: 2 ("خربة وخالية"، ص 115)، وخاصة لأن الكلمة "*□hu□to*" تظهر من جديد في الآية التالية (أشعياء 45: 19) وبالكاد يمكن أن تترجم "خراب"، في ذاك الفحوى أو السياق للنص.

لكي نكون متأكدين، إن المقاطع الوحيدة إلى جانب تكوين 1: 2، حيث تظهر الكلمتان "*□hu□to*" و"*□hu□bo*" معاً– أشعياء 34: 11 وإرميا 4: 23– موضوعة في نصوص ذات سياق يؤكد على الدينونة الإلهية. ولكن حتى هنا فإن المعنى الأساسي أن "خاوية وغير مسكونة" يلائم أكثر على نحو أفضل. بما أن هدف الله النهائي للأرض كان أن تكون مملوءة بالناس (أشعياء 45: 18؛ 49: 19– 20؛ زكريا 8: 5)، فسيكون دليلاً واضحاً على غضبه وسخطه على الأرض أن تصبح خاوية وغير مسكونة من جديد. إن مبدأ الفراغ، إذاً، يتضمن أو يشتمل ضمناً على معنى الدينونة الإلهية فقط عندما يتم الحديث عن إزالة شيء حسن. من جهة أخرى، عندما يتبع الفراغ شيئاً شريراً، يمكن أن يكون بركة نسبية. نجد مثالاً عن ذلك في عمل المسيح في طرده الأرواح الشريرة من الناس (لوقا 8: 27– 35؛ انظر أيضاً متى 12: 44– "فارغاً، مكنوساً، ومرتباً").

رغم حقيقة أن العبارة (*to□hu□ wābo□hu□*) تظهران في مكان آخر في فحوى إدانة وهكذا تأخذ دلالة شريرة في تلك المقاطع، فإن نفس العبارة قد يكون لها دلالة مختلفة جداً عندما تظهر في فحوى مختلف. حتى مؤيدوا نظرية الفجوة يقرّون بأن سياق نصٍ بفحوى إدانة إلهية يبدو أنه منقص (أو غير موجود) في الآيات الافتتاحية من التكوين[190]. صحيحٌ أن الأرض كانت خاوية فارغة من حيث الكائنات الحية ولكنها كانت

[190] - ج. هـ. كيرتس، "وجيز التاريخ المقدس"، 1888، وقد ورد في عمل كورتيس سي. ميتشيل، "دراسة كتابية ولاهوتية لنظرية الفجوة" (أطروحة غير منشورة لمعهد تالبوت اللاهوتي، لاميرادا، 1962)، ص 45.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

خاوية من الكثير من الملامح الساحرة والجميلة والهامة التي امتلكتها لاحقاً، مثل القارات، والجبال، والأنهار، والبحار؛ ولكنها بالتأكيد لم تكن مشوشة أو مهدمة أو مُدانة. يقول إدوارد يونغ شاعراً بذلك:

"لعله من الحكمة أن نتخلى عن فكرة "مشوشة" كصفة مميزة للحالات الواردة في الآية الثانية. إن القول المثلث الجوانب الظرفي بحد ذاته يبدو وكأنه يشتمل ضمناً على النظام. إن المادة التي تتكون منها هذه الأرض كانت في ذلك الوقت مغطاة أو مغمورة بالمياه، وعلى المياه كان روح الله يرفرف[191]."[192]

منذ أن كانت مشوشة، فإن الأرض في هذه المرحلة المعينة من الخلق يمكن أن توصف على أنها كاملة. لم يكن هناك أي خطب في أي من العناصر المادية التي أتى بها الله إلى الوجود. كانت للأرض نواة، وغلاف خارجي، وقشرة مكونة من معادن وصخور كاملة؛ لقد كانت مغطاة بالمحيطات أو بالمياه الكاملة؛ وكانت يحيط بها دثار من الغلاف الجوي الكامل. ولكنها لم تكن قد صارت كاملة كما كان الله يهدف لها بشكل نهائي. على نفس المنوال، فإن آدم، كإنسان، كان كاملاً عندما خُلق في البداية. ولكنه كان "وحيداً" وحتى هذه المرحلة غير مكتمل إلى أن خلق الله حواء لتكون نظيراً له يعينه. لهذا السبب، فإن الله أمكنه أن يصف حالة آدم قبل حواء بأنها "ليست حسنة" (تك 2: 18). بمعنى آخر، إلى أن انتهى أسبوع الخلق، كان آدم نفسه (*to□hu□ wābo□hu□*) (كامل في هذه المرحلة من الخلق، ولكن لوحده كان غير مكتمل، ومن هنا فيمكن القول نسبياً أنه كان "ليس حسناً").

هل كان الظلام شراً؟

الحجة الأساسية الثالثة المستخدمة في تأييد نظرية الفجوة تتعلق بالظلمة التي يرد ذكرها في تكوين 1: 2. بما أن الظلمة تُستخدم دائماً كرمز للخطيئة والدينونة في الكتاب المقدس (يوحنا 3: 19؛ يهوذا 13، الخ.)، وبما أن الله لم يقُلْ أن الظلمة كانت "حسنة" (كما فعل فيما يخص النور– تكوين 1: 4)، فإن مناصري نظرية الفجوة يصرون على أن الله قد خلق أصلاً العالم في النور (مز 104: 2؛ 1 تيموثاوس 3: 16) ولاحقاً فقط غمره في الظلمة بسبب خطيئة الشيطان والملائكة الآخرين.

وهذا، من جديد، جدلٌ متقنٌ مؤثّرٌ. ولكن كل الأدلة الكتابية تحتاج لأن تُؤخَذَ بعين الاعتبار. المزمور 104: 19–24، على سبيل المثال، يوضح بشكل تام أن الظلمة المادية (أي غياب النور المرئي) لا يجب أن يُعتبر شراً في طبيعته أو نتيجة للدينونة الإلهية. بالحديث عن عجائب دورة الليل والنهار، يقول كاتب المزامير: ".... الشَّمْسُ تَعْرِفُ مَغْرِبَهَا. تَجْعَلُ ظُلْمَةً فَيَصِيرُ لَيْلٌ. فِيهِ يَدِبُّ كُلُّ حَيَوَانِ الْوَعْرِ. الأَشْبَالُ تُزَمْجِرُ لِتَخْطُفَ وَلِتَلْتَمِسَ مِنَ اللهِ طَعَامَهَا.... مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ. مَلآنَةٌ الأَرْضُ مِنْ غِنَاكَ" (مز 104: 19– 24).

إن كان تحديد أوقات الظلمة المادية هو إعلان عن حكمة الله وغناه، فكيف يمكن أن تكون الظلمة شراً في طبيعتها؟

في مناقشته للآيات الكتابية في سفر التكوين، أوضح إدوارد يونغ المغزى الحقيقي من الكلمة أو التعبير "ظلمة":

"إن الله يعطي اسماً للظلمة، تماماً كما يفعل بالنسبة إلى النور. ولذلك فكلاهما حسنٌ ومرضي لديه؛ لقد خلقهما كليهما بنفسه، رغم أن الآية 2 لا تقول بالخلق الواضح السريع للظلمة، كما الأشياء الأخرى، وكلاهما يخدم هدفه في تكوين اليوم.... الظلمة تتميز في هذا الأصحاح كخير إيجابي للإنسان.... أياً كان المعنى الدقيق لـ "المساء" في كل يوم، فإنه كان يشتمل بالتأكيد على الظلمة، وتلك الظلمة كانت خيراً للإنسان. ولذلك في بعض الأحيان ترمز الظلمة إلى الشر والموت؛ وفي أوقات أخرى يجب أن يُنظر إليها على أنها بركة إيجابية"[193].

السبب في أن الله ما "رأىَ أن الظلمة كانت حسنة" قد يكون هو أن الظلمة ليست كينونة محددة، أو شيئاً، بل إنها غياب لشيء، وتحديداً النور. ولعل هذا هو السبب نفسه في أن الله لم يَرَ أن "القبة السماوية الزرقاء"، التي في اليوم الثاني من الخلق، كانت حسنة. فهي أيضاً كانت كينونة سلبية، لأنها الفراغ الكائن بين المياه العلوية والمياه السفلية. حقيقة أن غياب النور ليست غير متوافقة مع حضور وبركة الله أمرٌ واضحٌ من القول

---

[191] - الكلمة الأصلية هي يحتضن (brood)، وهذا يُذكّرنا بالدجاجة التي ترقد فوق بيوضها كي تدفأها وكي تساعدها على أن تفقس [فريق الترجمة].

[192] - إدوارد يونغ، "دراسات في تكوين 1"، ص 13. ومن هنا فإن لدينا بديل هام عن التفسيرين الوحيدين لتكوين 1: 2 المقترحين في "كتاب سكوفيلد المقدس المشوهد الجديد"، (ص 1، ملاحظة 5). إضافة إلى تفسيرات "الشواش الأصلي" و"الدينونة الإلهية" المقترحين هناك، لدينا ما يجب اعتباره التفسير التقليدي اليهودي والمسيحي، وتحديداً، "الكمال الأصلي ولكن غير المكتمل".

[193] - المرجع السابق، ص21، 35.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

"روح الرب برف على وجه المياه" في وسط هذه الظلمة البدائية. وبحسب كلمات صاحب المزامير: "الظُّلْمَةُ أَيْضاً لاَ تُظْلِمُ لَدَيْكَ وَاللَّيْلُ مِثْلَ النَّهَارِ يُضِيءُ. كَالظُّلْمَةِ هَكَذَا النُّورُ" (مز 139: 12).

كم عملية خلق جرت في تكوين 1؟

إنّ الحجة الرابعة الرئيسية المؤيدة لنظرية الفجوة مبنية على التمييز المزعوم بين الفعلين "خلق" و "صنع". إن لم يتم الدفاع عن هذا التمييز بشكل واضح فعندها لا بد أن تنهار نظرية الفجوة، فالآية في خروج 20: 11 تقول: "لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذَلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ". من الواضح، إذاً، أنه إن كان الله قد "صنع" كل شيء في ستة أيام، فلن يكون هناك متسع لفاصل زمني طويل بين خلق السموات والأرض (تكوين 1: 1) وخلق كل الأشياء الأخرى (تكوين 1: 2– 31). ولذلك فإن نظرية الفجوة تتطلب أن يُفهم الفعل "صَنَعَ" في خروج 20: 11 كإشارة إلى مجرد "إعادة تشكيل" للسموات والأرض في ستة أيام بعد الدينونة المزعومة في تكوين 1: 2.

إنها لخيبة أمل أن نجد الكتاب البارز "الكتاب المقدس الجديد المشوهد لسكوفيلد" (1967)[194] يفترض أن هناك تمييزاً بين "خلق" و"صنع" في تكوين 1– "ثلاث عمليات خلق فقط من قِبَل الله تم تدوينها في هذا الأصحاح: (1) السموات والأرض، الآية 1؛ (2) الحياة الحيوانية، الآيات 20– 21؛ و(3) الحياة البشرية، الآيات 26– 27. عملية الخلق الأولى تشير إلى الماضي غير المحدد بتأريخ" (ص 1، الملاحظة 4). وبالنسبة إلى تكوين 1: 3 ("وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ» فَكَانَ نُورٌ")، يقول هذا المرجع:"لا يوجد هنا ولا في الآيات 14– 18 عملية خلق أصلية. فهنا تُستخدم كلمة أخرى مختلفة. المعنى هنا هو أنه "صُنِع ليظهر، أي جُعِل مرئياً منظوراً". الشمس والقمر كانا قد خُلِقا "في البدء". "أتى النور من الشمس، بالطبع، ولكن البخار نشر الضوء. وفيما بعد ظهرت الشمس في سماءٍ لا غيوم فيها" (ص 1، الملاحظة 6).

ولكن هذا التفسير يطرح أسئلة جدية خطيرة. فبالدرجة الأولى، إن كان الله يقصد أن ينقل لنا فكرة أن الأجرام السماوية (الشمس والقمر والنجوم) كانت موجودة أساساً في اليوم الأول، ولكنها "ظهرت" فقط في اليوم الرابع (بإزاحة الغيوم) فإن الفعل "يظهر" كان يمكن استخدامه بسهولة، كما في تكوين 1: 9 ("وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ"). إضافة إلى ذلك، إن كان خلق الشمس قد حدث كجزء من النشاط الخَلْقي المفترض الذي يذكره تكوين 1: 1، فكيف أمكن للأرض أن تغطيها ظلمة كاملة في 1: 2؟ ما من ظلمة غمامية أو سديمية أمكن أن تحجب أو أن تمنع ضوء الشمس، لأن أبخرة الماء لم ترتفع فوق الجلد إلى اليوم الثاني من الخلق.

الأمر الأهم والأخطر لنظرية الفجوة هو حقيقة أن تكوين 1: 21 تقول: "فَخَلَقَ اللهُ التَّنَانِينَ الْعِظَامَ وَكُلَّ نَفْسٍ حَيَّةٍ تَدِبُّ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْنَاسِهَا وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ"، بينما تقول الآية 25: "فَعَمِلَ اللهُ وُحُوشَ الارْضِ كَأَجْنَاسِهَا وَالْبَهَائِمَ كَأَجْنَاسِهَا وَجَمِيعَ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا. وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ". بالطبع لا ينبغي أن نفكر أن المخلوقات البحرية كانت قد "خُلِقت" مباشرة في اليوم الخامس، بل الحيوانات البرية كانت قد "ظهرت" وحسب أو "جُعلَت تظهر" في اليوم السادس. إن جميع الذين يعتقدون أن فعل "خلق" و "صنع" لا يمكن أن يُستخدما في نفس الفعاليات الإلهية يواجهون صعوبة جدية هنا. في الواقع، إن الصعوبة بالغة جداً لدرجة أن كتاب سكوفيلد المقدس المُشوهد الجديد، وتأييداً لهذا التمييز، يفترض أن الوحوش التي "عُمِلَت" في اليوم السادس (الآية 25) كانت قد "خُلقت" فعلياً في اليوم الخامس (ص 2، ملاحظة 2). ولكن هكذا تفسير غير ممكن لأنه كان واضحاً أن الوحوش قد ظهرت إلى الوجود لأول مرة في اليوم السادس ("لتخرج الأرض"، الآية 24). هذا الإخراج إلى الوجود يوصف كفعل لله به "عَمِل وحوش الأرض" (الآية 25).

وما علاقة نظرية الفجوة بمملكة النبات، التي "خرجت" من الأرض في اليوم الثالث (الآيات 11– 12)؟ لا بد أنها ترفض فكرة أن تكون قد خُلِقت في ذلك اليوم. "ما من داعٍ ضروري للافتراض بأن أصل حياة البذار قد هَلك في الدينونة الكارثية [تك 1: 2] التي قلبت النظام الأولي. مع استعادة الأرض اليابسة والنور سوف تقوم الأرض بعملها المفترض (في "إخراج" الكائنات)" (Old Scofield Reference Bible)، ص 4، ملاحظة 3. ولكن هذا مفهوم عجيب غريب خاصة عندما ندرك مدى غنى استخدام الله لمترادفات الفعل "خلق" في هذه المقاطع. فعلى سبيل المثال، أمر الأرض أن "تفيض زحافات ذات نفس حية" (الآية 20). يتم تفسير هذا في الآية التالية ليعني أن "الله خلق.... كل كائن حي يتحرك، فاضت به

[194] New Scofield Reference Bible -

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المياه". وعلى نفس المنوال تخبرنا الآية تكوين 2: 7 أن "جَبَلَ الرَّبُّ الالَهُ آدَمَ تُرَاباً مِنَ الأَرْضِ"، والذي لا بد أن تعني أن الله "خلق" (الإنسان) على ضوء تكوين 1: 27.

في كتابه "خربة وخالية"، يحاول آرثر كوستانس حتى أن يميز بين "صنع" الله لنا على صورته وشبهه (1: 26) و "خلقنا" على صورته (1: 27). بالاستناد إلى أوريجنس (القرن الثالث الميلادي)، توصل إلى الاستنتاج بأنه "بينما الصورة والشبه كلاهما قد ظهرا، فالصورة وحدها فقط هي التي خلقها الله، وتُرك إنجاز الشبه كشيء ليُعمَل عليه بالخبرة" (ص 180). ومن هنا، وبحسب كوستانس، نحن لم نُخلَق على صورة وشبه الله. ولكن إن كان هذا صحيحاً، فعندها بالكاد أمكن لله أن يكون قد صنع الإنسان على شبهه في نفس اليوم الذي خلقه فيه (تك 5: 1). وأيضا، يتساءل المرء كيف أمكن لآدم أن يَلِدَ سيثاً "عَلَى شَبَهِهِ" وأيضاً "كَصُورَتِهِ" (تكوين 5: 3).

هذه الأمثلة يجب أن تفي بالغرض لإظهار العبثية التي ينقاد بها المرء من خلال جعل تمايزات لم يقصد الله أبداً أن يصنعها. من أجل التنوع واكتمال التعبير (وهذه ميزة أساسية ومساعِدة للغاية في الأدب العبري)، تُستخدم أفعال مختلفة لنقل أو التعبير عن مفهوم الخلق الفائق الطبيعة. وهذا واضح بشكل خاص من خلال المترادفات الكثيرة للفعل "صنع" المرن التي ترد في سفر التكوين وفي العهد القديم. ومن هنا، فليست حياة الحيوان أو حياة البشر فقط هي التي خلقها الله مباشرة في الأيام الملائمة لها بل أيضاً حياة النبات والأجرام الفلكية؛ وهذه الحقيقة، على ضوء خروج 20: 11، مدمرة تماماً لنظرة الفجوة.

حجج أخرى لنظرية الفجوة:

إضافة إلى الحجج الجدلية الأساسية الأربع لنظرية الفجوة التي ناقشناها لتونا، يسمع المرء أحياناً من يزعم بأن العبارة "املؤوا الأرض" في تكوين 1: 28 تدل ضمناً على أن الأرض كانت يوماً مليئة ولكن الآن يجب أن تملأ من جديد (يُعاد ملؤها). ولكن الفعل الوارد في النص العبري يدل ببساطة على المعنى "يملأ"، بدون أي إيحاء بالتكرار. وهذا ما أيده كوستانس ("خربة وخالية"، ص 8).

بعض الكتّاب يزعمون أن الآية في عبرانيين 4: 3 يجب أن تترجم على النحو: "الأَعْمَالِ قَدْ أُكْمِلَتْ مُنْذُ فجر الْعَالَمِ"، رابطين هذا بالتفسير الكارثي لتكوين 1: 2 ولكن هذا لا يمكن أن يؤيده سياق النص أو استخدام الفعل (انظر عبرانيين 9: 26) [195].

يُزعم غالباً أيضاً أن حزقيال 28: 13– 14 تتطلب وجود عالمٍ مجيدٍ أصلاً قبل حالة (الأرض) الـ "خربة وخالية" في تكوين 1: 2، لأنها تتحدث عن الشيطان وهو يقطن في ".... عَدْنٍ جَنَّةِ اللَّهِ.... جَبَلِ اللَّهِ الْمُقَدَّسِ" ويسير "بَيْنِ حِجَارَةِ النَّارِ" قبل تمرده على الله. ولكن يبدو واضحاً من خلال مقارنة مع دانيال 2: 45 وأشعياء 14: 13 أن "جَبَلِ اللَّهِ الْمُقَدَّسِ" لا بد أن يشير إلى السماء الثالثة في حضرة الله مباشرة وليس إلى منطقة أرضية. يجب ملاحظة أن الشيطان قد " طُرِحَ.... مِنْ جَبَلِ اللَّهِ.... إلى الأرض" (حزقيال 28: 16– 17؛ أشعياء 14: 12). من الواضح أن الربّ يسوع المسيح قد تكلم عن هذه الحادثة عندما قال: "رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطاً مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ" (لوقا 10: 18). يجب أيضاً ملاحظة أن "عَدْنٍ جَنَّةِ اللَّهِ" لم تكن حديقةً بأشجار، وورود وينابيع. لقد كانت مركبة من أحجار ثمينة و"حِجَارَةِ النَّارِ" (حزقيال 28: 13، 14، 16). عندما نقارن هذه مع وصف المدينة المقدسة في رؤيا 21: 10– 21، بحجارتها الثمينة المتنوعة، نصل إلى الاستنتاج بأن "عَدْنٍ جَنَّةِ اللَّهِ" عند حزقيال لا تشير إلى عدن الأرضية التي في تكوين 1: 1، بل إلى عدن سماوية، التي منها طُرِدَ الشيطان إلى الأرض. عندما خلق الله "السموات" في بداية اليوم الأول من أسبوع الخلق، فمن الواضح أنه خلق جميع الكائنات الملائكية (بما فيها الشيطان الساقط)، الذين كانوا حاضرين لينشدوا مسبحين معاً ويطلقون صوت ابتهاج لدى خلق الأرض (أيوب 38: 7). في زمن معين بعد أسبوع الخلق أو قبل إغواء حوّاء، تمرد الشيطان على خالقه. ولذلك فالتأثير الأرضي المنظور لسقوطه لم يكن الكارثة في 1: 2، بل اللعنة في عدن الواردة في تكوين 3، التي ألقاها الله على كل الأرض لأن آدم وحواء، اللذان أعطاهما الله كل سلطانٍ وسيادةٍ على الأرض، قد اختارا أن يصدقا ويطيعا الشيطان وليس الله (رومية 8: 20– 23).

نظرية الشواش/الخلق:

[195] - انظر ف. ف. بروس، "الرسالة إلى العبرانيين" (غراند رابيدز: منشورات إيرماندز، 1964)، ص 71.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

هناك تغاير آخر في نظرية الفجوة قد اكتسب شعبية كبيرة في السنوات الأخيرة يمكن وصفه بنظرية الشواش/الخلق. هذا الرأي يفترض كوناً مشوشاً بالأصل كما يرد في رواية التكوين. ويُنظر إلى الآية تكوين 1: 1 على أنها "بداية نسبية أكثر منها بداية مطلقة": "عندها سيكون الإصحاح سرد لرواية خلق للكون كما يعرفه الإنسان، وليس بداية كل شيء". ومن هنا، يُطلَب إلينا أن نعتقد أن تكوين 1:

> ".... يسجل كيف أتى (الله) بالكون من الشواش.... فحول اللعنة إلى بركة، وانتقل مما كان شراً وظلماً إلى ما هو مقدس.... إن الجمل في الآية 2 هي ظرفية ظاهرية مرتبطة بالآية 3، تصف حالة العالم عندما بدأ الله يجدده. لقد كان شواشاً من البوار، والخلاء، والظلمة. هكذا أحوال ما كانت لتنشأ عن عمل الله الخَلْقي؛ بل بالحري، إنها تدل في الكتاب المقدس على الخطيئة وتتساوى مع الدينونة[196]".

من الواضح أن نظرية الخلق/الشواش قد عممها ونشرها أولاً ميريل أنغر[197] وطورها فيما بعد بروس والتكي.[198] هذان العالمان رفضا نظرية الفجوة التقليدية لنقص الثقافة التفسيرية فيها؛ ولكنهما تركانا أمام بعض المعضلات اللاهوتية غير المحلولة: (1) تكوين 1 خالية من أي تدوين للخلق الأصلي للعالم؛ (2) "الظلمة" المادية في تكوين 1: 2 والتي صنعها الرب (مز 104: 20) وسماها (تك 1: 5) قد تحولت إلى شيء شرير؛ (3) مفهوم غريب يدعى "الشواش" دخل إلى رواية الخلق محتكماً إلى التوازي المزعوم في الميثولوجيا البابلية[199]؛ و(4) أن المتطلبات الملحة في خروج 20: 11 (على ضوء كولوسي 1: 16) لخلق كل الأشياء خلال أسبوع الخلق السداسي الأيام قد تُجوهِلَت.

كان ميريل أنغر وبروس والتكي وآلين روس بالتأكيد يسلمون بخلق أصلي للكون من العدم. ولكن إزالتهم لكل هذا الحادث الكوني البالغ الأهمية من تكوين 1، وإدخال مفهوم الـ "خلق/شواش" (وخاصة غير المعروف في التقليد العبري–المسيحي) يخلق مشاكل جدية تتعلق بزمان وكيفية حدوث الخلق الأصلي. يمكن للمرء فقط أن يرجو أن علماء العهد القديم هؤلاء سيصادقون بشدة على استنتاج كارل هنري:

> ".... الآية تك 1: 1 تعزو كل شيء إلى عمل إيلوهيم الخلاق.... والإيمان اليهودي–المسيحي.... يؤكد الخلق الإلهي من لاشيء.... وهذا التأكيد يحكم أي مبدأ ميتافيزيقي أو كينونة لجوهر متساوٍ مع الله– سواء كان شواش، ظلمة، مادة أو أي شيء آخر".

خاتمة:

إن نظرية الفجوة بأشكالها المتنوعة لا تزال تلقى بعض التأييد في المجتمع المسيحي الإنجيلي لأنها تقدم تأييداً كتابياً مؤثراً لحالة لا تتحدى بشكل جذري الجدول الزمني الجيولوجي للجيولوجيا التاريخية المعاصرة. ومع ذلك، هذه النظرية، لدى معاينتها عن كثب، نجدها تحاول أن توفق بين كمالية رواية الخلق، والكمال الأصلي للعالم، والاستمرارية الجينية للمستحاثات والأشكال الحية، وتمامية سيادة آدم، وفرادة كل من اللعنة في عدن وطوفان نوح الكارثي الكوني.

إني أوافق الرأي مع مناصري نظرية الفجوة في أن "الأرض مرت عبر تغير طوفاني بنتيجة دينونة إلهية. إن وجه الأرض يحمل في كل مكان علامات هكذا كارثة". ولكن هذه الكارثة لا بد أن تكون متطابقة مع طوفان نوح العالمي، الذي لا يشغل كل الأصحاحات الثلاثة للتكوين وحسب، بل يشير إليه أيضاً داود (مز 29: 10)، وأشعياء (54: 9)، والمسيح (متى 24: 37– 39؛ لوقا 17: 27)، وبطرس (1 بطرس 3: 20؛ 2 بطرس 2: 5؛ 3: 6). وعبر الأنماط الحالية الواسعة والمعقدة من هذا الطوفان الذي دام سنة، دُفنت المخلوقات الحية في العالم برمته وتحولت إلى مستحاثات في طبقات رسوبية كبيرة تشكل أساساً لكل قارة في الكرة الأرضية[200]. إن هذه الكارثة هي الجواب الذي قدمه الله لنا رداً على

---

[196] - آلين روس، "التكوين"، في"التفسير الكتابي المعرفي: العهد القديم" لجون فالفورد وروي زك،(ويتن: منشورات فيكتور، 1985)، ص 28. من أجل دليل نحوي على أن التكوين 1: 1 (وليس 1: 3) تسجل أول عمل خَلْقي لله، وهو شبه جملة رئيسية (وليس ثانوية)، انظر جون دافيس، "من الفردوس إلى السجن" (غراند رابيدز: منشورات باكر، 1975)، ص 39- 40.

[197] - ميريل أنغر، "إعادة التفكير في رواية الخلق في التكوين"، (كانون الثاني 1958)، ص 27- 37.

[198] - بروس والتكي، "رواية الخلق في التكوين" (كانون الثاني- أوكتوبر، 1975).

[199] - المرجع السابق، ص 329.

[200] - من أجل المضامين الهيدروديناميكية والجيولوجية للعقيدة الكتابية للطوفان، انظر جون سي. ويتكمب، وهنري موريس، "الطوفان في التكوين" ، وجون سي. ويتكمب، "العالم الذي فني".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

التشاكل الزائف في هذه الأيام الأخيرة (2 بطرس 3: 4) ولذلك فإنها تلقي الظل بشكل فعال وتنبؤي عن الدمار النهائي لكل الأشياء بالنار في أوج يوم الرب (2 بطرس 3: 7– 13).

ص 156 في الكتاب **هنا نضع الصورة**
الديناصورات: لقد انتشرت الديناصورات ("السحليات المخيفة") بكثرة بشكل خاص خلال الفترة من آدم إلى الطوفان بسبب الجو الدافئ الرطب الذي كان يميز كل العالم قبل الطوفان. إن البقايا الخاصة بالهيكل العظمي لأحد الديناصورات ("سوبرسورس") التي اكتُشِفَت في كولورادو توحي بأنه كان يزن **200000**رطلاً (انظر المجلة الجغرافية الوطنية، آب **1978**، ص **176**). إنها لم تصبح بارزة قبل آدم، لأنه أُعطِيت له السيادة على كل أنواع الحيوانات (تكوين **1**: **28**). بالمعنى الأوسع للكلمة "ديناصور"، يمكننا القول أنها ليست منقرضة بعد. ففي جزيرة كومودو في أندونيسيا، لا يزال هناك باقياً على قيد الحياة حوالي **1000** سحلية من التنانين الضخمة، يبلغ طول بعض منها **10**أقدام ويزن أكثر من **300** رطلاً (مجلة الجغرافية الوطنية، ديسمبر **1968**). وبالتأكيد فإن التمساح الذي يبلغ طوله **20** قدماً سيوصف كأنه "سحلية مخيفة". بما أن الزواحف تتمتع بنضج جنسي قبل أن تبلغ إلى ملء نموها، فلسنا في حاجة لأن نفترض أن الأفراد الضخمة وبالتالي القديمة كانت تمثل نوعها في فلك نوح. بعد الطوفان، وجدت الديناصورات الزاحفة نفسها محصورة في حزام ضيق نسبياً قرب خط الإستواء، وأصبحت في معظم الأحوال منقرضة خلال القرون التي تلت عبر الصراع من أجل الوجود ضد الثدييات الأكثر تقلباً وقابليةً للتحول. انظر جون سي. ويتكمب، "الديناصورات والبشر" (وينونا ليك: معهد غريس اللاهوتي).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

خلاصة وخاتمة:

في انسجام كامل مع طرائقه التي استخدمها في الإتيان بـ "منتجات نهائية" عالية العقيد إلى الوجود بشكل مفاجئ خلال خدمته العلنية القصيرة على الأرض، خلق ابن الله الأرض كموطن دينامي فعال وكامل التجهيز للإنسان في فترة وجيزة جداً من الزمن. لم تنشأ الأرض عن "شواش" في الغاز أو الغبار أو التراب. ولم تتبرد من كتلة منصهرة من الصخور والمعادن. لقد خُلقَت بطريقة فائقة الطبيعة صرفة خلال ستة أيام حرفية وامتلأت بشكل كامل بكل الأنواع الرئيسية من الأحياء التي وُجدت على الإطلاق بما فيها الإنسان.

إن البدائل الطبيعية للرواية التي أوحى بها الله عن الأصول قد صار متعذر الدفاع عنها علمياً على نحو مطّرد في العقود الأخيرة في حين بلغ مخزوننا من المعرفة في الأرض وعلوم الحياة نِسَباً مذهلةً. لا يزال الفلكيون، ورغم اكتشافاتهم المذهلة، يخفقون في تفسير كيف تطورت الأرض والشمس والقمر والنجوم إلى شكلها الحالي بعمليات طبيعية. وأخفق الجيولوجيون وعلماء المستحاثات في تفسير كيفية توضع طبقات المستحاثات الضخمة، وكيف اختفت كل "الحلقات المفقودة"، وكيف بدأ عصر الجليد، وكيف تسيل الحمم البركانية الهائلة على سطح الأرض. وأخفق البيولوجيون والجينيون في تفسير كيفية نشوء الأرض بشكل عفوي تلقائي، وكيف تشكلت شيفرة الحمض النووي، ولماذا تتكاثر جميع المخلوقات الحية كل بحسب جنسها، وكيف تنجو الفرضيات النشوئية من المعادلات المميتة في القانون الثاني في الترموديناميك. علماء الإنسان أو الأنتروبولوجيون أخفقوا بشدة في ردم الهوّة البيو–ثقافية الواسعة التي تفصل أدنى إنسان عن أعلى حيوان.

يوضح الكتاب المقدس أن الأرض الأولى كانت غير ملوثة أو مشوبة وشديدة التنظيم وتشكل بيئة منسجمة بشكل كامل مع البشر الأوائل. لقد كانت الطبيعة في انسجام مع الإنسان لأن الإنسان كان في انسجام مع الله. ففي البداية، لم تكن هناك حيوانات تأكل اللحوم. صحيح أن النباتات والثمار كانت عرضة للأكل وبالتالي للإندثار؛ وأن البكتريا كانت تشكل مادة نباتية ميتة للتلاشي؛ ولكن لم يُهرَق دم أي إنسان أو حيوان من خلال دمار مشترك ولم تحدث كوارث طبيعية تعرض حياة الكائنات الحية للخطر. رغم أن القانون الثاني في الترموديناميك (الانتروبيا[201]) كان فعالاً، إلا أن تأثيراته المؤذية على عالم الإنسان كان يوازنها تحكم الله المبارك على كل الأنظمة الفيزيائية والبيولوجية. على نفس المنوال، فإن زيادة تعداد السكان لم يكن يشكل تهديداً للمحيط الحيوي لأن الله كان فوق، وليس تحت، قوانينه الخاصة (ولا يزال هذا الواقع صحيحاً اليوم). إن معدلات التكاثر في كل الكائنات الحية كانت تحت سيطرته.

كل هذا، بالطبع، أمر يستحيل على الفكر البشري أن يستوعبه اليوم عن طريق العلم التجريبي لوحده بمعزل عن الإعلان الإلهي الخاص. إننا منهمكون في عالم "يئن ويتمخض" (رومية 8: 22) بسبب لعنة عدن (تك 3: 16– 19)، حتى أننا لا نستطيع أن نتخيل كيف كانت الأرض الكاملة بالأصل بمعزل عن تفسير الله لنا من خلال الصفحات التي تحوي كلمته المكتوبة. وإذ نحن مُحتجزون بين فكي كماشة القانون الأول والثاني للترموديناميك، ومقيدون إلى نظام في الظاهر أبدي وتشاكلي، فلا يمكننا أن نصور حقاً أحداث الخلق الأصلية، أو إعادة البرمجة الفورية المفاجئة للكائنات الحية من أجل "عبودية الفساد"، أو الدمار الذي حدث بشكل فائق الطبيعة والدفن الجماعي للأشياء على مستوى كوني.

ولكن هذه مشكلتنا بشكل أساسي، وليست مشكلة الله. فهو لم يؤمن لنا تلميحات مذهلة وكافية ملائمة عن الوقائع البدائية في الطبيعة بحد نفسها، بل أعطانا روايةً واضحةً ومنسوبةً إلى ذاته عن الحقائق العظيمة لخلقه وإدانته واردة في الكتاب المقدس. بالتأكيد هناك كثيرون يصرون على أن القول بأرض حديثة نسبياً هو خداع من جهة الله. هكذا اتهامات هي تجديفية وغير عادلة بآن معاً. إن كان الله قد أخبرنا عن طرقه الخلاقة، وترتيب الأحداث في خلق مختلف الكينونات، والفترة الزمنية التي انقضت بين هذه الأعمال الخَلْقية، فليس لنا أن نلوم إلا أنفسنا على جهلنا. إضافة إلى ذلك، إن كان البشر حقاً موضوعيين في هكذا مسائل سوف ينظرون إلى الجانب الآخر من الجسر للحقائق التجريبية التي لم تسمح فقط بل تتطلب أصلاً حديث العهد لأنظمة بيولوجية وفيزيائية.

إن المسيحيين ملتزمون بعمق بالافتراض أنه في كل مجال إشكالي، سواء كانت الأصول الجوهرية الأساسية أو المصير النهائي، أو المعاني الجوهرية والقيم والأولويات، فإن الله الذي أعلن عن نفسه بشكل سام رفيع في الرب يسوع المسيح وكلمته المكتوبة، لا يمكن أن يكذب ولا يمكن أن يخيب في نهاية الأمر أولئك الذين يضعون عليه ثقتهم وإيمانهم. إن النظام الطبيعي يتطلب خالقاً؛ وعجب العجاب هو أن ذاك الخالق العظيم جاء

[201] - الانتروبيا: (entropy): عاملٌ رياضيّ يُعتبر مقياساً للطاقة غير المستفادة في نظام ديناميّ حراريّ [فريق الترجمة].

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

إلى الأرض ليدفع الثمن الكامل لخطيئة البشر وليجعل ممكناً لأولئك الذين يؤمنون به أن يختبروا بامتلاء غايته الأبدية في الخلق. ولذلك فـــإن الأرض الأولى كانت مجرد تذوق مبدئي للأرض الجديدة التي سوف يخلقها الله يوماً ما (رؤيا 21: 1).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008